فُصُولٌ ومَباحثٌ مُفيدةٌ

في تَاريخِ عُلُومِ الأُمَّة المَجِيدَة وتَحْقيقِ مَخْطوطَاتِها التَّليدَة

بحوثٌ ودراساتُ اللّقاءات العلميَّة الَّتي عَقَدها مركزُ الدّراساتِ والأبْحاثِ في تحْقيقِ المَخطُوطِ المغربيّ الأنْدلُسيّ بالمملكة المغربية عن بُعْدٍ خلال سنة 1446هـ / 2024م- 2025م

جمع وتنسيق ومراجعة

الأستاذ الدكتور

محمد بن زين العابدين رستم

رئيس مركز الدراسات والأبحاث في تحقيق المخطوط المغربي الأندلسي بالمملكة المغربية

الدكتور

عبد الفتاح فيوض

النائب الأول لرئيس المركز

الأستاذ

عبد العاطي الفاضلي

النائب الثاني لرئيس المركز

للنشر والتوزيع

PUBLISHING & D

مركز الدراسات والأبحاث في تحقيق المخطوط المغربي الأندلسي

المملكة المغربية

فصول ومباحث مفيدة

في تاريخ علوم الأمة المجيدة

وتحقيق مخطوطاتها التليدة

فُصُولٌ ومَباحِثُ مُفيدةٌ

في تَاريخِ عُلُومِ الأُمَّة المَجِيدَة وتَحْقيقِ مَخْطُوطَاتِها التَّليدَة

بحوثُ ودراساتُ اللّقاءات العلميَّة الَّتي عَقَدها مركزُ الدّراساتِ والأبْحاثِ في تحْقيقِ المَخطُوطِ المغربيّ الأنْدلُسيّ بالمملكة المغربية عن بُعْدٍ خلال سنة 1446هـ / 2024م- 2025م

جمع وتنسيق ومراجعة

الأستاذ الدكتور
محمد بن زين العابدين رستم
رئيس المركز

الدكتور
عبد الفتاح فيوض
النائب الأول لرئيس المركز

الأستاذ عبد العاطي الفاضلي
النائب الثاني لرئيس المركز





Rikaz for Publishing and Distribution ركاز للنشر والتوزيع

الأردن - اربد

E-MAIL: rikazpublisher@gmail.com

Mobile: +962797984602

 **@rikazpublisher**

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2025/6/3347)

(ردمك) ISBN: 978-9923-44-584-6

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب

عنوان الكتاب	فصول ومباحث مفيدة في تاريخ علوم الأمة المجيدة وتحقيق مخطوطاتها التليدة
تأليف	رستم، محمد
تأليف (آخرون)	فيوض، عبد الفتاح الفاضلي، عبد العاطي
بيانات النشر	إربد: دار ركاز للنشر والتوزيع، 2025
الوصف المادي	266 صفحة
رقم التصنيف	956.06
الواصفات	/الحضارة العربية//العلوم الإسلامية//المخطوطات//العلماء المسلمون//المغرب العربي// تاريخ الأندلس//التاريخ الإسلامي/
الطبعة	الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

الحمد لله الذي جعل محبة المخطوط في القلب، وسخر لنا أسباب خدمته بكل ما يسر وجلَب، والصلاة والسلام على نبينا محمد طبّ القلوب ودوائها، ورحمة الله وحقيقتها، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الأمة وأعلامها، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد

تتواصل أنشطة مركز الدراسات والأبحاث في تحقيق المخطوط المغربي الأندلسي بالمملكة المغربية للسنة الثانية في عقد اللقاءات العلمية المختلفة المآرب عن بعد، وهي سنة حميدة دأب عليها المركز، بنجاح هذه التجربة وعموم نفعها على الباحثين في سلك الماستر والدكتوراه في الوطن العربي، إذ كان ذلك دافعا لنا على الاستمرار في هذا النهج اللاحب، والسبيل السالك، وهذه اللقاءات وإن لم تتلاقَ فيها الأبدان، فإنه تطير إليها العقول والأحلام، وتهفو إليها الهمم من شتى البقاع و الأوطان، وتعمُّ فائدتها في تلك التقارير التي يكتبها طلاب شواهد حضور هذه اللقاءات العلمية بما فيها من معلومات جديدة، ومكتشفات تكون حديثةً وليدةَ تجارب طويلة، ونتيجة خبرات عميقة.

والمتأمل في بحوث ودراسات هذا الموسم العلمي الجديد، يجد أنها في أغلبها متعلقة بالمخطوط وشؤونه وهمومه، وما يدور حول ذلك من علوم خادمة له، أو مُعينة على الاقتراب منه، وتسهيل الولوج إليه.

وهكذا كان الباب الأول من هذا الكتاب التوثيقي لهذه اللقاءات العلمية في الحديث عن جهود بعض علماء الأمة في خدمة المخطوط العربي الإسلامي، وذلك ببحث عن أعمال علماء نيجيريا في نشر الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، وكان الباب الثاني في العناية بتحقيق المخطوط العربي الإسلامي في العالم، وذلك بالحديث أولا عن بعض خزائن جمع هذا المخطوط وفهرسته وتكشيفه في بحثٍ عن تاريخ الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط بالمملكة المغربية، ثم ببحثٍ يرصد حركة تحقيق المخطوط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا، وبآخر يرصد وجود المخطوط التاريخي المغربي الأندلسي في مكتبات مكة المكرمة.

ولقد خُصّص الباب الثالث من هذا الكتاب الجامع للقاءات العلمية التي كانت عن بُعد- لثقافة المحقق وتصحيح بعض المفاهيم، فكان البحث الأول من هذا الباب عن الخط العربي وأنواعه مع ذكر نماذج منه، بينما كان البحثان الآخران عن محاولة تصحيح مفهوم " التراكم"، و" التكامل " في تراثنا العربي الإسلامي، وبيان حاجة الباحث إلى علم الحديث وفق تصور علميٍّ معاصر وحديث.

وانتهى الكتاب بباب رابع عن تاريخ بعض العلوم في الحضارة العربية الإسلامية، مع تخصيص الأفق الغربي من العالم الإسلامي بمزيد عناية واهتمام، فكان البحث الأول عن تاريخ الرياضيات العربية الإسلامية، بينما كان البحث الثاني عن الطب في المغرب الأقصى والأندلس، وخصّص البحث الثالث للحديث عن دور علماء القرويين في النهضة العلمية في المغرب طوال عصوره الزاهية.

وإنّ الناظر في كَتَبَة هذه البُحوث ومُبدعيها ليجدُ أنهم من جهابذة الموضوعات التي ندَبُوا أنفسَهم للحديث عنها، إذْ هم من المتخصّصين الكبار

فيها، الضاربين بسهم وافرٍ في التأليف فيها والكتابة عنها.

والشكرُ موصولٌ إلى هذا الطّراز الرفيع من العُلماء، الذين استجابوا لدعوة المركز محاضـرين، ومسـاهمين في هذا النّشـر العلمي لهذه اللقاءات العلمية، فشكراً شُكرا وبارك في جهودهم، وأثابهم المولى ثوابا جزيلا، وشكَر سعيهم كثيرا.

وإنَّ المركز إذْ يسعدُ اليومَ بتقديم هذه اللقاءات لموسم علميّ جديد، في ثوبٍ جديد، ولباسٍ أنيق- ليشكرُ كلَّ مَنْ ساهم في هذا الإخراج الجميل لهذا العِلق النفيس، ويدعو الله جلَّ وعلا أن يديم علينا نعمه، ويُواصل علينا آلاءه، وأن يوفقنا لما فيه خير المخطوط الإسلامي عامّة، والمخطوط المغربي الأندلس خاصّة، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

وكتبه: الأستاذ الدكتور محمد بن زين العابدين رستم

بعد عشاء يوم الأحد 14 من شهر ذي القعدة عام 1446هـ

في وقف جنة العريف في حد السوالم في ظاهر مدينة الدار البيضاء من أرض المغرب الأقصى

الباب الأول
جهود علماء الأمة
في خدمة المخطوط العربي الإسلامي

الفصل الأول:
جهود العلماء النيجيريين في نشر الثقافة العربية الإسلامية في دول الغرب الإفريقي[1]

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تعتبر نيجيريا واحدة من الدول الواقعة في غرب إفريقيا، وهي أكبر دولة إفريقية من حيث عدد السكان الذي كان يقدر في 2021م بأكثر من مائتين وثلاثين مليون نسمة، وكذلك من حيث عدد المسلمين فيها.

دخل الإسلام فيها في وقت مبكر بعد دخوله بلاد المغرب العربي.

وتهدف هذه الورقة الوجيزة إلى إبراز مساهمات بعض العلماء في هذه الدولة في نشر العلوم الشرعية واللغوية والأدبية بغية تحفيز الباحثين والدارسين على نفض الغبار عن نتاجاتهم العلمية والاستفادة منها، علهم يواصلون إضافةً لبنات إلى ما قام به سلفنا الصالح من بناء الصرح العلمي.

وليس الهدف الحصر والإحاطة في ذكرهم ومساهماتهم، فهذا مستحيل، وإنما تكتفي الورقة بذكر بعض المشهورين منهم، وذكر جانب يسير من إسهاماتهم في العلوم المذكورة. وذلك في مبحثين: الأول منهما: في دخول

---

(1) أ. د/ يحيى إمام سليمان. نجيريا

الثقافة العربيـة الإســلاميـة إلى نيجيريـا. والثـاني: في مســاهمـات العلمـاء النيجيريين في نشــر الثقافة العربية الإســلامية، ثم خاتمة تحوي بعض أهم النتائج التي توصلت الورقة إليها.

المبحث الأول: دخول الثقافة العربية الإسلامية إلى نيجيريا

نيجيريا كواحدة من دول غرب إفريقيا، لها علاقة قديمة التاريخ بالعرب من شــمال القارة. فإذا نظرنا إلى موقعها من إفريقيا الشــمالية " نرى أن ثلاثة من أهم طرق القوافل التي كانت ولا تزال تخترق الصــحراء الكبرى جنوبا، تلتقي كلها داخل نيجيريا.

أولها يبدأ من طرابُلس، مارّاً بفزّان وكَوَار وينتهي في بَرْنُو داخل نيجيريا.

وثـانيهـا يبـدأ من تونس وينتهي في كَانُو، في حين أن الثـالـث يبدأ من تافِلَلت في المغرب وقد تفرّع فرعين، أحدهما يمرّ بِسِجِلْمَاسَةَ وتَغَارَةَ، والآخر بتُوَتَ وأُودُغَسْــتَ، فيجتمعان كلاهما في تُمْبُكْتُو، ومنها يتوجه شــرقًا إلى كَانُو"[1].

فهذه الطرق تعتبر رابطا قويا بين الجانبين من الناحية التجارية ومســهلا لكل تواصل بينهما.

تثبت المراجع التاريخية أن الإسلام تسرب إلى السودان الغربي من أقطار إفريقيا الشمالية في وقت مبكر منذ عهده الأول[2].

---

(1) علي أبوبكر (الدكتور)، الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 عام الاستقلال، دار الأمة للطبع والنشر والتوزيع كانو، نيجيريا، الطبعة الثانية، ص 41 -42.

(2) انظر بعض تلك المراجع في: علي أبوبكر(الدكتور)، الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 عام الاستقلال، دار الأمة للطبع والنشر والتوزيع كانو، نيجيريا، الطبعة الثانية، ص 43 – 47.

ويرجع الفضل في انتشاره إلى الجهود المبذولة من قبل الدول الإسلامية التي قامت في منطقة منحنى النيجر أمثال: مملكة صَنْهَاجةِ الجنُوب، ودولة المرابطين، ومملكة غَانَا، ومالي، وصُنْغَاي، وكذلك مملكة كَانِم وبَرنُو في منطقة بُحيرة تشَاد.

وقد ساعد على انتشار الإسلام وعلومه في شمال نيجيريا كون طرق القوافل المذكورة ممرا لوفود الحجاج القادمين من السودان الغربي إلى بيت الله الحرام.

وقد كان العلماء – أيضا – يتدفقون عبرها وفودا وأفرادا مصاحبين للتجار لنشر الدين الإسلامي وعلومه في المناطق؛ نذكر على سبيل المثال الزيارة التي قام بها وفد الونغراويين، وزيارة الشيخ أحمد بن عمر بن محمد أقيت، والشيخ الإمام عبد الكريم المغيلي إلى مدينة كَنُو، وغيرهم كثير.

ومن شمال البلاد "بدأت طلائع الدعوة الإسلامية في الاتجاه جنوبا نحو حزام السافانا الغنية ومشارف الغابات في الجنوب النيجيري عن طريق هجرات عدد من الهوساويين والبرناويين وغيرهم من التجار الذين تكاثرت أعدادهم فأسسوا عددا من المدن والقرى ومنها (ربوة السنة) التي تأسست حوالي 1700م، وبدأ ظهور عدد من المساجد في كبريات مدن اليوربا، حيث أسس مسجد مدينة أويو عام 1755م، ومسجد مدينة (إسين) عام 1770م، ثم مسجد مدينة لاغوس 1775م[1].

ولما قامت الحركة الجهادية في بلاد الهوسا على يد الشيخ عثمان بن فودي، أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ازداد الإسلام انتشارا في نيجيريا

---

(1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، تقديم: عبد الحفيظ أُولادُوسُو، (نسخة في موقع: المستودع الدعوي الرقمي) مكتبة الإسكندرية، 2014م. انظر التقديم ص 18.

حتى استطاع ابن فودي إقامة دولة إسلامية تحت لوائه في مدينة (إلُورن) في بلاد يوربا جنوبَ نهر النيجر، وأصبح ذلك العصر عصر الازدهار للثقافة العربية الإسلامية، حيث قام الشيخ وأعوانه بنشر العلم بين الشعب، ونشطت حركة التأليف، وأصبحت اللغة العربية لغة رسمية للدولة.

ومنذ ذلك الحين استمرت الثقافة العربية والإسلامية تزداد انتشارا وازدهارا، بفضل رجال كرّسوا جهدهم وبذلوا كل غالٍ ونفيس في سبيل دفع عجلة التقدم والتطور العلمي ونشر الثقافة العربية الإسلامية، من خلال الوعظ والإرشاد، والتعليم والتأليف، ولا يجزيهم في ذلك إلا الله.

المبحث الثاني: مساهمات العلماء النيجيريين في نشر الثقافة العربية الإسلامية

لقد ساهم علماء نيجيريون - لا يعلم عددهم إلا الله - في نشر الثقافة العربية الإسلامية:

1 فمن المشهورين منهم أبو عبد الله محمد بن مَسَنِه البرناوي أصلا الكشناوي مولدا. كان من علماء القرن السابع عشر الميلادي، نشأ في مدينة كَشِنَ، أخذ فنون العلم عن نحارير علمائها حتى ارتوى وامتلأ علما وفقها وفضلا وكرما، وذاع صيته في الآفاق. فقد كانت كَشِنَ في عصره زاخرة بالعلم والعلماء، "وفد إليها عدد غير قليل من العلماء المصاحبين للتجار، كما استقر فيها كثير من علماء تمبُكتُ الذين هربوا نتيجة انهيار إمبراطورية سُنْغَاي في القرن السادس عشر الميلادي"[1].

توفي الشيخ محمد بن مَسَنِه وهو ابن خمس وسبعين، في كَشِنَ قبيل

(1) أدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، الطبعة الثالثة 1398هـ = 1978م، ص 31.

ظهر يوم الأحد، الثالث من رجب سنة 1078هـ الموافق 1667م. ترك محمد بن مسنِه آثارا علمية تدل على وفرة علمه، ورد ذكرها في بعض المصادر، وللأسف الشديد إن أكثرها مفقود، نذكر منها: النفحة العنبرية في حلِّ ألفاظ العشرينيات؛ وهو كتاب كبير الحجم في شرح تخميس عشرينيات الفازازي لابن مهيب، حقق الباحث نصف الكتاب تكملة لنيل شهادة الدكتوراه، ويسأل الله أن ييسر له تحقيق النصف الثاني. وجزء لطيف منظوم ليس فيه حرف منقوط فوقانية ولا تحتانية من أوله إلى آخره. والبزوغ الشمسية على المقدمة العشماوية[1]. وتزيين العصا بضرب هامة من عصى. وعين الخلاص في تلاوة سورة الإخلاص. شعاع الربا في تحرير فقهاء يُرُبَا؛ يقول الشيخ آدم عبد الله الإلوري عقب حديثه عن الإسلام في بلاد يُوربَا: "ومن الأسف أن نسمع بأن الشيخ محمد بن مسَنِه الكشناوي المتوفى 1078هـ قد ألف كتابا سماه (أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا) فضاع الكتاب في خبر كان، ولو عثرنا عليه لأفدنا الكثير من أخبار هذه البلاد القديمة"[2].

ومن مؤلفات ابن مَسَنِه أيضا نبذة يسيرة على ما يقبل الصرف وعدمه. وفتح المرام لمثل قصيدة ابن هشام. ونظمٌ في عدِّ شراح المختصر؛ وهو منظوم لطيف ذكر فيه العلماء الذين شرحوا مختصر الخليل في الفقه المالكي، مظهرا إعجابه بشرح الشيخ أحمد باب التنبكتي، استفتحه بقوله:

تالله لولا جامع المنافع ... ما فاز سوداني بفهم رافع
لمشكل مختصر الخليل ... أوضحه بفهمه الجليل
وأبواه الفتح والجواهر ... أصلهما الكبير وهو الماهر

(1) شرحٌ للمقدمة العشماوية، وهو مفقود، ذُكر في المصدر السابق.

(2) أدم عبد الله الإلوري، مرجع سابق ص 44.

وفيه يقول:

عليك بالسـوداني يا سـوداني	والـزمـه تـدريسـا بـلا تَـوانِ
يـكـون سـلَمًـا لشـرح قبلـه	وفـك لفظ المتن مـا قيـل لـه

2 ومن العلماء المشـهورين في القرن الثامن عشـر الميلادي في نيجيريا شيخُ الإسْـلامِ، وسـيِّدُ سَـادَاتِ الأعلامِ، ومُحيِي سـنّةَ سـيّدِ الأنامِ، أبو محمد عثمانُ بْنُ محمد بن عثمان المعروفُ بابن فُودِي. تعلم على يد شـيوخ كثيرين، منهم: "الشـيخ الحاجُّ المتفنن التقي جبريل بن عمر، والشـيخ العالم المحدّث محمد راجٍ، والشـيخ العالم محمّد بِندُوؤ، والشـيخ بِندَورٍ وكان عالما تقيّا مشـهورا بالصـلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاشـتغال بما يعنيه، وعليه قرأ شيخنا مختصر خليل"[1].

بدأ الشيخ الدعوة والإرشاد في سن مبكر، وقاد الجهاد الإسلامي الذي أدى إلى تأسـيس الخلافة صَـكُّتِيّة (1804 – 1903م)، واسـتمر يدرس الناس العلم ويَدْعُو إلَى دِين اللهِ تعَالى ويُحيي السُـنة المحمَّدِيَّة صـلى الله وسـلم على صاحبها، ويخمدُ البِدْعَةَ الشَّيطانيَّة إلَى أنْ صَارَ إلَى رحمةِ اللهِ تعَالى.

وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله بن فودي في قصيدة له[2]:

عُثْمَانُ مَنْ قَـدْ جـاءَنـا في ظُلمةٍ		فـأزاحَ عـنَّـا كـلَّ أَسْـوَدَ دُجْـدُجِ
ودعَـا إِلَى دينِ الإلَـهِ وَلَمْ يَخَـفْ		فِـي ذاكَ لَـوْمَـةَ لائـمٍ أو فَـجْـفُـجِ
فَانْصَـاتَ خلقٌ حِينَ صَاتَ لِصَـوْتِهِ		وعَـلا لَـهُ صَـيْـتُ فُـوَيْـقَ الأَبْرُجِ

(1) غدَادُ بن لَيْمَ، روض الجنان في ذكر بعض مناقب الشيخ عثمان، كتبه محمد بِلُّ بن أبي بكر غُنْدُ، وطبع بمطبعة عِيَن قَسَا كَنُو، ص 76.

(2) انظر القصيدة في: عبد الله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات، شرح وتحقيق: عمر بن محمد بوي، الأَمِين فرِيسْ لِمِتِيدْ صَكُّتُو، ص50.

بُشْـرَى لأمَّـةِ أحمـدٍ ببلادِنَـا السّ ودَانِ فِـي هَـذا الـزَّمـانِ المبـهَـجِ
كَمْ سُـنَّـةٍ أحيَيْتَـهَـا وضـلالـةٍ أَخْـمَـدْتَـهَـا جَـمْـرًا ذكَـى بِتَـأَجُّـجِ
وَطَلَعْتَ في أرضٍ عوائدُها عَدَتْ وَتخـالَـفَـتْ سُـنـنَ النَّبِيِّ الأَبْهَـجِ

إلى آخر القصيدة.

توفي الشيخ عثمان - رحمة الله عليه- وهُو ابنُ ثلاثٍ وستِّين، ليْلَةَ الإثْنينِ في شَهْرِ اللّهِ جُمَادَى الآخِر سنة 1232هـ، الموافق 1817م.

وَلَهُ مُصنَّفاتٌ ومؤلَّفاتٌ كثيرة، ذكر بعضها عبد القادر بن غِدادُ: فمنهَا: كتابُ نُور الألبَاب، وكتابُ عُمْدة العِبَاد، وكتابُ عُلوم المعَامَلة، وكتابُ عُمْدة العُلماء، وكتابُ عُمْدة المتعبِّدين، وكتابُ مِرْآة الطُّلاب، وكتابُ نَصِـيحَة أَهْلِ الزَّمَانِ، وكتابُ إسْنَاد الفَقِير، وكتابُ إسْنَاد الضَّعيفِ، وكتابُ السلاسِل الذَّهبيه، وكتابُ كَفّ الطَّالبين عَلى تَكْفيرِ عَوَام المسـلِمِينَ، وكتابُ دَعْوة العِبَادِ إلى كِتَابِ اللّهِ، وكتـابُ أصُـولِ الولايـةِ، وكتـابُ تَرْغيـبِ عبَاد اللّهِ في حِفْظِ عُلومِ دينِ اللّهِ، وكتابُ رُجُوع الشَّـيخِ السُّـنوسِـي عَنِ التَّشـديدِ عَلى التَّقليدِ، وكتابُ تمييزِ المسـلِمِين مِنَ الكَافِرِينَ، وكتابُ التَّصـوف، وكتابُ التَّلخيص، وكتابُ سـوق الصَّـادقين، وكتابُ إحياء السُّـنة وإخمَاد البِدْعَةِ، وكتابُ بيان وُجُوبِ الهجرةِ، وكتابُ الجِهَاد، وكتابُ شِفَاء الغَليلِ مِنْ كلِّ مَا أشْكلَ مِنْ كَلام شيخِنَا جِبرِيلَ، وغيرُهَا[1].

3 ومِنهُم العَالم العلّامَةُ، شيخُ الشُّيوخِ، أبُو محمد، عبدُ اللّهِ شقيق الشيخ عثمان بن فودي. وصـفه عبد القادر بن غِدَادُ قائلا: "لهُ القَدَمُ الرَّاسِـخ، والرّحبُ الواسِع في كُلِّ مُشْكِلٍ. سيفُ اللّهِ عَلى ذَوي البِدْعَةِ. مَعدن الصِّدْقِ والعِلْمِ، وزنادُ

---

(1) أنيس المفيد في التعلق بمشائخنا القواد، تأليف عبد القادر بن غِدَادُ، دراسة وتحقيق: دكتور يحيى إمام سليمان، نور نشر، ألمانيا 2017م، ص56 – 58.

الفَهمِ. كَانَ آيَةً في تَحقِيقِ العُلومِ، مُفْرِطَ الاطِّلاعِ عَلى الفنُونِ. جَامِعَ شَـتَات العُلُومِ. فَاضِلَ وقتهِ، وأُعْجُوبةَ أوَانِه".

ما زال مع شـقيقه الشيخ عثمان على إحياءِ السُّـنن وإخمادِ البِدَعِ، وقمعِ الظّلمة إلى أنْ صَـــارَ لرحمةِ ربِّه. وفيـه يقول محمد البخـاري بن عثمان في قصيدة له[1]:

وَلَقَدْ حباكَ الدّهرُ شـيخًـا مَا لهُ ... في العِلْمِ في تِلْكَ الأَرَاضِـي مَاثِلُ
أَعْنِي إِمَامَ العصـرِ عبدَ اللهِ مَنْ ... سَـادَ الشُّـيُوخَ النبلَ مُذْ هُو شَـائِلُ
شَـيخُ العُلومِ خَـدِيمُهَا تبَّـاعُهَـا ... خِدْنُ التّقى الحَبرُ النبيـلُ الكَامِلُ
عَلَمُ الهدى سَـعدُ الزَّمانِ عِمَادُه ... حَـانٌ رفـيـقٌ بـالأنامِ حُـلَاحِـلُ
ذُو شَـــدَّة في دينـهِ متواضِـعٌ ... ذُو هَـيْـبَـة بـرٌّ أمـينٌ عَـاسِـــلُ
علّامـةُ القرآنِ حَـاوِي السَّـبق في ... علمِ الحَـديـثِ والبَلاغَـةِ كَـافِـلُ
بحرٌ محيطٌ يسـتخف الفُلْكَ في ... نَحو وَفي الأصْـلَيْنِ غيـثٌ وَابِـلُ
إنْ هَاجَ في التَّصريفِ أَوْ في أَصْلِهِ ... عِلْمِ اللُّغـاتِ فَلَيْسَ يُوجد قَـائِـلُ

إلى آخر الأبيات.

توفي رحمة الله عليه في ليلةِ الأربعَاءِ - رضـــي الله عنه- وهُو ابنُ ســتٍ وستِّين، أوّل سنةِ 1245هـ الموافق 1829م.

وله مؤلفات كثيرة، منها: مِفتاحُ الأصُول، وسلالةُ المفتاحِ، وضِيَاءُ التَّأوِيلِ في معاني التنزيل، وكتابُ كِفَاية ضُـعفاءِ أَهْلِ السُّـودان: وهو تلخيص ضـياء التـأويـل، وكتـابُه ضــيـاءُ الحكّام فيما لهم وعليهم من الأحكام، وضـيـاءُ السِّياسَات، وكتابُه في عِلْمِ التَّصريف الذي سماهُ بالحِصْنِ الرصين: وهو ألفية في علم الصــرف، وفتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي، وتزيين

---

(1) انظر القصيدة كلها في: المصدر السابق، ص 59 – 64.

الورقات لبعض ما لي من الأبيات: وهو ديوان شعر، وروض العاشق في مدح سيد العباد، وإيداع النسوخ من أخذت منه من الشيوخ، وغيرُها مما ينيفُ عَلى مائةِ مؤلّفٍ.

4 ومنهُم شيخُ الشّيوخ محمد بِلٌّ بنُ عُثمان بنُ فُودِي. أخذ العلم عن والده، وعمه عبد الله بن فودي، وعن كثير من علماء زمانه، فاشتغل بالدعوة والإرشاد والتعليم والتأليف. وصَاحَبَ والده الشيخ ووَازَرَهُ، وقامَ بأمُوره، وسكن الرباط، وجاهدَ العَدُوَّ، وأَنفَقَ بقدرِ طَاقتهِ عَلى الموسِع قَدَرُه وعَلى المقتِرِ قَدَرُه إلى أن انتقل إلى رحمة ربه.

تُوفِّيَ في قَريةِ رباطِه وُورنُو يومَ الخَمِيس وهُو ابنُ ثمانٍ وخمسِين، سَنة 1253هـ الموافق 1837م.

وله مؤلفات كثيرة منها: "كتابُ تمهيد العِمَادِ فِيمَا زَادَ عَلى عُمْدَةِ العِبَاد، وتخمِيسه للقَصِيدَةِ القادريَّة لعمِّه الأُسْتَاذِ، وكتابُ تَرجمان عَلى عِلْمِ التَّبصِير، وكتابُ إنفَاق الميْسُور في تَاريخِ بِلَادِ التّكرُورِ، وكتابُ جلَاء الصُّدورِ عَنْ صَدَإِ الغرُورِ في عِلْمِ الرَّقائِق، والكتابُ المسمَّى بالغَيثِ الوَابِلِ في سِيرة الإمَام العدلِ، والسَّيف المسلُول في أحكَامِ الغُلولِ، وكتابُ مِفتاح السَّدَادِ في أقسَامِ أهْلِ هَذِهِ البِلَادِ، وكتابُ تنبيه الغَافِلِ عَلى التَّوَسُّلِ بأعظَم الوَسَائِلِ، ونظمُه لِإِيسَاغُوجِي في عِلْمِ المنْطِقِ، وكتابٌ آخَر يُسمَّى بمفتاحِ السَّدَادِ في شَأْنِ الأربَعَة الأوتادِ، ومُؤلّفاته في شَأْنِ الغُلول، مِنْهَا: القولُ المبذولُ في ذكرِ مَسَائلِ الغُلول، وضِياءُ العُقولِ في التَّحذيرِ عَنِ الغُلول، وكتابُ المحصُول في جُملة مسائِل الغُلول، وكتابُ جَمع النُّقول في مسائِل الغُلول. وأمَّا السَّيف المسلُول فقد ذكَرناهُ أوَّلا. وكتابُ الغَيْث الشؤبُوب في وصيَّة الأميرِ يَعقوب، وكتابُ المسَائل المهمَّة، وكتابُ مِرآة القَلْبِ في مَعْرفَةِ الربِّ، وكتابُ تَنْبِيه الرَّاقِد عَلى مَا يَغْتَورُ الحَاجَّ مِنَ المفَاسِدِ، وكتابُ نُور الفَجْرِ في الأيَّام المعلُوماتِ والليَالي

العَشر، وكتابٌ في شَأنِ الإيضَاحِ، وكتابُ مَسَائِلِ الجهادِ، وكتابُ النِّسرين فِيمَنْ بَلَغَ مِنَ السِّـن أربَعِين، وكتابُ البُدور المفَسّـرةِ في الخِصَـالِ الموجِبة للمَغفرةِ، وكتابُ الدُّرر الزَّاهرِيَّة في الأورادِ القَادِريَّة، وكتابُ التَّنبيهَات الواضِـحَات، وكتابُ بَيَان الأركَانِ والشُّـروطِ للطريقةِ الصُّـوفيةِ، وكتابٌ في عِلْمِ الجَفْرِ والخوافي، وكتابٌ في فَضْلِ الفَاتحةِ، وشرحُه عَلى حِزْبِ البَحر، وشرحُه عَلى الوِرد الجامع لنور الاهْتِدَاءِ والاقتِدَاءِ، وكتابُ كَشْف القِنَاع والأسْتَارِ في شَأْنِ سيِّد الاسْتغفارِ، وكتابُ رَفْع الاشْتِبَاهِ في التَّعَلُّقِ بِاللهِ وَبِأهْلِ اللهِ، وكتابُ تَنبِيه الأفْهَامِ عَلى المهْدِي رضـي الله عنه هُو الخِتَامُ، والكتابُ المعرُوفُ بالذِّكرى، وكتابُ إفادَة الإخْوَانِ، وكتابُ النَّصِـيحَة، وكتابُ سَـرْدِ الكَلَامِ فِيمَا جَرَى بيننا وبَيْنَ عَبْدِ السَّـلام، وكتابُ تَنْبيه الجَمَاعَةِ عَلى أحكامِ الشَّـفاعة، ورسـالةٌ في الأَمْرَاضِ الشَّافِية، والكتابُ المعروفُ بالقَولِ السَّنا في التمشِّي بالسَّنا، وكتابُ تَنبيهِ الإخْوَانِ عَلى أدويةِ الدِّيدانِ، وكتابُ مصـوغ اللّجين في أمْراضِ العَينِ، ومختصـرهُ الطِّب الهيِّن في أَدْويةِ العَين، وكتابٌ في أَدْوِيَةِ البَاسُـورِ، وكتابُ نصحِ كَاف ولِلأمْرَاضِ شَاف، وتعليقٌ وجيزٌ في شَرحِ قصيدتهِ الطبيَّة لتفصِيل الطّعُومِ، وكتابُ تنبيهِ السـامِع، وآخَر يُسـمَّى بتنبيهِ الصَّـاحِب، وكتابُ كِفَاية المهتَدِينَ عَلى أَحكَامِ المخلَّفين، وتخميسُه عَلى قَصِيدَةِ بَانَتْ سُعَادُ، وتخميسُه للبردَةِ، وشـرحُه للبدماصـي، وكتابُ تنبيهِ أهلِ العُقول عَلى الاجْتِنَابِ في الخَوْضِ في أنْوَاعِ الفضُولِ، وكتابُ جِلَاء الصَّمَم في أمراضِ الأَحْوَالِ والأقْوَالِ والهِمَمِ، ومنظومٌ في شَـأْنِ القُطْبِ، والكتابُ المسـمَّى بشَـمْسِ الظَّهيرة فِيمَا يجبُ عَلى الوَالي مِنْ حُسْـنِ السِّـيرة، وكتابٌ في عِلْمِ الجُمَلِ النَّحوية، وكتابُ التَّحرير في قَواعِدِ التَّبَصُّـر، وتعليقٌ وجِيزٌ عَلى منظُومهِ الذِي رسـمهُ بسِـلْكِ جَمالِ الدُّرر، وكتابُ التَّربيح في صَـلاةِ التَّسـبيح، وكتابُ فَتْح البَابِ في ذِكْرِ بعضِ خَصَائِصِ الشَّيخ عَبْدِ القَادِرِ رضي الله عنه فَرْدِ الأحْبَابِ، وكتابُ الكَوَاكِب الدُّرية في بَعْضِ مصـطلحاتِ الصُّـوفية، وكتابُ النَّصـائِح والتَّنبيهات عَلى

مَقَاصِــد مُهمَّات، وآخَر يُســمَّى القولُ المحبُّ في جَمع الثُّقولِ إذْ الجُمُعَةِ عِنْدَ الزَّوالِ وعِنْدَ جُلوس الإمَامِ عَلى المنبرِ، وكتابُ الإعْلَام فيمَا يَجِبُ عَلى الإمَامِ، وكتابُ نُصْح كَاف وبالمقصُود وَاف، وهُو آخرُ مؤلّفاتهِ رضي الله عنه"[1].

5 ومنهم الشيخ محمد الثَانِي بن حسن كَافُنْغَ البرناوي أصلا، الكنوي مولدا، نشـأ في بيت علم وصـلاح، وتلقى العلم عن شـيوخ أجلاء الذين تحتفل بهم مدينة كَنُو آنذاك، منهم: محمد الرابع بن يونس، ومحمد بن عمر سَــلْغَ ثم ابنه عبد الله بن محمد بن عمر سَــلْغَ، ومحمود سَــنْكَ، وأبو بكر مِجِنيَوَ بن محمد، ومَالَمْ ثَانِي شَاظَارِي Shatsari، ومصطفى (قَاضي مدينة بِثِ)، وصـالح الشـهير ب (غَاتَرِنْ بَقِي) السـاكن في مدينة كَشِــنَه، كما أخذ عن العَلَم الشـهير بمَالَمْ إبراهيم نَظُغُنِّي Natsugunne. وقد درس على هؤلاء وغيرهم كتبا كثيرة في علوم مختلفة، من القرآن والتفسير والحديث والفقه والتصوف واللغة والأدب، وقد ذكر بعض هؤلاء العلماء الذين تلقى عنهم في كتابه "مرآة الحق"[2]. وهب الشـيخ كَافُنْغَ نفسـه في نشـر العلم، ففتح معهدا في داره أوقف نفسـه عليه وقام بمهمة التدريس فيه خير قيام، وأمَّ المعهد طلاب كثيرون من داخل مدينة كَنُو وخارجها يغترفون من بحر علومه.

توفي الشيخ محمد الثاني كَافُنْغَ سنة 1409هـ الموافق 1989م.

وله مؤلفات قيمة في مجالات مختلفة، منها: الإفادة في ذكر من جاء للعيادة (شعر في خمسة وخمسين وخمسمائة بيت)، وتسهيل الصعاب بشرح بعض ألفاظ الشـهاب، والتيسـير في التزوج والتزويج للغني والفقير، والدلائل السـامية في أصـل التصـوف واتخاذ شـيخ التربية، وديوان نيل الأماني في أشعار محمد بن الحسن (شعر)، وسبيل الرشاد في الرد على مؤلف قمع الفساد،

---

(1) السابق، ص74 – 81.

(2) طبع هذا الكتاب بمطبعة عِنْ قَسَا، كنو.

وشرح كتاب الدالية للشيخ أبي علي اليوسي، غاية الأماني في سيرة سيدي أحمد التجاني، وقصيدة الفتوحات النصراوية (في ثمانية وستين وأربعمائة بيتا).

6 ومنهم الشيخ العلامة آدم عبد الله الإلوري، نشأ في بيت علم وأدب، فلازم والده في صغره، وبدأ تلقي مبادئ العلوم اللغوية والدينية منه[1]، ثم أخذ فنون العلم والأدب عن كثير من أساتذة عصره أمثال: الشيخ صالح المشهور بـ(أيسن نوبو Esin Niobiwa) في إِبَادَن، والإمام عمر بن أحمد الأبهجي في لاغُوس، والشيخ آدم نَمَأَجِ (ت1260هـ/ 1944م) في كنو، واصل الطلب بعد وفاة أستاذه نَمَأَجِ "عند رجل عربي سوري يقال له السيد موسى الأمين، وكان يزوره العلامة الإلوري مرة تلو أخرى عند إقامته بلاغوس أو بِنِين (دَاهُومِي) واستفاد منه دقائق علمية وفرائد أدبية"[2]، كما سافر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف إلا أن الظروف أدت إلى رجوعه إلى بلده ولم تسمح له بالمكث. تفرغ الشيخ بعد فترة التحصيل العلمي للتدريس والدعوة الى الله والإرشاد إلى أن انتقل إلى رحمة ربه.

توفي الشيخ الإلوري سنة 1413هـ الموافق 1993م. خلف مركزا علميا لا يزال نوره يشع في كل الأنحاء. ومؤلفات كثيرة، منها: تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، والإسلام والتقاليد الجاهلية، والإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، ونسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوروبا، والإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، وأصول المذاهب الأربعة، ومصطلح علم

(1) انظر: آدم عبد الله الإلوري، من هنا نشأت هكذا تعلمت حتى تخرجت، مطبعة الثقافة الإسلامية أغيغي لاغوس، ط1 1978م، ص5.

(2) سليمان صالح الإمام الحقيقي، صور من النثر الفني لدى العلامة الإلوري (دراسة تحليلية)، مركو المضيف للكومبيوتر والإنتاجات الطباعية إلورن، 1427هـ/2006م، ص.

الحديث، ومصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ولباب الأدب (في 3 أجزاء)، والمقطوعات الأدبية، وأشـعة العقول والنقول على أضـواء القنديل والفضـول (كتاب نقد)، ودروس علم البلاغة، وشـرح أيا طالب الإعراب (لابن فودي)، وتصـريف الميداني، والفلك والنجوم، وفلسـفة النبوة والأنبياء على ضـوء الكتاب والسـنة، وآثار العلم والفلسـفة والتصـوف في مسـير الدعوة الإسلامية، وشرح جوهرة التوحيد.

7 ومنهم العالم الجليل الشـيخ محمد الناصـر كَبَرَ، ولد بقرية غُرِنْغَاوَا، من ضواحي مدينة كَنُو، في بيت عريق التاريخ بالعلم والصلاح. التحق في باكورة حياته بكتّاب الشيخ المُقْرِئ محمد غَجِيرِي Gajere في حَارةِ سُورُنْطِنْكِ Soron dinki، ثم تلقى فنون العلم في معاهد على يد كثير من العلماء، أمثال: الشـيخ محمد الثان نائب إمام الجامع الكبير بكنو، والشيخ القاضي إبراهيم بن الأستاذ عثمان، وقاضـي بِثِ الحاج مصـطفى، ومَالم عبد الكريم الملقب بسَـابُو Sabo، ومَالَمْ إِنُوَ في حارة مَيَنْكَا Mayanka، والشـيخ إبراهيم نَظُغُنِّي، كلهم في مدينة كَنُو. كما اغتنم الفرصة وأخذ العلم عن علماء لم يكونوا من أهل نيجيريا وإنما جاءوا إليها للزيارة أو المرور إلى الحج أو غير ذلك من الأسباب، فمنهم: الشيخ مولاي عبد الرحمن، الذي وفد من غَاوُ في مالي. والشـيـخ محمد بن الشُّـرَّاح. والشـيـخ شـريف محمد بن زين العابدين الملقب بشـريف سَـمِعْثُ. وبعد التحصـيل، وهب الشـيخ محمد الناصـر حياته في نشـر العلم والدعوة إلى الله وإلى سـنة نبيه صـلى الله عليه وسـلم. وكان شـعاره الدائم "أنا نشـر العلوم والدرس شُـغلي". كان أول عالم في شـمال نيجيريا – فيما نعلم – قام بإنشـاء مدرسـة إسـلامية نظامية في عام 1958م، كما كان أول من أخذ عصـا السـبق أيضا بين الأفراد والجماعات في تأسيس مدرسة ثانوية عربية في (كَنُو)، على غرار مدرسـة العلوم العربية S.A.S، ومدرسـة الدروس الإسـلامية العالية

بشَاهُوثِي S.H.I.S Shahuci، وسماها كلية تراث الإسلام، وضلك في عام 1980م، وكلتا المدرستان تؤتي أكلها بإذن ربها[1].

توفي رحمة الله عليه في جمادى الأولى سـنة 1417هـــ الموافق 1996م بداره المعروفة بدار القادرية في كنو. وله مؤلفات كثيرة لا تقتصـر على ثلاثمائة، ما بين منثور ومنظوم، منها: الأجوبة الناصـرية في الأسـئلة النيجيرية، والأحاديث المدونة في تحرير أحاديث المدونة، وإحســان المنان في إبراز خبايا القرآن إلى كل حَواري من فقراء الزمان (ترجمة القرآن الكريم بلغة هَوْسَــا، أزهار الحديقة في ترجمة سـيدي الإمام محمد بن عبد الطريم المغيلي، والآس والماس في رحلتي إلى القاهرة وليبيا وتونس ومراكش وفاس، إضــاءة البلاد بحقيقة الميعاد، وإغاثة العباد في كيفية الميعاد، الإمدادات القوية في المزارات الكنوية، والأنجم الدرية في حكم أوراد الكنتية، تحرير أعيان القرن الحادي عشر وبعض الثاني عشر، وتحفة الطلاب (منظومة في علم النحو)، تنوير الجَنان في تبويب التفسـيرين الرهان: ضـياء التأويل وكفاية ضعفاء السودان لعلامة السودان الشيخ عبد الله بن فودي، سبحات الأنوار من سـبحات الأسـرار (ديوان شـعر)، وسـبيل الجنة في تربية الطريقة القادرية المبنية على الكتاب والسنة، وعين الاجتباء في نظم خلاصة الشفاء، لسان الأرواح من قفص الأشباح، ومختصر كتاب ابن عابدين (مفتي المالكية) في أسـرار الحج، والمعرّب عن نسـب أشـراف العرب، والنفحة المسـكية في سيرة أشرف البرية (ألفية في السيرة النبوية).

8 ومنهم الشـيخ الشريف إبراهيم صـالح الحسـيني: ولد سـنة 1938م في بيت مشـــهود له بالعلم والصــلاح في قرية من قرى ولاية بُرْنُو. حفظَ القرآن

---

(1) انظر: المتبولي شيخ كبر (الدكتور)، صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري دراسة بلاغية تحليلية لنماذج مختارة، شركة القدس للتصدير، القاهرة 2013م، ص 74-65.

الكريم وجوّده، ثم التحق بمعهد العلامة الفقيه المحدي الشـيخ الإمام محمد بن محمد المصطفى العلوي الشنقيطي نزيل بُرْنُو، كما درس فنون الدراسات الإسلامية؛ كعلوم التفسير، والحديث، وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة العربية وفروعها؛ من نحو، وصـرف، وبلاغة، وبديع، ومعاني، بالإضـافة إلى المنطق والفلسـفة، على أيدي أكابر العلماء في نيجيريا، والذين كانوا يشـرفون على المعاهد الدينية التقليدية آنذاك. وقد حصـل منهم على إجازات علمية عالية في جميع تلك الفنون. واتصـل أيضـا بكثير من كبار العلماء في دول إسـلامية مختلفة وحصـل على إجازات من بعضـهم في مختلف العلوم والفنون، ذكرهم في كتابه الموسوم "الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار والأخبار".

لهذا الشـيخ مؤلفات كثيرة مطبوعة وغير مطبوعة في علوم القرآن الكريم، وقواعد التفسير، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والتصوف، وفي الفقه المقارن، واللغة العربية، والتاريخ الإسـلامي، وتاريخ العلماء في البلدان الإفريقية، وغيرها. كما شـارك في بعض مؤتمرات وندوات دولية ببحوث وأوراق عمل. ولا يزال يواصل عطاءه العلمي تدريسا وتأليفا. أطال الله حياته ومتعه بالصحة والعافية[1].

خاتمة:

نستخلص من هذا العرض الوجيز أن الإسلام تسرب إلى نيجيريا في وقت مبكر بعد دخوله مناطق شـمال إفريقيا. وأنه منذ ذلك الحين أخذ الدين الإسـلامي والثقافة العربية الإسـلامية ينتشـران في بلدان جنوب الصـحراء، وازدادا انتشـارا وازدهارا في نيجيريا في عصـر الفودويين، الأمر الذي جعل اللغة العربية لغة رسمية في الدولة آنذاك.

---

(1) انظر ترجمته في: https://sheikhibrahimsaleh.com/ar/biography/about

وأن الله رزق هذه البلاد برجال قاموا مجتهدين في نشـر العلم والحضـارة الإسلامية عن طريق الدعوة والإرشاد والتعليم والتأليف، استطاعوا أن يؤلفوا كتبا ذات قيمة علمية لا يعلم عددها إلا الله، وما نشـــر منها إلا جزء أقل من القليل.

وأخيرا نسأل الله أن يكون ما ورد في هذه الورقة حافزا للباحثين الأفارقة وغيرهم أن يهتموا بعلماء بلدانهم ونتاجاتهم العلمية.

والله من وراء القصد، وله الحمد أولا وآخرا.

الباب الثاني
العناية والاهتمام بتحقيق المخطوط العربي الإسلامي في العالم

الفصل الأول:

تاريخ الخزانة الحسنية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله عليه وسلم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

نتناول في هذا الموضوع نشأة المكتبة الحسنية المصطلح عليها حالياً بالمكتبة الملكية، والحديث عن الأطوار التي مرت بها تاريخياً، ثم نعقب على ذلك بالحديث عن بعض نوادر المخطوطات المحفوظة بهذه الخزانة، وكيف انتقلت عبر مراحل، من عصر المرابطين وعصر الموحدين مرورا بعصر الوطاسيين والسعديين إلى عصرنا الحالي.

وقبل الحديث عن هذه الخزانة المولوية الشريفة لابد أن نتحدث بعجالة عن تاريخ هذه المكتبة، فمنذ عهد الدولة الإدريسية إلى عصرنا الحالي، مرت المكتبة المغربية عموما بعدة مراحل:

أولاً: انطلقت الخزانة الملكية من العهد الإدريسي إلى عهد الدولة العلوية الشريفة، فقد تكونت في العهد الإدريسي على يد يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس الحسني العلوي المتوفى بمدينة المهدية حوالي سنة 332 هـ، والذي ترجم له في "جذوة الاقتباس" بأنه كان أول ملك أمر بإنشاء خزانة وسهر عليها بنفسه، وقد كان ذلك في أواخر الدولة الإدريسية، فكان هذا الملك يحيى الرابع أول ملك أسس مكتبة ملكية مغربية عربية.

ثم جاء بعد ذلك العهد المرابطي الذي وحد المغرب وقضى على ملوك

---

(1) أ.د عبد المجيد خيالي المغرب

الطوائف، ونقل يوسف بن تاشفين ذخائر الكتب التي كانت توجد في الأندلس إلى مراكش.

فأسس ملوك المرابطين خزائنهم بما صار إليها من ذخائر ملوك الطوائف، وجلبوا الكتب إلى المغرب في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي سار على درب أبيه في اقتناء الكتب وتشجيع عملية النساخة؛ ونجد عبد الواحد المراكشي يتحدث عن تحريق الموحدين لهذه الكتب، مما يدلنا على أن هذه الخزانة المولوية أو خزانة يوسف بن تاشفين كانت مليئة بالكتب وأنواع الفنون إلا بعض كتب الفلسفة وبعض كتب المنطق التي كانت محرمة في عصره.

فلما جاءت الدولة الموحدية مدت يدها إلى الخزانة المرابطية فأحرقت كل ما يوجد فيها من كتب الفقه ومن كتب فروع الفقه حتى قال عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب، وهو يتحدث عن تحريق الموحدين لكتب الفروع التي كانت تزخر بها المكتبة المغربية في العهد المرابطي، قال: "لقد شاهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار".

فهذا كان رآه في فاس، فكيف في ربوع البلاد كلها؟ فعبد الواحد المراكشي عاش الأحداث الموحدية التي قضت على التراث المرابطي، الذي سادت فيه كتب الفقه دون غيرها، بينما كتب الفلسفة والحكمة والمنطق والتصوف كانت تنعدم في هذه الخزائن.

فلما جاء العصر الموحدي، عصر عهد المهدي بن تومرت نشأت المكاتب العمومية بجانب المكاتب الخصوصية والمكتبة الملكية، وفي العصر الموحدي كانت الخزائن المغربية خالية من كتب الفقه المالكي، إذ ظهرت نهضة أخرى مخالفة لنهضة الدولة المرابطية، فحملوا الناس على ترك كتب الفروع،

وحرقوا كتبها، وأوقعوا المحن بأهلها، فلذا ضاعت كتب فنون متنوعة بين العهد المرابطي والعهد الموحدي.

ثم جاء عهد الدولة المرينية، فعرف عهدها كماً هائلا من الكتب، لكثرة ما أوقفه ملوك المرينيين ولتشجيع النساء وتوفير الكتاب بين يدي القراء.

وفي أواخر العصر المريني وأيام الدولة الوطاسية والسعدية لما احتل البرتغال والإسبان شواطئ المغرب ضاعت عدة كتب بسبب هذا الاحتلال الذي أحرق كتب المسلمين لما سقطت الأندلس، فماذا عسى أن يفعل بكتب الخزائن المغربية لما احتل الثغور والشواطئ المغربية؟

من الأمثلة على ذلك ما فعله الإسبان بمكتبة زيدان السعدي لما أراد نقلها على البحر إلى أكادير عام 1612م، حيث أخذها أحد القراصنة الإسبان، وضاعت من الخزانة نوادر المخطوطات. ومما جاء في كتب التاريخ أن بفضل مكتبة فاس والعراق امتلأت المكتبات الأوروبية، إذ نجدها مملوءة بنوادر وبمخطوطات مغربية أغنت خزائنها،

وكذلك لا ننسى الخزانة المولوية في العهد الوطاسي، حيث بدأ فيها تنافس بين شيوخ الزوايا بتحبيس الكتب، فهنا نجد كل سلطان يأتي في عصره إلا وله خزانة داخل القصر وخزائن أخرى في الزوايا والمدارس، وعمل على توفيرها بين أيدي القراء والباحثين.

ومن مميزات العصر السعدي أنه غرس ذاكرة عتيقة ونفيسة، منها: المصحف الكبير لعقبة بن نافع، وخزانات أحمد المنصور التي كانت فيها نسخ نادرة، منها: أصل ابن سعادة من صحيح الإمام البخاري، وقد التقطها لنا بروفنسال سنة 1928م، وهذه النسخة الأصلية التي نقلها ابن سعادة عن صهره الصدفي هي محفوظة الآن في المكتبة الوطنية وبعض الأجزاء منها في

مكتبة القرويين، ثم أصل ابن خير لصحيح مسلم كذلك ظهر في عهد الدولة السعدية، فمحمد بن خير بن عمر اللمتوني الأموي الإشبيلي المتوفى في سنة 575 هجرية، يعتبر من حفاظ الحديث، بيعت كتبه لأهمتها بأعلى ثمن. وتوجد نسخة بمكتبة القرويين بفاس بخط الشيخ الأديب الكاتب أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر الأموي الإشبيلي، فرغ من نسخها سنة 573 من الهجرة، وعليها خط محمد بن خير التي عارضها بأصولها، عارض صحيح الإمام مسلم بأصوله الثلاثة معارضة بنسخة الحافظ أبي علي الجياني شيخ القاضي عياض، وكتب ابن خير بهامشه طرراً، أي قرره في حاشيته وألحق به فوائد وشرح غالب ألفاظه.

ويمتاز هذا العهد العلوي الزاهر بكثرة ما جلب من كتب الحديث من المشرق، وفي طالعتها النسخة اليونينية،

أما النسخة الأخرى الفريدة وهي النسخة اليونينية التي ظهرت في عهد الدولة العلوية الشريفة وخاصة التي جاء بها إلى المغرب الحافظ ابن ناصر أحمد بن محمد التمكروتي المتوفى في سنة 1189هـ وله ترجمة في الصفوة فلقد اشترى الأولى من الأصل اليونيني من مكة المكرمة، وهي الآن بالخزانة العامة، أي المكتبة الوطنية بالرباط رقم حفظها 481 ق، وعلى الجزء الأول منها: أحمد بن ناصر كان الله له بمكة المشرفة، وقد اشتراها ب80 دينارًا ذهبا . هذا لمن أرد أن يرجع إلى هذه النسخة، وقد تكلم عنها المنوني رحمه الله في كتابه قبس من عطاء المخطوط العربي في الجزء الأول.

أما تاريخ الدول العلوية الشريفة فقد كان حافلاً بل كان مهتبلاً باقتناء الكتب إلى أقصى حد، فأول من اعتنى بهذا الشأن من الدولة العلوية هو المولى الرشيد بن محمد الشريف بن علي الحسني، وهو مؤسس الدولة العلوية الشريفة بالمغرب، وبويع سنة 1075 من الهجرة، كان يلقب بأمير

المؤمنين، فكانت له مكتبة أسست على أنقاض الخزانة الدلائية، وكان له من ينسخ له الكتب، من أمثال المؤذن السجلماسي، كما جاء في كتاب "الإتحاف" لمولاي عبد الرحمن بن زيدان، وبعد وفاته انتقلت الخزانة الملكية من فاس إلى مدينة مكناس إلى السلطان المولى إسماعيل، فزادت كميتها، وزاد التشجيع في ملئها بالشراء والاقتناء والتحبيس والهدايا، فحوت من التصانيف ما لم تشمله خزانة بغداد، حيث جمعت الكثير من الدفاتر، فلقد اشتملت الخزانة على أسفار ضخام من الدفاتر من كل فن ما يحير العقول، وهذا قد تكلم عنه اليفرني صاحب الصفوة، وصاحب نزهة الحادي قال: وكان القيم عليها اليحمدي، وهو شيخ المولى إسماعيل وكان وزيره. وكان مصير هذه الخزانة لما تولى السلطان المولى محمد بن عبد الله الأمر أن أمر بتوزيع هذه الخزانة الإسماعيلية على خزائن المساجد وعلى خزائن المدارس حتى يستفيد منها الطلاب والقراء وبعض الباحثين الذين لهم إلمام بالفن الذي يدرسونه. ولهذا فكثير ممن يدعي أن السلطان محمد بن عبد الله حين قام بهذا العمل قد ضيع هذه الخزانة، وهذا ليس بصحيح، فكتبها لم يدعها محبوسة في قبوي البلاط بدون فائدة حتى لا تضيع بين الإهمال والأرضة، بل وزعها ليستفيد منها كل باحث، و يا ليت أصحاب المكاتب المغربية يوفقوا لمثل هذا العمل فيحبسوا خزائنهم في حياتهم على الخزائن العمومية قبل أن تضيع أو أن تخرج أو أن تطير إلى خارج الوطن فتصبح في حيز المفقود.

فهنا أقول أن من أهم أعمال السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن جلب من المشرق لأول مرة مسند الإمام أحمد بن حنبل، ولم يكن قبل السلطان محمد بن عبد الله له وجود في المغرب، فجلبه إلى خزانته المذكورة، التي احتضنت نوادر المخطوطات منها مسند أبي حنيفة والشافعي وغير ذلك من الكتب التي زادت من قيمة هذه الخزانة السلطانية.

أما ابنه البار المولى سليمان فقد كتب عن خزانته أبو القاسم أحمد الزياني المتوفى سنة 1249 هـ في كتابه "الروضة السليمانية" الذي ما زال مخطوطا في ذكر الدولة الإسماعلية قوله:" واجتمع عنده في خزانته من كتب التاريخ ما لم يجتمع لأحد لولوعه به".

وبعد السلطان مولاي سليمان جاء ابن أخيه المولى عبد الرحمن، ثم ابنه محمد الذي كان له اعتناء بنسخ كتب الحديث وغيرها، وانتقلت هذه الخزانة أيضاً متسلسلة إلى السلطان المولى الحسن الأول الذي كان له عناية كبيرة بنسخ الكتب وطبعها على الحجر، ولهذا فإن هذه الخزانة لم تبق جامدة أو قابعة على المخطوطات وحدها فقط، بل لما جاء السلطان مولانا الحسن الأول بدأ يدفعها إلى المطابع، أي إلى المطبعة الحجرية التي ظهرت في سنة 1265 من الهجرة.

وكانت كل نسخة من المطبعة الحجرية إلا وتجد فيها تقريرا وإقبالا ومطالعة، فبعد أن تطبع تقدم إلى السلطان فيقرأ مقدمتها ثم يوافق على طبعها، أما بعد السلطان مولاي الحسن الأول فقد سار على دربه بعناية تامة ولده المولى عبد العزيز، ثم المولى عبد الحفيظ والمولى يوسف.

ففي عهد السلطان المولى عبد الحفيظ كانت عنده خزانة متنوعة الفنون من أدب ومن حديث، وكان يساهم بنفسه في التأليف.

أما الخزانة الملكية الحالية المصطلح عليها بالخزانة الحسنية نسبة إلى السلطان مولاي الحسن الأول، فهذه الخزانة الحالية قد نالت إشعاعها ونهضتها على عهد الحسن الثاني رحمه الله، حيث تذكرنا خزانته بخزائن الخلفاء في العصور الذهبية، حيث حوت الشيء الكثير من الدواوين ومختلف العلوم والفنون ومؤلفات عصرية وأخرى قديمة ومخطوطات نادرة، سواء في الأقدمية أو النسخ أو الزخرفة.

ولم تقف هذه الخزانة عن هذا الحد؛ بل لما تولى إمامنا المنصــور بالله سيدي محمد السادس أيضا اعتنى بها وضم إليها خزائن أخرى زاد من مقدارها مقدار كبير من أعتاق الكتب ونفائس الذخائر، وهذه الخزانة هي التي انتقلت من بلاط فاس إلى بلاط الرباط سنة 1912م. وهنا سأقف عند هذه الخزانة.

فهذه الخزانة الحالية التي يحج إليها الناس من كل ربوع المملكة وخارج الوطن كانت قابعة في بلاط القصر في فاس مدة خمسين سنة ونيف؛ من سنة 1912م إلى ســنة 1962م، وهي داخل قبو لا يعلم عنها أحد شــيئا. لماذا؟ لأن السلطان المولى عبد الحافظ أعطى أوامره السرية إلى دفن هذه المخطوطات التي جمعها في قبو وبناء ســور عليها، فدامت خمســين ســنة حتى جاء الملك الحســن الثاني رفقة عبد الله بن منصــور، فأمر بإخراجها من هذا البيت ونقلها من فاس إلى الرباط سنة 1962م. فلماذا استمرت هذه الخزانة في هذا القبو؟

وذلك خوفا عليها، فالسلطان عبد الحفيظ كان ذكياً، لأن الحماية الفرنسية لما دخلت، كأي مســتعمر لما يدخل إلى أي بلد من البلدان فأول ما تطاله يده التراث والذخائر وكل ما له علاقة بالفكر وبالعلم، ومن ذلك أن أمر المحتل الفرنســي بجمع خزانة تمكروت. فما وجدنا فيها إلا بعض المخطوطات التي تتكلم عن مختصــر خليل وغيره. ولذلك فالخزانة الملكية انتقلت من بلاط فاس إلى ديوان الرباط بعد أن ظلت زهاء خمســين ســنة داخل قبو بأمر السلطان المولى عبد الحفيظ رحمه الله.

فهنا أقول أن الخزانة الملكية تعتبر من الخزائن المغربية الغنية التي يلجأ إليها العديد من الباحثين المختصــين من المغرب ومختلف البلدان العربية والإســلامية والأوروبية والقارة الأمريكية، وحتى القارة الأمريكية والقارة الأسيوية، وذلك للاستفادة من مخطوطاتها المهمة والنادرة، والتي تقدر بثلاث وعشــرين ألف وخمســمائة مخطوط 23.500 مخطوط أو مجلد. ما يقارب 45

ألف عنوان، ناهيك عن التقاييد والتقميشـــات التي ترد في مســـتهل الكتاب وآخره، وهذه يصـطلح عليها بالصـبابات. وكثير من المفهرسـين يمرون على هذه التقييدات التي أحيانا تبلغ إلى ثلاث ورقات وأربع ورقات أو نصـف ورقة وفيها من المواضيع المهمة، كبعض النوازل الخاصة بالعصر ولكن لم تفهرس، وكذلك تلك الورقات الطائرة المصـطلح عليها بورق العصـفور، فهذه لم تُذكر أثناء الفهرسـة مع أن فيها مواضـيع، فنحن قد قمنا بعدّ ما ورد من المواضـيع في الفهارس، فوجدنا أن ما تضـمنته هذه الأوراق لم يذكر أثناء الفهرســة إلا نادرا.

ويأتي ترتيب هذه المخطوطات حسـب الفنون الآتية: المصـحف الكريم، ثم القراءات، والتجويد، وعلوم القرآن، والتفسير، والسيرة النبوية، والحديث ومصـــطلحـه، والجغرافيـة والرحلات، والأنســـاب، وتـاريخ المغرب العربي، والطب، وعلم الفلك، والفقه، واللغة، وجميع أنواع الفنون بما فيها الموسيقى.

أما عن المطبوعات باللغة الأجنبية فتنيف على عشـــرة آلاف كتاب، أغلبها باللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية والإسبانية، هذا إضافة إلى 150 ألف وثيقة موجودة الآن بمديرية الوثائق الملكية التي كان يشـــرف عليها عبد الوهاب بن منصـور رحمه الله مؤرخ المملكة المغربية، و الذي خلفته الآن الدكتورة بهيجة سيمو.

وتشغل هذه الخزانة التي تقع حالياً في المشوار السعيد بالقصر المالكي بالرباط مساحة مهمة تتوزع إلى أربعة أقسام أو خمسة أقسام:

القسـم الأول: قسـم المخطوطات، وهي خارج الملحقة، ثم القسـم الثاني: قسم خاص بفهارس الوثائق والظهائر،

ثم قسم خاص بفهرسة الكنانيش، وقسم خاص برقمنة الوثائق والكنانيش

والطباعات الحجرية، ثم قسم خاص بالترميم وصيانة المخطوط من التلف والخروم وعوامل الزمن، وقسم خاص بحفظ المخطوطات المرقمنة، لأن المخطوط أصبح لا يقدم كما كان قديما إلى الباحث مباشرة خوفا من التلف، وخوفا من بعض العوامل، ولذا يوضع له في الحاسوب المخطوط مرقمنا، وموظف هذا القسم يقوم بمساعدة الباحث مباشرة.

ثم هناك قسم خاص بالمطبوعات الحجرية، وتقع هذه المطبوعات الحجرية في ثلاثمائة موضوع، وعددها ينيف على عشرة ومائتي كتاب. أما المطبوعات العربية فقد تبلغ 18.405 كتاب في مختلف الفنون وأنواع العلوم متنوعة بين طباعة قديمة وحديثة. أما المكرارات فيوجد 2669 مكرر. وأقدم طبعة ترجع إلى سنة 1249هـ، / 1833م، وهي المعنونة ب "قلائد المفاخير في غريب عوائد الأوائل والأواخر" لرفاعة رافع طهطاوي، ثم "لوغاريتمارت" تتعلق بالسير في البحر طبعت سنة 1250هـ. و من أقدم الكتب المطبوعة، كتاب يرجع إلى سنة 1260ه، "إتحاف ملوك الزمان" وغيره.

وقد توالى على إشراف هذه الخزانة المولوية عدة محافظين، ابتدا من الأستاذ محمد داود صاحب "تاريخ تطوان"، ثم مروراً بعبد الرحمن الفاسي، ثم محمد العربي الخطابي، الذين عينهم الملك الراحل الحسن الثاني بظهير، ثم منذ عام 1994م تم تعيين الأستاذ الدكتور الباحث أحمد شوقي بنبين مديراً عليها، والذي ما زال يشرف عليها إلى الآن.

وعن هذه الخزانة الحسنية يقول مديرها أحمد شوقي بنبين: إنها أول خزانة بالمفهوم العلمي، ويعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجري، وقد انتقلت مع جميع الملوك كما قلت في المقدمة من الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين إلى الشرفاء العلويين، وهي من أغنى وأحسن الخزانات في المغرب، لأن أصحابها من السلاطين الذين كانوا يهتمون

بالكتب والمخطوطات ويطالبون بجلبها من مختلف الأصقاع.

وقد استفاد من هذه الخزانة العديد من الباحثين على مر التاريخ، فعلى سبيل المثال أحمد علي بابا التمبوكتي يقول إنه استفاد من الخزانة الملكية بمراكش في عهد الدولة السعدية.

والخزانة الملكية كانت دائماً ترافق الملك وتنتقل معه من عاصمة إلى أخرى، من فاس إلى مراكش، ثم الرباط التي لم تنتقل إليها إلا سنة عام 1962م إذ هي مقرها الحالي.

ومن بين المخطططات النادرة التي تتميز بها الخزانة والتي حازت على السمعة الدولية في المخطوط مصحف من أندر المصاحف في العالم، وهو مصحف على الخط الكوفي كتب على رق الغزال، نسخ في القرن الثاني الهجري، إضافة إلى مخطوطات تعود إلى القرن الخامس والسادس الهجريين، وبعض الكتب الفريدة في العالم، مثل كتاب "المقتبس" للمؤرخ ابن حيان الأندلسي، الذي يقع في ستة مجلدات، ويعود إلى القرن الخامس الهجري، والذي تتوفر منه الخزانة الحسنية على المجلد الخامس فقط، والمكتوب على ورق الشاطبي، نسبة إلى شاطبة بالأندلس، أول مدينة بأوروبا عرفت صناعة الورق أو الكاغد. فالمجلد الأول منه غير موجود، والمجلد الثاني، وجد قسم واحد منه عند المستشرق ليفي بروفانسال، اهتم به و نشره الباحث المصري محمود علي مكي، أما المجلد الثالث، ففيه قسمان، القسم الأول محفوظ في خزانة جامع القرويين، والقسم الثاني محفوظ بمكتبة جامعة أكسفورد بإنجلترا، والجزء الرابع مفقود، والجزء السادس لا يوجد منه إلا القسم الأول بمكتبة المعهد التاريخي بمدريد.

كما تتوفر الخزانة على الكثير من النوادر والكنوز التي تفتخر بها هذه الخزانة، منها خزانة المستشرق الفرنسي هنري دو كاستري الذي وضع أول

كتاب عن تاريخ المغرب مبنياً على الوثائق، وسـماه "المصـادر الدفينة لتاريخ المغرب"، والذي أوصى بخزانته للمكتب المغربي بباريس عند وفاته.

والمهم أننا إذا تتبعنا هذه المخطوطات وأرقامها وكيف مرت عبر التاريخ ومدى العناية التي أولاها صـاحب الجلالة لها في ترميمها وصـيانتها وتهييئها في طبق سهل للباحث، شيء لا يمكن لنا أن نقف في الحديث عنه في ساعات وساعات.

الفصل الثاني:
تحقيق المخطوط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا[1]

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوثين رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.

فإن الحركة الفكرية والنهضة العلمية والثقافية التي عرفتها السودان الغربي في القرون الوسطى كان من أسبابها ما وفره الحكام والملوك من جو مفعم بالأمن والاستقرار، إضافة إلى التقدير والاحترام الفائقين اللذين حظي بهما الفقهاء والعلماء والدعاة، كل هذا دفع بالكثير من النخبة المثقفة من المشرق والمغرب وبلاد الأندلس إلى أن يتوجهوا نحو هذه البلاد التي نعمت برخاء اقتصادي زاهر، ومستوى معيشة طيبة، فكانت لهذه الظروف مجتمعة الفضل الأكبر في خَلْق جو علمي جذاب، في مدن منحنى نهر النيجر، فانتشرت المدارس والجامعات في المدن والقرى، مثل: جامعة سَنْكُرى، وجِنْغري بيبيرِ (المسجد الكبير) في مدينة تمبكتو، ومسجد جني وغاو ومسجد أغاديس وتغيدا (Tigedda) وفي مساجد مدينة كتشينا وكنو.

كان العلماء والفقهاء والصلحاء يؤسسون مكتبات خاصة في بيوتهم، وفي دور التعليم وفي الجوامع وفي أحيائهم المتنقلة، ويحملون كتبهم على ظهور الجمال أثناء ظعنهم، وأسس بعض الملوك والسلاطين في المنطقة

---

(1) أ.د/ علي يعقوب جالو. غامبيا

مكتبات بقصورهم الملكية التي زخرت بالكتب القيمة، والمخطوطات النفيسة في شتى الفنون والمعارف، وتذكر المصادر التاريخية قصة الملك الأسكيا داود الذي كان مولعاً بالكتب شغوفا باقتنائها، فكانت له مكتبة ضخمة تعج بالكتب النادرة والثمينة، وكان له نُساخ ينسخون له الكتب، وقد بلغ شغفه بالكتب أنه اشترى القاموس المحيط بمبلغ بلغ ثمانين مثقالا من الذهب الخالص[1]

ويذكر العلامة أحمد بابا التمبكتي في هذا السياق في جمع الكتب وتأسيس المكتبات "أنا أقل عشيرتي كتبا نهب لي ألف وستمائة مجلد"[2]

كان الشيخ العلامة سيد المختار الكبير الكنتي يرسل مع كل قافلة تمر بحلته إلى بلاد المغرب، يرسل معها من يشتري له الكتب التي يحتاج إليها من هنالك، وراسل الملوك والأمراء والعلماء ومريديه في بلاد المغرب الأقصى، بما يطرأ عندهم من كتب ومؤلفات، بل راسل الشيخ مرتضى الزَبيدي وغيره من العلماء لهذا الغرض، وكذلك فعل أبناؤه وأحفاده من بعده، حيث نجد مراسلاتهم للملوك والسلاطين والأمراء في البلاد الإسلامية، وفي أغلبها نجد طلبات للكتب وغيرها مما يتبادل بين العلماء والأعيان.

ويؤكد ما تزخر به المنطقة في الوقت الحالي من مخطوطة، عن ضخامة الموروث الثقافي والفكري الذي تركه أعلام تلك الحقبة من العلماء، وأنهم أثروا الحياة العلمية والثقافية، ولاشك أن ما تزخر به مكتباتنا، وما تراكم في جنبات مراكزنا العامة والخاصة من وثائق نادرة، ومخطوطات قيمة ونفيسة أصدق دليل على ما أسلفنا، ولا شك أن المخطوطات تمثل الجانب المهم من

(1) عز الدين عمر موسى، دراسات إسلامية غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 2003، ص: 113.

(2) انظر: تطريز الديباج لأحمد بابا بهامش الديباج المذهب لابن فرحون ص 341.

التراث، والجانب المعرض في نفس الوقت للضياع والتلف إن لم نكرس طاقاتنا وإمكانياتنا لنجدتها، ونبذل الوقت والجهد في البحث عنها وجمعها وصيانتها والحفاظ عليها وتحقيقيها تحقيقا علميًا، قبل أن تعصف بها عوامل الطبيعة من أمطار وتصحر وأرضة وسوء تخزين وحروب.

إن للعلماء والباحثين في غرب إفريقيا جهودا ومساهمات في تحقيق المخطوط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا،

سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى المؤسسات العلمية في المنطقة.

وهذه محاضرة بعنوان ": تحقيق المخطوط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا" نريد من خلالها تسليط الضوء على جهودهم في تحقيق المخطوط العربي الإسلامي، وقسمناها إلى مبحثين: المبحث الأول: أبرز مراكز المخطوطات في غرب إفريقيا. والمبحث الثاني: تحقيق المخطوط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا.

وركزنا في المحاضرة على جهود علماء وباحثين لثلاث دول في غرب إفريقيا لدورهم وجهودهم البارزة في تحقيق المخطوط العربي الإسلامي وهي: جمهورية النيجر، وجمهورية مالي، وجمهورية نيجيريا الاتحادية.

المبحث الأول: أهم مراكز المخطوطات في غرب إفريقيا:

يعتبر المخطوط العربي الإسلامي أهم موروث ثقافي في غرب إفريقيا وهو في الوقت ذاته يمثل الذاكرة العلمية والثقافية للمنطقة برمتها قبل الاستعمار الغربي لها، لقد انتبه علماء غرب إفريقيا إلى أهمية المخطوطات العربية الإسلامية من الناحية التاريخية والاجتماعية والثقافية للمنطقة، وكانت مبعثرة في أماكن شتى في بيوتات العلماء ومكتبات الخاصة، وخوفا

من ضياع هذا الكنز الثمين قام بعض الأفراد المهتمين بتأسيس مراكز لحفظ المخطوطات، وجمع أكبر عدد ممكن منها، مثل ما قام به رئيس برلمان النيجر بعد الاستقلال السيد بوبو هما (Boubou Hama) من جمع المخطوطات العربية الإسلامية في النيجر بجهوده الخاصة، كما ساهم بعض العلماء الغربيين في جمع المخطوطات وتأسيس مراكز لها مثل ما قام به البروفيسور جون هنويك (John hunwick) بإنشاء وتأسيس مركز المخطوطات العربية الإسلامية في معهد الدراسات الإفريقية بجامعة إبادن عام 1965م في نيجيريا، ففي بعض الأحيان تبادر السلطات الاستعمارية بجمع المخطوطات وحفظها، ومن ذلك تأسيس المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء (Institut francais d,Afrique Noire) عام 1936م والذي تغير اسمه في عام 1966م إلى المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء (Institut fondamental d,Afrique Noire)

ومن أهم مراكز المخطوطات في غرب إفريقيا: (النيجر، مالي، نيجيريا):

أولا النيجر: ومن الدول التي ساهمت في جمع مخطوطاتها في غرب إفريقيا جمهورية النيجر حيث أسست معهدا خاصا لجمع تراثها الحضاري والثقافي المخطوط في العاصمة نيامي، وأسست مراكز أخرى في بعض الأقاليم.

وتعتبر مراكز المخطوطات العربية في النيجر من المراكز المهمة في المنطقة عامة والنيجر بخاصة لما تحتوي عليها من المخطوطات العربية والعجمية الأصلية الخاصة بتاريخ البلاد الثقافية والسياسية والاجتماعية، وتاريخ شعوبها خاصة، ومنطقة غرب إفريقيا عامة.

ومن أبرز مراكز المخطوطات في النيجر:

أ قسم المخطوطات العربية والعجمية في معهد الأبحاث في العلوم

الإنســانية بجامعة عبد المؤمن جوفو في نيامي: يعتبر الســيد بؤبؤ هَمّا (Boubou Hama) رئيس مجلس النواب (البرلمان) النيجر من عام 1958م، إلى عام 1974م، أول من أســس مركزا للمخطوطات في النيجر، وهو مهتم بتاريخ النيجر وقبائلها وعاداتها، وأثناء كتاباته حول تاريخ النيجر وقبائلها "ظهرت له أهمية التراث المخطوط العربي الإســلامي في إعادة كتابة تاريخ بعض القبائل النيجرية، وبدأ ســعيه في جمع واقتناء هذا النوع من التراث العربي الإســلامي من المكتبات الأســرية الخاصــة والفردية, وقد جمعها لأول مرّة في مكتبه الخاص في مجلس النواب النيجري، ومن هنا يمكن اعتبار مكتبه بهذه الصفة النواة الأولى لمراكز المخطوطات التراثية في النيجر"(1).

اســتطاع الســيد "بوبو هما "أن يجمع قدرا كبيرا من المخطوطات من مكتبات خاصــة، وأفراد عن طريق الشــراء، أو الإهداء أو الاســتنســاخ، أو التصــوير من داخل النيجر والدول المجاورة مثل: مالي ونيجيريا وبوركينا فاســو وموريتانيا، بعد الانقلاب العســكري الذي شــهدته النيجر عام 1974م تم في العام نفســه فتح قســم المخطوطات العربية والعجمية بمعهد الأبحاث في العلوم الإنســانية التابع لجامعة نيامي، فتم نقل كنوز مكتبة الســيد بوبو هَما الخاصــة إلى المعهد "الذي تحمّل مهمة الاهتمام بالمخطوطات واقتنائها والحفاظ على ســلامتها والحرص على اجتلابها من مختلف مناطق الدولة وخارجها، والعمل على دراسة وتحقيق نفائسها "(2) .

وتنقسم مخطوطات المركز إلى قسمين:

1 مخطوطات مكتوبة باللغة العربية وهي الكثيرة الغالبة، وتتمثل في

---

(1) سالو الحسن، المخطوطات العربية في النيجر، مجلة العربي الكويتية، العدد 619، ص64/ 2010م.

(2) المصدر السابق، ونفس الصفحة.

مؤلفات العلماء المحليين القدماء، وبعض العلماء المعاصـرين وغيرهم من علماء المشرق والمغرب في شتى العلوم والفنون، وبعضها منسوخ من الكتب المقررة في المدارس القرآنية والحلقات العلمية التقليدية، ومن الزوايا العلمية.

2 مخطوطات باللغات المحلية مكتوبة بالحرف العربي مثل: لغة الهوسـا، وسـنغي/ زرما، واللغة الفلانية، كانت الشـعوب في إفريقيا الغربية قبل الاسـتعمار تسـتخدم الحرف العربي في كتابة لغاتها المختلفة، وفي إدارة شؤون الدول في المراسلات والمعاهدات والوصايا وغيرها.

ويقدر عدد المخطوطات في القسم بحوالي 4500 (أربعة آلاف وخمسمائة) مخطوطة مختلفة الأحجام والصـفحات والمواضـيع، وتمت فهرسـتها ما بين عام 2005 و2008م من مؤسـسـة الفرقان للتراث الإسـلامي في لندن في ثماني مجلدات، وتتناول مخطوطات القسـم علوما كثيرة في اللغة العربية وآدابها والعلوم الشـرعية والتاريخ المحلي، والسـيرة النبوية، والمدائح النبوية، والتصوف، والطب المحلي، وعلم الرمل والآفاق، والرسائل المتبادلة بين حكام المنطقة.

ب مركز إحياء التراث العربي الإفريقي بالجامعة الإسـلامية بالنيجر: أنشـئ المركز في عام 1995م/1415هـــ بمبادرة من رئيس الجامعة الإسـلامية بالنيجر في ذلك الوقت أ.د. عبد العلي الودغيري، والهدف من إنشـائه هو جمع المخطوط العربي الإسـلامي الإفريقي في غرب إفريقيا وحفظه وصـيانته وانقاذه من التلف والضياع، وتحقيقه ونشره[1]

ويبلغ عدد المخطوطات المفهرسـة ألف وأربع وخمسـون مخطوطة عربية وعجمية، (1054) بعضها مخطوطات أصلية وبعضها مصورة.

---

(1) انظر: نشرة المركز 2010م.

وتتناول مخطوطات المركز علوما كثيرة في اللغة العربية وآدابها والعلوم الشـرعية والتاريخ المحلي، والمدائح النبوية، والتصـوف، والطب المحلي، والرسائل المتبادلة بين حكام المنطقة قبل الاستعمار.

ج مركز مخطوطات مدينة أبلغ (Ablag) في إقليم تاوا (Tahoua) : يعود الفضـل في التعريف بهذا المركز إلى فضـيلة الشـيخ محمد أغ محمد شـفيع (رحمه الله تعالى) الذي أشـار إلى المركز ومؤسـسـه في بعض بحوثه، وهذا ما لفت نظر باحث بقسـم المخطوطات العربية والعجمية بمعهد الأبحاث في العلوم الإنسـانية بجامعة نيامي د. سـالو الحسـن حيث زار المركز واطلع على مخطوطاته، وكتب عنه في رسـالته للماجسـتير عام 2009م بعنوان: "فهرس المخطوطات العربية بمدينة أبلغ بالنيجر: عرضـا وتوصـيفا" بكلية الآداب والدراسـات الإسـلامية، قسـم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي بسـكتو، نيجيريا.

أسس مركز أبلغ الشيخ محمد إبراهيم بن عبد المؤمن بمجهوداته الفردية، وبذل جهودا كبيرة في جمع المخطوطات العربيـة الإسـلاميـة من مختلف المناطق وبخاصة الصحراوية.

يقع المركز في مبنى بجوار المسـجد العتيق بمدينة أبلغ في حي أمنوكل، ويقدر عـدد مخطوطـاتـه بحولي ثلاثمـائـة واثنتين (302) مخطوطـة، وهي موزعة ما بين علوم الدين واللغة والأدب والتصـوف والمنطق وعلم الفلك، وكلها باللغة العربية، وأغلبها مخطوطات في فقه المالكية[1].

ثانيا: جمهورية مالي: يقدر البعض مخطوطات تمبكتو في مالي بحوالي سـبعمائـة ألف مخطوط، موزعـة على مكتبـات خـاصـة، ومن أبرز مراكز

(1) سلو الحسن، المخطوطات العربية في النيجر، مجلة العربي الكويتية، العدد 619 , عام 2010م

المخطوطات العامة والمكتبات الخاصة في مالي:

أ- معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية: أسّست حكومة مالي المركز في تمبكتو عام 1973م وهو مركز متخصص في رصد المخطوطات في إفريقيا الغربية وتصنيفها وحفظها وصيانته، وقد كُتبت المخطوطات باللغات العربية والتركية واللغات الإفريقية كالهوسا والفلاني. ويحتوي المركز على أكثر من 20 ألف مخطوط.

ويشمل المركز على شتى أنواع الفنون العلمية والدينية كمخطوطات القرآن الكريم وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وعلوم النحو واللغة، والتوحيد والعقائد، والسيرة النبوية والمديح، والتصوف والمعاجم ودواوين الشعر، والأدعية والمأثورات.

كما يحتوي على مخطوطات في العلوم الطبيعية والرياضيات، وعلم الحساب والعلوم الغيبية كالسحر وعلم النجوم[1]

ب- مكتبة حيدره للمخطوطات والوثائق: تقع في مدينة تمبكتو، وتمّ تأسيسها على يد الأستاذ عبد القادر حيدره، وهي واحدة من أكبر المكتبات في تمبكتو، وتحتوي على أكثر من ثلاثة آلاف مخطوطة (3000) مفهرسة، وتنوعت موضوعات المخطوطات في المكتبة بين التوحيد، والتفسير، وعلوم القرآن، والحديث، والفقه، والأدب، والنحو، والتصوف، والفلك، والمدائح النبوية، والسيرة، والتاريخ، والمراسلات التجارية والسياسية بين التجار والعلماء والحكام[2].

ج- مكتبة مدينة جني للمخطوطات: تقع مدينة جني في وسط مالي،

---

(1) انظر: موقع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي على الرابط: https://cutt.us/y9OYs

(2) الموقع السابق

تشير التقديرات إلى أن مكتبة جنى تضم أكثر من 10000 مخطوطة، ومكتوبة باللغة العربية، غير أنها في بعض الأحيان تستخدم لغة محلية باستخدام الأبجدية العربية. ويعود عمر بعض المخطوطات إلى مئات السنين إلا أن الجزء الأكبر منها يعود إلى القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين، وتتنوع موضوعاتها ما بين علوم إسلامية وفتاوى شرعية وأحكام القضاة.

ثالثا نيجيريا: تتميز نيجيريا بكثرة مراكز المخطوطات وبخاصة في شمالها.

أ. مخطوطات مكتبة جامعة إبادان، نيجيريا: أقدم مركز للمخطوطات في نيجيريا، قد أسسه السيد وان كنزدايل (w.E.N.kensdale) حوالي عام 1900م بعد أن قام بجولة في المناطق الشمالية من نيجيريا وجمع عددا من المخطوطات العربية بالشراء والهبة، ثم أضاف إليها بعض المخطوطات[1] تضم 422 مخطوطة، وتدور معظم الموضوعات حول شتى أنواع الفنون العلمية والدينية كمخطوطات القرآن الكريم وعلومه والتوحيد والعقائد، والفقه وأصوله وعلوم النحو واللغة، والسيرة النبوية والمديح، والأدعية.

ب. مركز البحوث وجمع المخطوطات بجامعة بايرو كانو في نيجيريا: فيه حوالي ألف مخطوط.

ج. مركز التاريخ بولاية سكتو في نيجيريا: يمتلك آلاف المخطوطات في شتى الميادين.

د. قسم المخطوطات في جامعة أحمد بلو زاريا في نيجيريا، وهو من أقدم المراكز في حفظ التراث الإسلامي الإفريقي.

هـ. مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكدونا، أسس في عام

---

(1) انظر: مقدمة فهرس مخطوطات مكتبة جامعة إبادن، نيجيريا.

1957م، ويحتوى فهرس المخطوطات على 1645 مخطوطا، دُوِّن معظمها باللغة العربية، وكُتب بعضها بلغات إفريقية مثل الهوسا والفلان، وتغطّي موضوعات العلوم الإسلامية من علوم القرآن والتفسير والحديث والتوحيد والعقائد والفقه وأصوله والتصوف والمدائح، والطب والفلك والتنجيم والأوقاف والتاريخ والسيرة والتراجم واللغة والنحو والأدب(1).

ومنها: مركز الدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فوديو، ودار الوثائق، ومكتبة الوزير جنيد الخاصة في سكتو بنيجيريا(2).

المبحث الثاني: تحقيق المخطوط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا

لتحقيق المخطوط أهمية كبيرة في نشر العلم والمعرفة، لذلك اهتم به العلماء والباحثون مع ظهور الطباعة في المشرق العربي، مما يسر انتشار الكتب في كل المجالات المعرفية، وغرب إفريقيا من المناطق الإفريقية التي تزخر بالمخطوط العربي الإسلامي، ولعلمائها جهود ملموسة في مجال تحقيق المخطوطات.

وينقسم تحقيق المخطوط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا إلى مرحلتين:

1 مرحلة المستفرقين (المستشرقين): قد بدأت المحاولات الأولى لتحقيق

---

(1) مهدي الحاج معاذ، أوعية التراث الإسلامي الإفريقي: الكتب والمكتبات والمدارس والزوايا والمحضرات، مداخلة في الندوة العلمية الدولية التي نظمتها مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة في موضوع "التراث الإسلامي الإفريقي بين الذاكرة والتاريخ" أيام 22-23-24 ربيع الأول 1443هـ الموافق ل 29-30-31 أكتوبر 2021م في العاصمة النيجيرية أبوجا، www.fm6oa.org

(2) انظر: بشير عثمان أحمد، فهرس المخطوطات العربية المودعة بقسم المخطوطات بمكتبة الجامعة الإسلامية بالنيجر، (حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد:1، 1994م)، ص:108.

المخطوطات العربية في غرب إفريقيا على يدي بعض المستفرقين في مستعمرات بريطانيا وفرنسا وبخاصة في نيجيريا ومالي، ومن أوائل من مارس تحقيق المخطوط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا حسب علمنا هو المستفرق الفرنسي أكتاف هوداس(Octave Houdas)[1]حيث حقق وترجم إلى اللغة الفرنسية ثلاثة مصادر أساسية في تاريخ لمنطقة، وهي :

1 تاريخ السودان تأليف عبد الرحمن بن عبد الله السعدي ترجمه هوداس في عام 1898م ونشره لأول مرة مع تلميذه بنوه (Benoist) بين سنتي 1913 1914م بمدرسة اللغات الشرقية الحيّة بباريس، وهو أول مخطوط عربي إسلامي يتم تحقيقه وترجمته إلى اللغة الفرنسية.

2 تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان هو المخطوط الثاني الذي حققه هوداس مع تلميذه بنوه، وترجمه إلى الفرنسية، ولم يذكر مؤلفه.

3 تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس للقاضي محمود كعت، وهو المخطوط الثالث الذي حققه وترجمه المستفرق هوداس مع تلميذه بنوه.

وكان سبب انتشارها وشهرتها في أوساط الباحثين الأفارقة وغيرهم.

وحقق المستفرق الإنجليزي رتشمون بالمر (R.m. Palmer) كتابين للشيخ أحمد فرتو البرنوي وهما:

- ✓ تاريخ البرنو
- ✓ حروب سلطان إدريس ألوما وسيرته.

ويعتبر الكتابان مصدران مهمان لتاريخ إمبراطورية كانم برنو، وبخاصة

---

(1) ولد في عام 1840 م وتوفي في عام 1916م .

في عهد السلطان إدريس ألوما (1570 1603)وقد ترجم بالمر الكتابين إلى اللغة الإنجليزية ونشرهما عام 1926م[1] في لاغوس

وساهم بعض المستفرقين في مركز المخطوطات بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة إبادن في تحقيق بعض المخطوطات مثل: جون هنويك وموري لاست، وأصدر المركز مجلة علمية "مجلة البحوث " في عام 1965م ونشر فيها بعض المخطوطات المحققة، وبحوث ودراسات متعلقة بالمخطوط العربي الإسلامي في نيجيريا وغيرها.

2 مرحلة تحقيق علماء وباحثين من غرب إفريقيا للمخطوط العربي الإسلامي: ليس عندنا تاريخ محدد لبداية تحقيق المخطوط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا لكن نستطيع التأكيد أنه بدأ مع تأسيس مراكز المخطوطات في غرب إفريقيا، وفتح أقسام للغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات الوطنية، وفتح مراحل الدراسات العليا وبخاصة في جامعات شمال نيجيريا مثل جامعة بايرو في كانو، وجامعة أحمد بلو في كدونا، وجامعة عثمان دن فوديو في سُكتو، وجامعة ميدغوري.

المخطوطات المحققة في مراكز المحطوطات في النيجر ومالي ونيجيريا.

أولا النيجر:

ومن مساهمات علماء وباحثين في النيجر في تحقيق بعض المخطوطات في مركز المخطوطات أ قسم المخطوطات العربية والعجمية في معهد الأبحاث في العلوم الإنسانية بجامعة عبد المؤمن جوفو في نيامي:

1 فتح البصائر" تأليف الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق: د. سالو الحسن،

(1) انظر: الحضارة الإسلامية في النيجر، من منشورات الإيسسكو 1994، ص 105

وطبع في باريس فبراير عام 2012م.

2 ضـياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام للشـيخ عبد الله فودي، تحقيق: د. سالو الحسن، طبع ونشر في مكتبة دار الإحسان، جمهورية نيجيريا الاتحادية، عام 2019م.

3 هبة في شـأن الإنكار على الاسـتيطان مع النصـارى حين دخولهم الصـحراء، تحقيق ودراسـة: د. مصـطفى مغاجي، نُشـر في مجلة الجامعة الإسلامية بالنيجر العدد الحادي عشر 2019م.

4 فتح الجنان بجمع تاريخ بلاد السـودان للإمام محمد مرحبا، تحقيق: الأستاذ سفيان سوادغو، ود. سالو الحسن عام 2020م بدار المعارف للطباعة والنشر كنو، نيجيريا.

5 أجوبة محررة على أسـئلة مقررة للشـيخ عثمان بن فودى، تحقيق: د. أيوب لولي، عام 2021م بدار المعارف للطباعة والنشر كنو، نيجيريا.

6 مصباح الظلام للشيخ بخاري تانودي، تحقيق: د. أيوب لولي، عام 2022م بدار المعارف للطباعة والنشر كنو، نيجيريا.

مركز إحياء التراث الإفريقي بالجامعة الإسلامية بالنيجر:

1 رسـالة في التعريف بالمصـطفى التوردي تأليف الشـيخ عبد الله بن القاضي محمد الحاج، تحقيق ودراسـة الأسـتاذ الدكتور/ عبد العلي الودغيري الرئيس الأسـبق للجامعة الإسـلامية بالنيجر ونشـر في معهد الدراسـات الإفريقية بالمغرب، عام 2001م.

2 أجوبة أمير المؤمنين أبي بكر عتيق بن عثمان فوديو عن كتاب الفقيه أحمد بن أبي بكر لبو إمام أهل مآسينا تحقيق ودراسـة الدكتور / علي يعقوب

أستاذ بالجامعة الإسلامية بالنيجر، عام 2010م

3 كفاية العوام في البيوع، تأليف الشيخ محمد بلو بن عثمان حقق جزءا منه الطالب علي أدو شريف كبحث للتخرج من كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بالنيجر.

وساهم بعض الطلاب في مرحلة الماجستير في تحقيق مشترك لبعض المخطوطات.

ثانيا مالي:

منشورات معهد أحمد بابا: ساهم مركز أحمد بابا في تحقيق ونشر عدد من مخطوطات المركز منها:

1 ديوان الملوك في تاريخ سلاطين السُّودان، لمؤلف مجهول اسم جده ألفا محمد بن ألفا الأمين بن محمد التنبكتي، دراسة وتحقيق: د. عبد الرؤوف أحمد الصّغيّر وآخرون، ط1، طبعة معهد أحمد بابا، بماكو، 2020م.

2 السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، مولاي أحمد بابير الأرواني التنبكتي، دراسة وتحقيق: د. محمد جاكايتي وآخرون، ط1، طبعة معهد أحمد بابا، بمكو، 2020م.

3 إسهام مخطوطات تبكتو في تنمية الطب التقليدي، قراءة في تداولات النباتات الطبية من (شفاء الأسقام) للرقادي -حرف الألف- أنموذجا، إعداد/ يونس سعيد، ط1، طبعة معهد أحمد بابا، بمكو، 2019م.

4 إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء والشنقيط، دراسة وتحقيق: د. إدريس تراوري وآخرون، ط1، طبعة معهد أحمد بابا، بمكو، 2019م.

5 سيف الحق المعتمد فيما وقع بين عمر بن سعيد الفوتي وأحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد لبو الماسـي، تأليف: عمر بن سـعيد الفوتي، ويليه بيان ما جرى بين أحمد بن أحمد بن 6 ما وقع في التكرور السـوداني مما بين تنبكت وجني، تأليف المختار بن إسماعيل بن وديعة الله بن علي بن محمد السلنكي، دراسـة وتحقيق، د. عبد الرحمن عبد الله سـيسـي وآخرون ط1، طبعة معهد أحمد بابا، بماكو، 2019م.

7 الصلح وثقافة السلام في المخطوطات، إعداد: يونس سعيد وآخرون، طبعة دار القلم، بماكو، 2018م.

8 ثلاث رسائل في حل النزاعات:

أ- رسالة الشيخ سيدي المختار بن أحمد الكنتي إلى جماعة كلنتصر.

ب- رد الشيخ سيدي المختار بن أحمد الكنتي على رسالة هنون.

ج- رسـالة عمر بن سـعيد الفوتي إلى أهل مآسـينا، دراسـة وتحقيق: د. دريسا تراوري وآخرون، طبعة دار القلم، بمكو، 2018م.

9 تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور، وتفريق أنسـاب العبيد من الأحرار، محمود كعت بن المختار القنبيليّ، دراسـة وتحقيق: أ/عبد الرؤوف أحمد ميغا وآخرون. ط1، مطبعة منغاني وأبنائه بماكو 2014-2015م.

10 التراث المخطوط التربوي لدى أحمد بابا التنبكتي، كتابه المخطوط: تحفة الفضـلاء ببعض فضـائل العلماء نموذجا، دراسـة تربوية تحليلية تحقيقية. طالب الدكتوراه/ عبد العزيز أبوبكر، مدرسـة الدكتوراه بجامعة بماكو. 2022-2023م، قيد الدراسة.

ملاحظة: مما يجدر الإشارة إليه أن هناك مخطوطات عربية إسلامية من

غرب إفريقيا وبخاصـــة بعض مؤلفات الشـــيخ أحمد بابا التمبكتي حققت وطبعت في الدول العربية منها:

1 نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق طلاب من كلية الدعوة الإســلامية بطرابلس، ليبيا تحت إشراف د. عبد الحميد عبد الله الهرامة 1989م.

2 كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراســـة وتحقيق محمد مطيع، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب عام 2000 م (رســالة علمية نال بها المحقق دبلوم الدراســـات العليا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس 1987م).

3 معراج الصــعود إلى نيل حكم جلب الســود، تحقيق وترجمة فاطمة الحراق وجون هنويك، من منشورات معهد الدراسات الإفريقية 2000م جامعة محمد الخامس، الرباط.

4 تحفة الفضـــلاء ببعض فضـــائل العلماء، تحقيق ســعيد ســامي، من منشـــورات معهد الدراســـات الإفريقية، 1992 بجامعة محمد الخامس، الرباط المغرب.

ثالثا نيجيريا:

تم تحقيق ونشــر عدد كبير من المخطوط العربي الإســلامي في نيجيريا وبخاصة مؤلفات الشيخ عثمان بن فوديو، والشيخ محمد بلو والشيخ عبد الله بن فوديو،

أولا: مؤلفات الشيخ عثمان فوديو:

ومن أبرز ما تم تحقيقه من مؤلفات الشيخ عثمان فوديو ما يلي:

1 بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الإمام وإقامة الجهاد

حققه وترجمه إلى الإنجليزية فتحي حسن المصري، ونشر بدار جامعة الخرطوم للنشر في عام 1977م.

2 نصيحة أهل الزمان حققه د. أمين الدين أبوبكر في قسم الدراسات الإسلامية لنيل درجة ماجستير بجامعة بايرو، كنو، عام 1987م.

3 حصن الأفهام من جيوش الأوهام، حققه فضل الرحمن الصديق بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو، كنو 1989م.

4 نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان، حققه عمر فاروق ملمفاشي، لنيل درجة الدكتوراه بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كنو، 1989م.

ثانيا: مؤلفات الشيخ عبد الله بن فوديو:

1 الحصن الرصين في علم التصريف: حققه محمد صالح حسين عام 1984 م لنيل درجة الماجستير من جامعة بايرو كنو، نيجيريا.

2 البحر المحيط، منظومة في النحو، حققه الدكتور محمد الثاني خامس دَرْما لنيل الدكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، في مدينة كنو عام 1997، نيجيريا.

3 اللمع والبرق في الجمع والفرق، حققه يحيى فاروق ثيط، عام 1990م لنيل درجة الماجستير في قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، نيجيريا، وطبعت النسخة المحققة 2011م بدار الأمة، كنو، نيجيريا.

3 ضياء السياسات والنوازل مما هو في فروع الدين من المسائل، تحقيق د. أحمد كاني، القاهرة , 1988م.

4 مصباح الراوي في علم الحديث، طبع بتحقيق الشيخ محمد الغالي

موسى في رسالته التي قدمها إلى قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو، كنو، تكملة لمتطلبات درجة الماجستير عام 1992م، ثم حققه وعلق عليه الدكتور محمد المنصور إبراهيم بجامعة عثمان دن فودي سكتو1425هـ.

5 الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة، طبع بتحقيق د. عبد العلي عبد الحميد أستاذ بجامعة بايرو، كنو نيجيريا, 2002م.

6 فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي، منظومة في علم العروض والقوافي، حققه محمد بلو غرو في قسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فوديو في رسالة جامعية، عام 2004/2003.

7 اللؤلؤ المصون في صدف القواعد العيون. (كتاب في القواعد الفقهية) حققه أ. د. أحمد مرتضى لنيل درجة دكتوراه من قسم الدراسات الإسلامية والشريعة بجامعة بايرو، كنو في عام 2009م وطبع بدار الأمة، كنو، نيجيريا.2015م.

8 ضياء التأويل في معاني التنزيل، طبع الطبعة الأولى في القاهرة بمطبعة الاستقامة 1960م بدون تحقيق، ثم حُقق في رسائل جامعية في نيجيريا والمغرب وليبيا.

9 كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن (مختصر ضياء التأويل) طبع في بيروت بدار النشر العربية 1969م وحقق الجزء الأول منه الباحث الحسن الحاج أبوبكر لنيل درجة دكتوراه الدولة بدار الحديث الحسنية بالرباط عام 1998م، وحقق الباحث آياغي ثاني عمر من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف لنيل درجة دكتوراه بكلية الشريعة والقانون بجامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان , 2002م.

ثالثا: مؤلفات الشيخ محمد بلو:

1 إنفاق الميسـور في تاريخ بلاد التكرور، طُبع في عام 1964 بدار ومطابع الشعب، مصر بدون تحقيق وحققه د. بهيجة الشاذلي في المعرب وطُبع بمعهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، 1996م.

ثمّ حققه صلاح الدين يوسف لنيل درجة دكتوراه بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا، عام 1999م.

وهناك مخطوطات كثيرة حققت في جامعات نيجيريا غير مؤلفات الشيوخ الثلاث (الشيخ عثمان والشيخ عبد الله والشيخ محمد بلو) وبعضها من مؤلفات علماء ما قبل الدولة العثمانية أو بعد قيامها، مثل : "اللوامع الدرر في علم التصريف" للشيخ الطاهر فيرم الفلاني البرناوي (ت :1748 م) حققه الباحث محمد الأمين عمر لنيل درجة الدكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو، نيجيريا، وكتاب "الإبدال على سهولة في التصريف " للشيخ عمر والي زاريا(ت: 1329) حققه أحمد الرفاعي لنيل درجة الماجستير في قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، نيجيريا.

وهناك من حققوا مخطوطات ليس لنيل درجة علمية، مثل الشيخ آدم الإلوري صاحب المؤلفات المشهورة في جنوب نيجيريا من ذلك تحقيقه لكتاب "منظومة رائية الإعراب" المنسوب إلى عبد الله بن فوديو، شرحها وحققها ونشرها.

وكتاب معرفة الضمائر للشيخ محمد بن معطي الكشناوي حققه الشيخ آدم الإلوري وطبعه في أغيغي[1].

---

(1) انظر: خليل الله محمد عثمان بوفودو، دور تحقيق المخطوطات لدي علماء نيجيريا وآثاره في كتب النحو والصرف، مجلة الرفوف، جامعة أدرار، العدد السابع، 2015 م ص 22.

خاتمة:

وتوصلنا إلى النتائج الآتية:

1 أن غرب إفريقيا تزخر بالمخطوطات العربية.

2 قلة تحقيق المخطط العربي الإسلامي في غرب إفريقيا.

3 أن للباحثين في نيجيريا مساهمة ملموسة في تحقيق المخطوط العربي الإسلامي، وبخاصة في الجامعات، لنيل درجات علمية.

4 أن للباحثين في مركز أحمد بابا في مالي جهودا بارزةً في تحقيق المخطوط العربي الإسلامي.

فهرس المصادر والمراجع:

1 أحمد بابا تطريز الديباج بهامش الديباج المذهب لابن فرحون، مطبعة الشعب، القاهرة

2 بشير عثمان أحمد، فهرس المخطوطات العربية المودعة بقسم المخطوطات بمكتبة الجامعة الإسلامية بالنيجر، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد:1، 1994م.

3خليل الله محمد عثمان بوفودو، دور تحقيق المخطوطات لدي علماء نيجيريا وآثاره في كتب النحو والصرف، مجلة الرفوف، جامعة أدرار، العدد السابع، 2015 م.

4 سلو الحسن، المخطوطات العربية في النيجر، مجلة العربي الكويتية، العدد 619 , عام 2010م.

5 عز الدين عمر موسى، دراسات إسلامية غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

ط 2، 2003م.

6 فهرس مخطوطات مكتبة جامعة إبادن.

7 مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في النيجر، من منشورات الإيسسكو 1994م.

8 مهدي الحاج معاذ، أوعية التراث الإسلامي الإفريقي: الكتب والمكتبات والمدارس والزوايا والمحضرات، مداخلة في الندوة العلمية الدولية التي نظمتها مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة في موضوع "التراث الإسلامي الإفريقي بين الذاكرة والتاريخ" أيام 22-23-24 ربيع الأول 1443

هـــــ الموافق ل 29-30-31 أكتوبر 2021 م في العاصــمة النيجيرية أبوجا، www.fm6oa.org

9 موقع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي على الرابط: https://cutt.us/y9OYs

الفصل الثالث:

مخطوطات التاريخ الأندلسية المغربية في مكتبات مكة المكرمة[1]

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير معلم، معلم الناس الخير، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فقد كان التواصل الحضاري بين شقي العالم الإسلامي مشرقه ومغربه في العصور الإسلامية من أبرز ملامح الحضارة الإسلامية التي فتحت آفاق التلاقح المعرفي بين المجتمعات الإسلامية بكافة أطيافها، واستقصت العادات البشرية، واحتضنت القوافل التجارية، ودونت فنون المجالس العلمية، واقتحمت الحدود السياسية، وطرقت أبواب الطرق الدينية الصوفية، ورسمت حدود الخرائط الجغرافية، لمختلِف الأقطار الإسلامية.

وقد كان التواصل الثقافي بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، من أهم الطرق التي انتقلت بها العلوم الإسلامية، وقد تعددت طرق التواصل وكان للرحلات العلمية المتبادلة بينهما أثر كبير في نقل العلوم الإسلامية.

والناظر في الصلات الثقافية بين المغرب والمشرق يجد أن من أبرز تجلياتها: نقل الكتب، وهي من أهم أساليب نقل العلم الرئيسة، فإلى الكتب يعود الفضل في اتساع التبادل الفكري بين المشرق والمغرب، إذ تُعَدُّ الكتب من أهم طرق نقل العلوم، وقد كان العلماء الأوائل يهتمون بها اهتمامًا عظيمًا

---

(1) د/ عبد الرحمن بن عايد المُفَضِّلِي. السعودية

لأنها أوعية العلم، وما تعارف عليه علماء الإسلام من استخدامها لتكون أسلوبًا من أساليب نقل العلم من سماع وقراءة ومناولة ومكاتبة، وغير ذلك.

ولهذا حين انطلق العلماء وطلبة العلم من الغرب الإسلامي إلى المشرق الإسلامي كان من أول ما عادوا به معهم هو الكتب، فقوي لذلك اتصال غرب العالم الإسلامي بمشرقه.

وقد كانت مكة المكرمة -عمرها الله -وما تزال، قطب رحى العالم الإسلامي ومهوى أفئدته، فتتابعت رحلات المسلمين إليها للحج إلى بيت الله الحرام، وطلب العلم، وتحصيل الكتب، وقد أكثر أهل المغرب والأندلس من الرحلة إلى المشرق، حتى لقد أحصى المقري منهم في كتابه "نفح الطيب" عددًا كبيرًا يربو على 307، مع اعتذاره بأن: "حصر أهل الارتحال، لا يمكن بوجه ولا بحال"[1]، والذي يهمنا هو تبيين العدد الغفير ممن رحل إلى المشرق، حاجًّا وطالبًا للعلم.

ولهذا انتقلت الكتب الأندلسية والمغربية إلى مكة المكرمة بغرض التعليم، كحال الكتب الأندلسية الوافدة على الأندلس، فقد حمل يوسف بن يحيى المغامي (ت 288 هـ) كتاب "الواضحة" لأستاذه عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 232 هـ) "وأقرأه بمكة واليمن ومصر"[2].

وعلى هذا فلا غرابة حين نجد اليوم في المكتبات المكية كتبًا أندلسية ومغربية تحتفظ بها هذه المكتبات، وهو ما سنحاول تتبعه في هذه الدراسة بإذن الله، وجعلت شرطي في دراسة هذه الكتب أن تكون أندلسية أو مغربية من ثلاث جهات هي:

---

(1) نفح الطيب للمقري، ج2، ص 5.

(2) تاريخ ابن الفرضي، 250/2.

1- الموضــوع: بأن يتعلق موضــوعها بعلم التاريخ (تاريخ البلدان أو الرجال).

2- المؤلفون: وذلك بأن يكون المؤلف أندلســي أو مغربي، وإن كتبت النسخة الخطية بخط غير أندلسي أو مغربي.

3- الخط: وذلك بأن تكون النســخة الخطية مكتوبة بخط أندلســي أو مغربي، أو ما يدخل تحت الأندلســي أو المغربي من جهة البلاد، كالخط السوداني وما أشبهه.

وقدمت للدراســة بتمهيد وجيز عن التطور التاريخي للمكتبات في مكة المكرمة.

وأدرت المبحث الأول على مكتبة الحرم المكي الشــريف، فتحدثت عن التطور التاريخي لها، ثم عرفت بمخطوطات التاريخ الأندلسية والمغربية بها.

أما المبحث الثاني فجعلته لمكتبة مكة المكرمة، فذكرت التطور التاريخي لها، ثم عرفت بمخطوطات التاريخ الأندلسية والمغربية بها.

وألحقت الدراسة بخاتمة وضعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم برنامج للمصادر والمراجع.

والذي أرجوه بهذه الدراســة أن تكون مدخلًا للقارئ والباحث عن مخطوطات التاريخ الأندلسـية والمغربية في مكتبات مكة المكرمة، يسـتفيد منه الباحث والمحقق في معرفة نفائس هذه المكتبات من التراث الأندلســي والمغربي، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: التطور التاريخي للمكتبات في مكة المكرمة:

كانت مكة المكرمة تمثل أول مركز علمي في العالم الإسلامي، وغَدا المسجد الحرام -إضافة إلى دوره الديني وكونه مقصدًا للعبادة- ملتقى للعلماء وطلاب العلم من أنحاء العالم الإسلامي مشرقه ومغربه، مما أدى إلى نشاط الحركة العلمية التي ترتبط بالكتب في المقام الأول.

وقد كانت الكتب من أهم ما يوقفه الملوك والأمراء على الحرم المكي الشريف ليستفيد منها طلبة العلم في مكة المكرمة، وأصبح كل رباط يُقامُ في مكة المكرمة يحرص صاحبه على إنشاء مكتبة توقف كتبها على طلبة العلم، ففي سنة 594 للهجرة أوقف ربيع بن عبد الله بن محمود المارواني رباطًا بأجياد يعرف برباط ربيع عن الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي، ووقف به كتبًا منها المجمل في اللغة لابن فارس، والاستيعاب لابن عبد البر[1]. كذلك بنى إقبال الشرابي في سنة 641هـ مدرسة بمكة المكرمة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام، وأوقف فيها كتبًا كثيرة[2]، وقد تفرقت هذه المكتبة وذهبت شذر مذر فلم يبق منها إلا ثلاثمئة كتاب كما يذكر النهروالي الذي اهتم ببقية هذه الكتب وقام بترميمها وأكمل نقصها وجلّدَ ما يحتاج إلى تجليد منها ثم أعادها إلى الوقف. كما أنشأ شجاع شاه ملك بلاد فارس رباطًا تجاه باب الصفا سنة 727هـ ووقف به كتبًا[3]. وفي سنة 822هـ أمر السلطان المملوكي قايتباي ببناء مدرسة مشرفة على الحرم يدرس فيها علماء المذاهب الأربعة، وأرسل خزينة كتب أوقفها على طلبة العلم وجعلها في هذه المدرسة[4].

---

(1) إتحاف الورى لابن فهد، 564/2.

(2) الإعلام للنهروالي، 177؛ وسمط النجوم للعصامي، 516/3.

(3) العقد الثمين للفاسي، 4/5.

(4) الإعلام للنهروالي، ص 235.

كما أن العلماء والوجهاء كانوا يوقفون كتبهم على المدارس والأربطة في مكة المكرمة، فقد أوقف عبد الله بن أبي بكر الكردي (ت 785هـ) كتبه على رباط ربيع[1]. وكذلك وقف محمود بن جمال الدين الهروي (ت 796) كتبه على رباط الخُوزِي بمكة[2]، وكذلك فعل أحمد بن سليمان التروجي (ت 812هـ) الذي أوقف كتبه على الرباط نفسه[3]. وأوقف إبراهيم بن محمد الموصلي (ت 215هـ) كتبًا بخطه منها شرح ابن الحاجب، ويظهر أن مكان وقفها برباط السدرة الذي كان يسكن به ويشرف عليه[4]. وأوقف علي بن محمد بن سند المصري (ت 827هـ) كتبه على رباط ربيع[5].

أما المكتبات الخاصة بمكة المكرمة فقد كانت متوافرة، ومن أهمها مكتبة مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي (ت 832هـ)، وكان بها عدد من نفائس الكتب، وقد أوقفها الفاسي في حياته واشترط ألا تعار إلا لمكي[6]، ولما توفي تولى أخوه لأمه أبو اليمن النويري أمرها، وكان جاهلًا بالكتب، فكان يعيرها للآفاقيين والغرباء أجزاءً حتى تفرقت[7].

كما كانت مكتبة أسرة آل فهد - وهي من الأسر العلمية النبيهة في مكة المكرمة - من المكتبات النفيسة بمكة المكرمة، فقد توارثتها أسرة آل فهد منذ منتصف القرن التاسع وطيلة القرن العاشر الهجريين، فبدءًا بتقي الدين ابن

---

(1) العقد الثمين للفاسي، 116/5.

(2) العقد الثمين للفاسي، 137/7.

(3) العقد الثمين للفاسي، 44/3؛ والضوء اللامع للسخاوي، 308/1؛ والتحفة اللطيفة، 322/1.

(4) العقد الثمين للفاسي، 249/3-250.

(5) العقد الثمين للفاسي، 231/6.

(6) في المطبوع من لحظ الألحاظ: [وشرط أن لا تعار لمكي]، ويظهر أن ما أثبتناه أقرب للصواب.

(7) لحظ الألحاظ لتقي الدين ابن فهد، ص 191.

فهد (ت 871هـ) ثم ابنه نجم الدين عمر بن فهد(ت 885هـ)، ثم أبنائه: أبي زكريا يحيى بن عمر بن محمد (ت 885هـــ)، وعز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد (ت 920هـــ)، ثم ابنه محب الدين أبو الفضل جار الله محمد بن عبدالعزيز بن عمر (ت 954هـــ)، الذي ورث مكتبة آبائه، وانتفع بها شمس الدين السخاوي، وأشاد بها في تراجمه لآل فهد.

كذلك كانت مكتبة قطب الدين النهروالي المكي (ت 990هـــ) من المكتبات الكبيرة في مكة المكرمة، وكان بها زهاء ألف وخمسمئة مجلد من نفائس الكتب كما يذكر النهروالي نفسه، وقد جمعها مما ورثه عن أبيه ومما اشتراه أيضًا، وهو ما يشير إليه الشوكاني الذي ذكر بأنه: "كان عظيم الجاه عند الأتراك، لا يحج أحد من كبرائهم إلا وهو الذي يطوف به ولا يرتضون بغيره، وكانوا يعطونه العطاء الواسع، وكان يشتري بما يحصله منهم نفائس الكتب ويبذلها لمن يحتاجها، واجتمع عنده منها ما لم يجتمع عند غيره"[1] وقد احترقت هذه المكتبة في حياة النهروالي في تاسع ربيع الأول سنة 959ه بحريق وقع في بيته[2]، لكن مكتبة النهروالي عادت بعد ذلك إلى وضعها، ولما توفي النهروالي آلت إلى ابن أخيه عبد الكريم (ت 1014هـ)، وبلغت نحو أربعة عشر ألف مجلد[3].

والحق أن حصر المكتبات في مكة المكرمة صعب إذ لم تفدنا المصادر بكثير منها، وإنما اكتفت بالإشارات المقتضبة عنها، على أن هذه المكتبات أصبحت نواة للمكتبات العامة في مكة المكرمة كما سيأتي.

---

(1) البدر الطالع للشوكاني، 57/2.

(2) الفوائد السنية للنهروالي، ص 81-82.

(3) المكتبات في قلب الجزيرة العربية لعبد الله عبد الجبار؛ نقلًا عن المكتبات في مكة المكرمة لابن دهيش، ص 22.

المبحث الأول: مكتبة الحرم المكي الشريف:

1- التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف:

لا تشير المصادر إلى تأريخ دقيق لنشأة مكتبة الحرم المكي الشريف، لكن هناك إشارات تاريخية تذكرها المصادر المختلفة تشير إلى خزائن للكتب في الحرم المكي الشريف كانت تعود إلى القرن الخامس الهجري، إذ يذكر الكردي أنه في سنة 417 للهجرة دخل المسجد الحرام سيل "وصل إلى خزائن الكتب فأتلف كثيرًا منها"[1]. كما يذكر الفاسي أن في سنة 738هـ دخل المسجد الحرام سيل "بلّ جميع الكتب التي كانت في قبة الكتب"[2]، ويذكر محمد لبيب البتنوني (ت 1357هـ) في رحلته أن في الحرم المكي الشريف كتبًا كثيرة وضعت في دواليب في دائر حائط الحرم الشريف، سرق بعضها والبعض أفسدته السيول التي أغرقت المسجد الحرام، وذكر أن ذلك أعظم مصيبة على العلم والعلماء لما فقدوه من نوادر كتب التراث وأمهاتها[3].

والذي يظهر أن نشأة مكتبة الحرم المكي الشريف مرتبطة بالمصاحف القرآنية التي كانت تحفظ في بعض الخزائن كقبة الشراب التي ذكر ابن بطوطة في رحلته أنه كان يختزن فيها المصاحف والكتب، وذكر أنه كان بها مصحف محفوظ في تابوت مبسوط بخط زيد بن ثابت "منتسخ سنة ثماني عشرة من وفاة رسول الله"[4]، كما يذكر علي بن عبد القادر الطبري أن بجوار

---

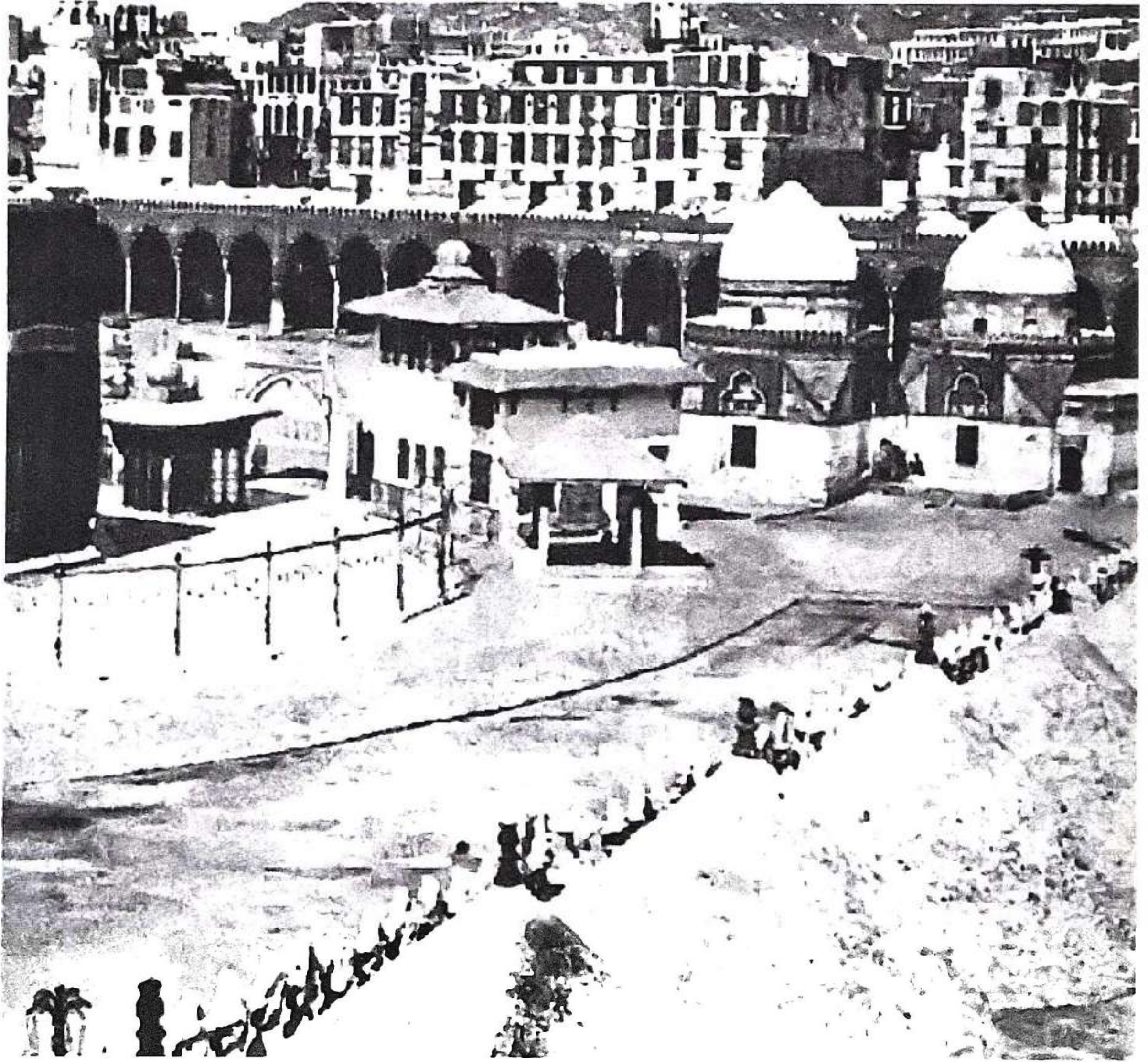
(1) التاريخ القويم للكردي، 245/2.

(2) شفاء الغرام للفاسي، 448/2

(3) الرحلة الحجازية للبتنوني، ص 59.

(4) تحفة النظار لابن بطوطة، 376/1.

زمزم قبة تسـمى "قبة الفراشـين" معدة لمصـالح المسـجد الحرام، "وفيها الرذمات والمصاحف الموقوفة على المسجد الحرام"[1].



صورة رقم: 2-1-1.

صورة للحرم المكي الشريف يعود تاريخها للقرن الثالث عشر الهجري (1297هـ)، ويظهر في الصورة القبتان اللتان كانتا بالحرم إحداهما للكتب.

---

(1) الأرج المسكي لعلي بن عبد القادر الطبري، ص 177؟

وقد كان لوقف الملوك والأمراء والعلماء للكتب أثر في إثراء مكتبة الحرم المكي الشريف، إذ أشارت المصادر إلى عدد من الوقفيات التي أوقفت على مكتبة الحرم المكي الشريف، ففي "سنة ثمان وثمانين وخمسمئة ولي الجمال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن فتوح المكناسي المالكي إمامة مقام المالكية بالمسجد الحرام، وأوقف المكناسي المذكور كتاب المقرب في ست مجلدات لابن أبي زَمَنين المالكي على المالكية والشافعية والحنفية الذين يكونون بمكة، وجعله بخزانة المالكية بمكة"[1]. وهذه إشارة غاية في الأهمية، إذ تؤكد أنه كان في مقامات الأئمة الأربعة خزائن توقف بها الكتب ليستفيد منها أصحابها.

ويظهر أن هاتين القبتين بقرب زمزم هي نواة "دار الكتب المكية" التي نشأت سنة 1256هـ بعد أن جمعت الخزائن المتفرقة في الحرم على هيئة مكتبة صغيرة في غرفة قرب زمزم[2]، ثم جددت ونظمت في عهد السلطان العثماني عبد المجيد الأول وذلك في سنة 1261هـ، وجعل إحداهما للمحفوظات، وجمع فيهما شتات الكتب الموزعة في أطراف الحرم والمساجد المجاورة والأربطة في مكان واحد وأطلق عليها "المكتبة المجيدية"[3]، وفي سنة 1262هـ أمر السلطان عبد المجيد بإصلاح القبتين، وذلك بعد أن سال وادي إبراهيم بسيول كبيرة دخلت الحرم فأتلفت أشياء كثيرة من بينها أكثر ما في القبتين من الكتب[4]. وقد اشتملت المكتبة "المجيدية" على ثلاثة آلاف

(1) العقد الثمين للفاسي، 74/2؛ وإتحاف الورى لابن فهد، 487/2-489، وفيه أن الوقف كان سنة 488هـ، ويظهر أن ما في العقد أصوب إذ أن وفاة الجمال المكناسي كانت سنة 592هـ.

(2) قطرة من يراع لأحمد عبد الغفور عطار، ص 57؛ نقلًا عن التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف، ص 326.

(3) التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف، ص 326.

(4) التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف، ص 326.

وستمئة وثلاثة وخمسين كتابًا أرسلها السلطان عبد المجيد، ثم في سنة 1248هـ صدر الأمر بنقل المكتبة إلى مكان آخر، وفي سنة 1278هـ داهم سيل آخر الحرم الشريف مما عجل بنقل الكتب إلى قبة باب دريبة، ثم استكمل نقلها النهائي والي الحجاز عثمان نوري باشا في عام 1299هـ إلى قصر أحمد باشا في دار الحديث بباب دريبة[1]، وكان يقع على يمين الداخل إلى المسجد من باب السلام، وضمت إليها الكتب التي أوقفها أمير مكة الشريف عبد المطلب بن غالب، ومكتبات صالح عطرجي، وعبد الحق الهندي، ومحمد رشدي باشا والي الحجاز، وعبد الستار الدهلوي[2]. وقد كان في مكة المكرمة مكتبة أخرى عند باب أم هانئ بالناحية الغربية من المسجد الحرام أوقفها والي الحجاز السابق محمد رشدي باشا الشرواني، فضمت إلى المكتبة المجيدية سنة 1346هـ[3]، التي كانت قد تسمى أيضًا "بالمكتبة السليمانية"، نسبة إلى المدرسة السليمانية التي كانت في نفس الدار قبلها، أو "دار الكتب المكية"، وقد فهرست المكتبتان بفهارس بخط اليد، وأقيم لها موظفٌ يقوم بشؤونها كما يذكر البتنوني[4].

وفي سنة 1357هـ أمر الملك عبد العزيز بتكوين لجنة لدراسة أوضاع المكتبة وفهرستها وتنظيمها[5]، واقترحت اللجنة تسميتها ب"مكتبة الحرم المكي الشريف"[6]، وصدرت الموافقة الملكية بذلك وأهدى الملك عبد العزيز

---

(1) جريدة أم القرى، زاوية سوانح تاريخية، العدد: 212، بتاريخ: 1347/8/7هـ، ص 3.

(2) مقدمة محقق إعلام الأنام للشيبي، ص 56.

(3) جريدة أم القرى، زاوية سوانح تاريخية، العدد: 212، بتاريخ: 1347/8/7هـ، ص 3.

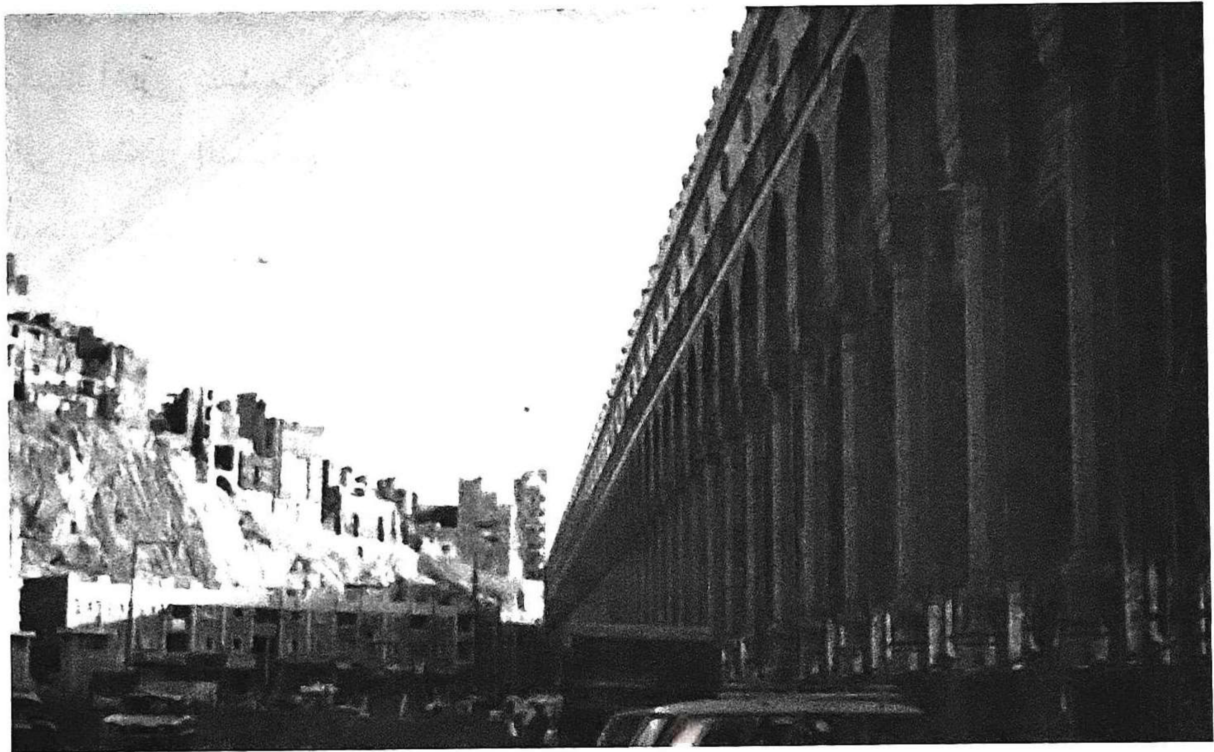
(4) الرحلة الحجازية للبتنوني، ص 59.

(5) جريدة أم القرى، العدد 698، بتاريه: 1357/2/22هـ، ص 4؛

(6) نثر القلم لباجودة، ص 104.

عددًا من الكتب إلى المكتبة[1]، وجعلت المكتبة تابعة للمديرية العامة للأوقاف، ثم انتقلت تبعية المكتبة إلى الرئاسة العامة للإشراف الديني بالمسجد الحرام سنة 1385هـ[2].

وقد ظلت المكتبة بمبناها بباب السـلام إلى أن نقلت إلى مبنى آخر في سـنة 1375هـــ/1955م، ثم انتقلت إلى عمائر الأشـراف بأجياد في سـنة 1382هـــ/1962م، وفي سنة 1383هـــ نقلت إلى عمائر مشروع توسعة المسجد الحرام من جهة باب الصفا.



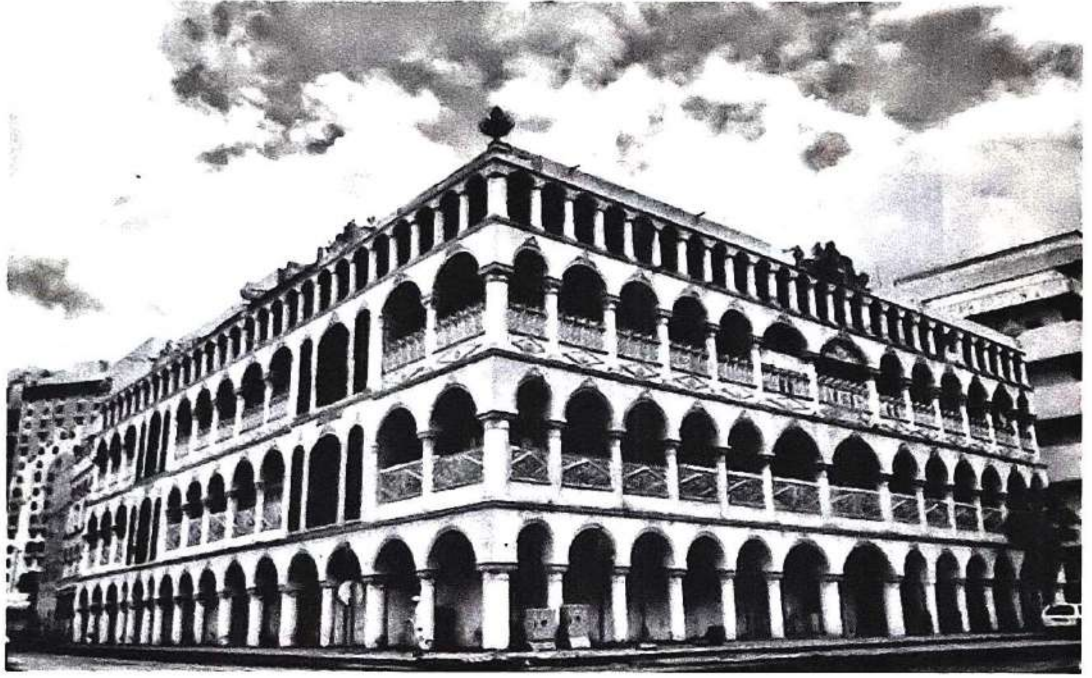
صورة رقم 2-1-1-2: مكتبة الحرم المكي الشريف بعمارة مشروع الحرم عام 1383هـ.

ثم نقلت حين أزيل المبنى في سنة 1390هـ لأعمال التوسعة إلى عمائر ابن سليمان بالتيسير، وظلت بها إلى عام 1406هـ/1986م.

---

(1) جريدة أم القرى، العدد 753، بتاريخ: 1358/3/29هـ، ص 4.

(2) المكتبات في مكة المكرمة لابن دهيش، ص 28-29.



صورة رقم: 2-1-1-3: المكتبة في عمارة ابن سليمان بالتيسير عام 1394هـ.

ثم نقلت إلى مبنى في الساحة المقابلة لباب الملك عبد العزيز، وبقيت بها إلى عام 1412هـ/1992م.



صورة رقم 2-1-1-4: المكتبة في مبناها مقابل باب الملك عبد العزيز سنة 1406هـ

ثم نقلت بعد أن أزيل المبنى لصـالح توسـعة الحرم الشـريف إلى مبنى مستأجر بشارع المنصور، وظلت به إلى سنة 1426هـ/2006م.



صورة رقم 2-1-1-5: المكتبة في مبناها بشارع المنصور

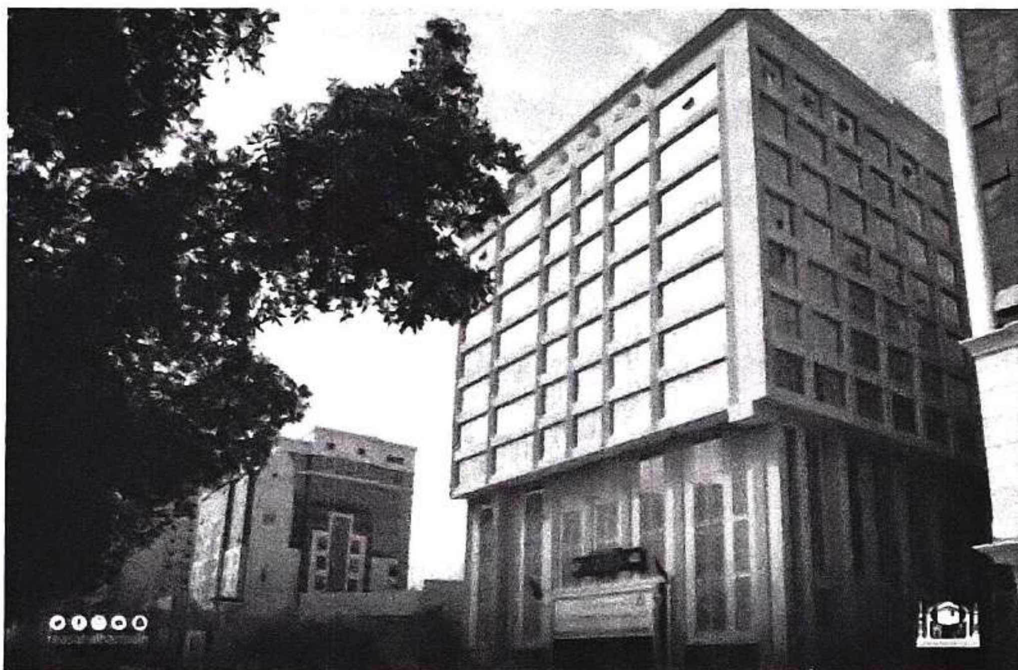
ثم انتقلت إلى مبنى في شـارع عبد الله خياط بحي العزيزية[1]، وبقيت به إلى سنة 1438هـ/2018م



صورة رقم 2-1-1-6: المكتبة في مبناها في شارع عبد الله خياط بالعزيزية

(1) المكتبات في مكة المكرمة لابن دهيش، ص 34.

ثم نقلت إلى مبنى في حي بطحاء قريش[1]، وهي باقية به إلى اليوم لحين انتهاء أعمال مشـروع مكتبة الحرم المكي الشـريف بالقرب من المسـجد الحرام، الذي صـدرت الموافقة عليه ضـمن توسـعة الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله[2].



صورة رقم: 2-1-1-7: المكتبة في مبناها الحالي ببطحاء قريش.

وتحتوي المكتبة على ستة آلاف وثمانمئة وستة وأربعين مخطوطًا أصليًا، وألفين وسبعمئة وستة وعشرين مصورًا رقميًا، وخمسة آلاف وثمانمئة وسبعة وعشـرين مخطوطًا على الميكروفيلم، وواحد وثلاثون ألفًا وأربعمئة وسـتة وسبعين مخطوطًا رقميًا[3].

وأغلب هذه المخطوطات من الوَقْفِيَّات والإهداءات والشـراء على مكتبة الحرم المكي الشـريف، ومن أهمها جزء من مكتبة السـلطان عبد المجيد رحمه

(1) صحيفة مكة، الثلاثاء، 6 مارس 2018م.

(2) صحيفة عكاظ، العدد: 4646، بتاريخ: 1435/6/5هـ.

(3) فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، 36/1.

الله، ووقفيات الشريف عبد المطلب آل غالب رحمه الله، ومكتبة محمد رشدي الشرواني رحمة الله، ومكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي رحمه الله، ومعظمها من تأليفه وخط يده، ومكتبة الشـيخ عبد الحق الإله آبادي رحمة الله أيضًـا معظمها من تأليفه وخط يده، ومكتبة الشيخ صالح عطرجي أفندي رحمة الله، ومكتبة الشـيخ عبد الوهاب الدهلوي رحمة الله، وكتب الشـيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله معظمها من تأليفه وخط يده، وغيرها من المكتبات[1].

ب- مخطوطات التـاريخ الأنـدلسـيـة والمغربيـة في مكتبـة الحرم المكي الشريف:

يقع فهرس التاريخ في المجلد التاسع من فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشـريف، وهو يشـمل فنون التاريخ الأربعة: السـيرة النبوية، والتاريخ العام، والتراجم، والأنساب. ويقع المجلد في 787 صفحة تشمل الفهارس، وبعد جرد هذا الفهرس وجدت تسـعة عشـر عنوانًا تعد مخطوطات أندلسـية أو مغربية، وذلك من جهة المواضيع، أو المؤلفين، أو الخط، وهي:

- **<u>مخطوطات السيرة النبوية والمدائح:</u>**

1- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544):

في المكتبة من نسخ الكتاب إحدى وثلاثون نسخة، كلها نسخ متأخرة بعد الألف ومئة، عدا نسـخة واحدة هي التي برقم: 4613 السـيرة النبوية، فإنها نسخت في 21 محرم سنة 717هـ، وكذلك النسخة رقم: 2684 السيرة النبوية، فإنها نسـخت من نسـخة بخط الحافظ أبي عمر بن محمد بن محمد بن سـيد الناس، الذي نقل نسخته من نسخة بخط المؤلف سنة 583هـ.

---

(1) فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، 37/1.

وأرقام النسخ هي[1]:

برقم: 2696 السيرة النبوية. وبرقم: 2686 السيرة النبوية. وبرقم: 2688 السيرة النبوية. وبرقم: 2687 السيرة النبوية. وبرقم: 2690 السيرة النبوية. وبرقم: 2692 السيرة النبوية. وبرقم: 2693 السيرة النبوية. وبرقم: 1/2695 السيرة النبوية. وبرقم: 2689 السيرة النبوية. وبرقم: 2700 السيرة النبوية. وبرقم: 2694 السيرة النبوية. وبرقم: 2683 السيرة النبوية. وبرقم: 2691 السيرة النبوية. وبرقم: 2678 السيرة النبوية. وبرقم: 4613 السيرة النبوية. وبرقم: 2679 السيرة النبوية. وبرقم: 2680 السيرة النبوية. وبرقم: 2699 السيرة النبوية. وبرقم: 2682 السيرة النبوية. وبرقم: 2681 السيرة النبوية. وبرقم: 2612 السيرة النبوية. وبرقم: 2692 السيرة النبوية. وبرقم: 2684 السيرة النبوية. وبرقم: 2677 السيرة النبوية. وبرقم: 2676 السيرة النبوية. وبرقم: 2701 السيرة النبوية. وبرقم: 2697 السيرة النبوية. وبرقم: 2638 السيرة النبوية. وبرقم: 2698 السيرة النبوية. وبرقم: 2702 السيرة النبوية. وبرقم: 2685 السيرة النبوية.

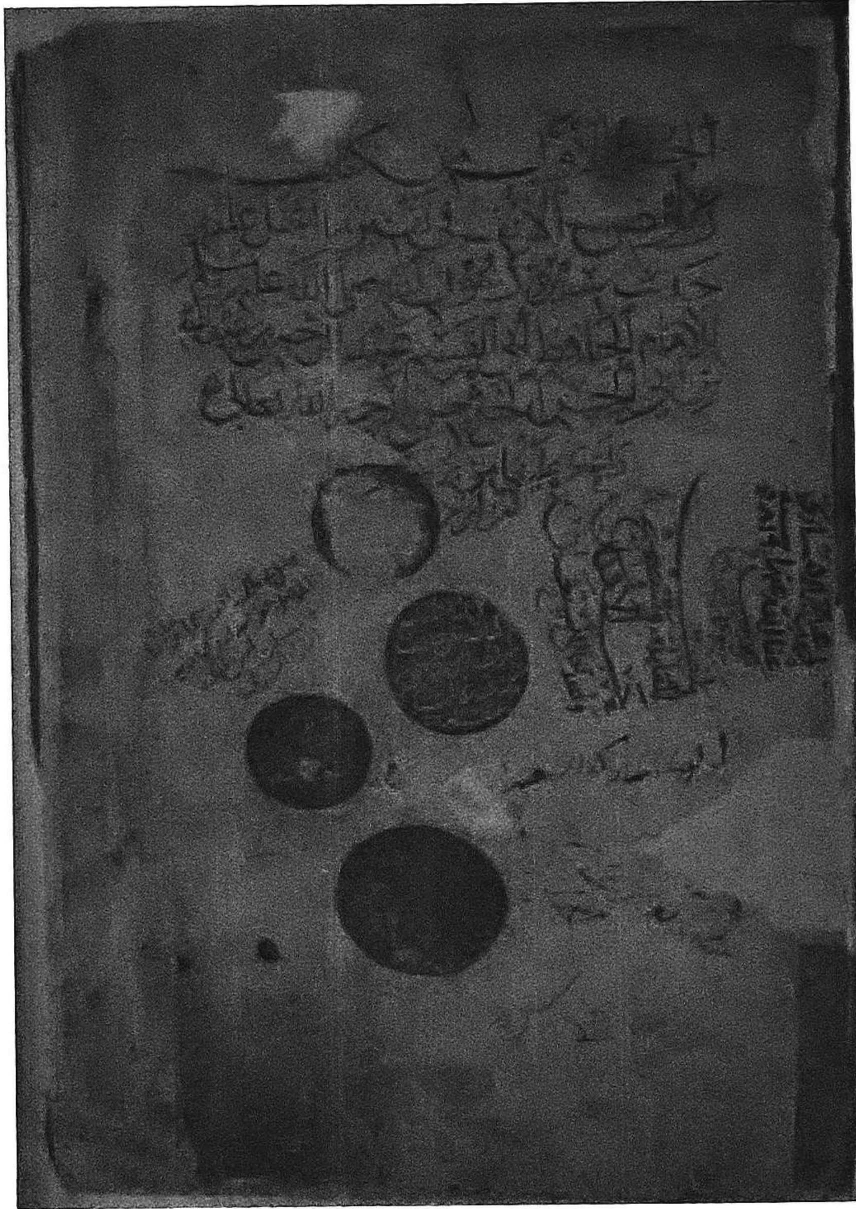
2 كتاب الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي (ت 581هـ).

النسخة برقم: 2638 السيرة النبوية. وهي بخط قديم معتاد، يظهر أنه من خطوط القرن السابع الهجري، وعدد أوراقها 171 ورقة، وهي من وقف الشريف عبد المطلب بن غالب، وعليها ختمه[2].

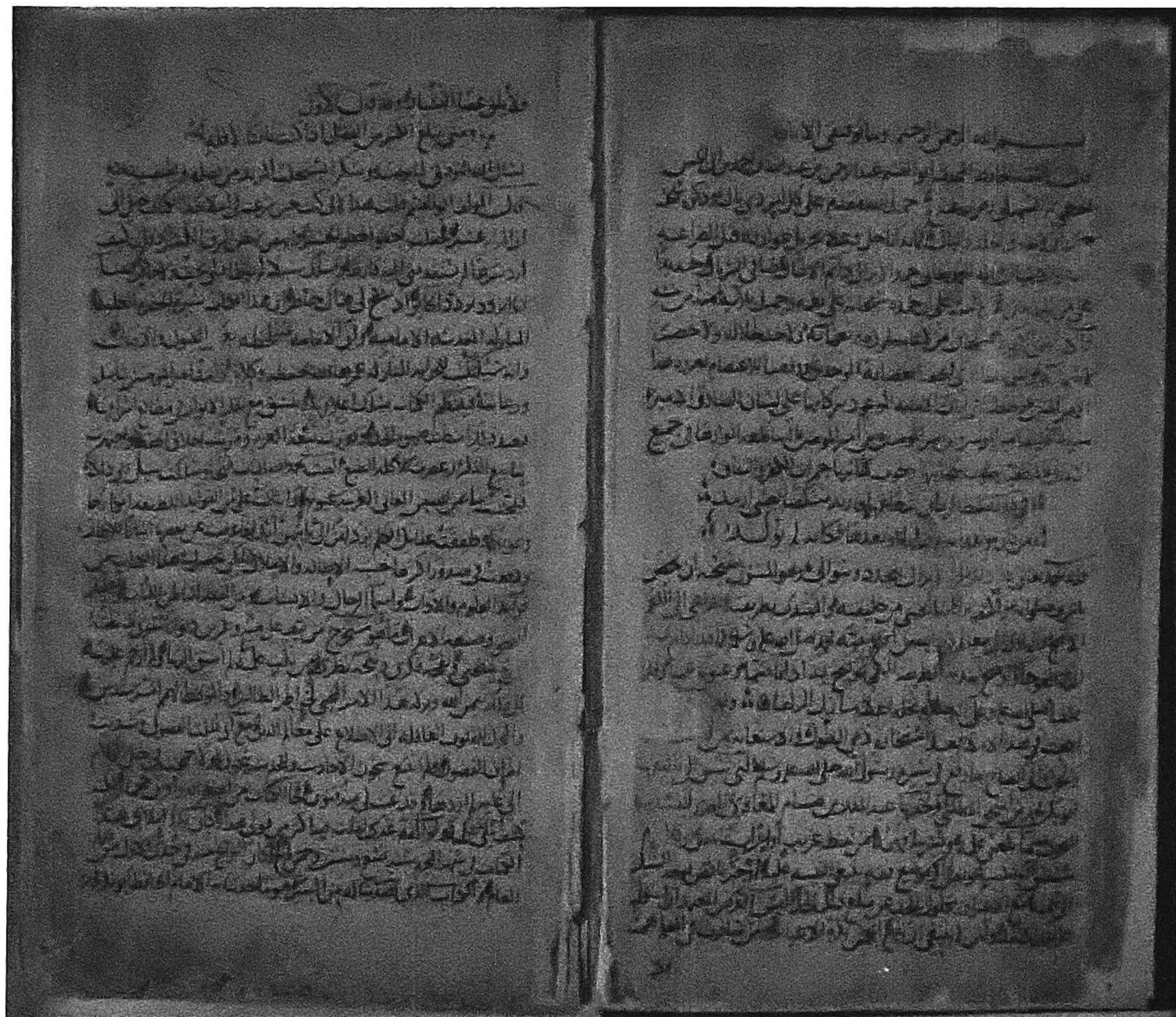
---

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/145-180.

(2) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/92-93.



صورة رقم 2-1-2-1: ورقة العنوان من مخطوطة الروض الأنف للسهيلي

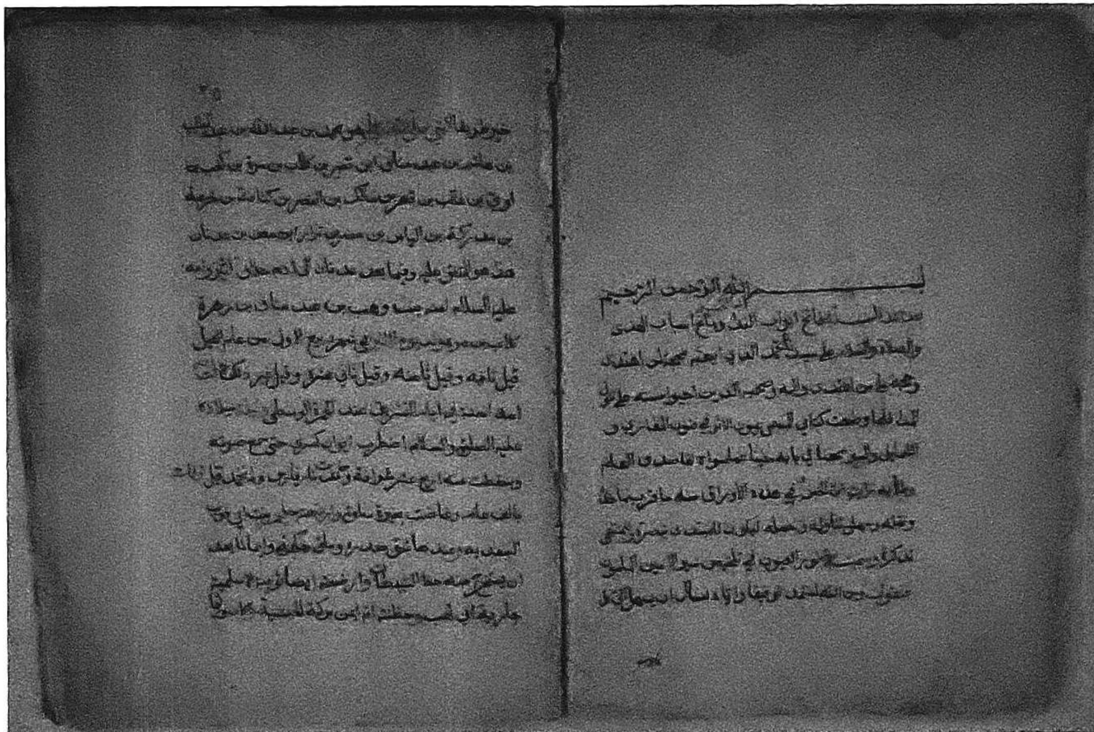


صورة رقم 2-1-2-2: الورقة الأولى من مخطوطة الروض الأنف للسهيلي

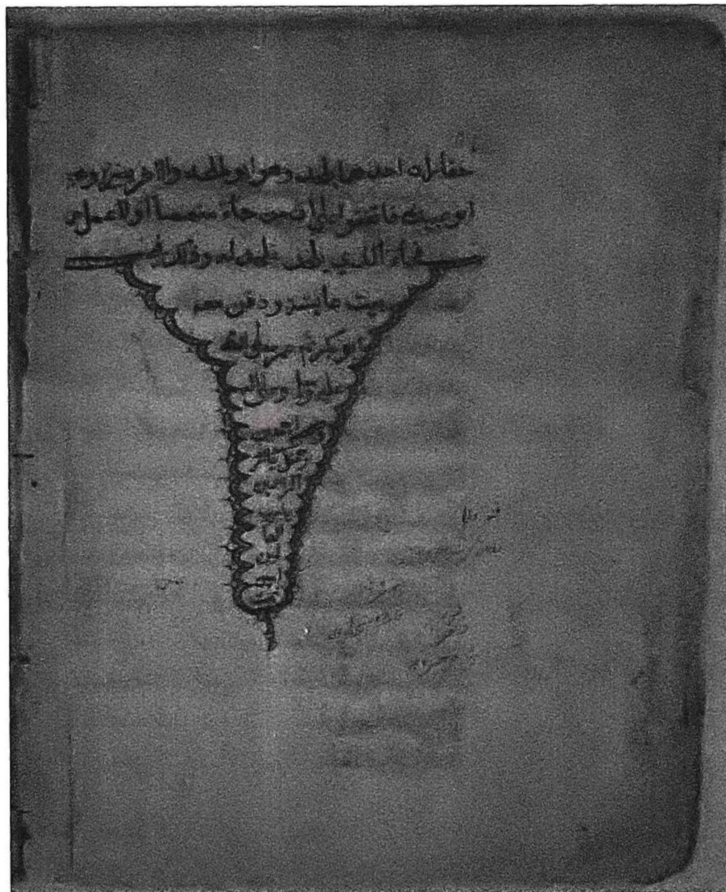
2- نور العيون في تلخيص سير الأمين المأمون لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الأندلسي (ت 743هـ):

في المكتبة نسـختان من الكتاب، الأولى برقم: 4/3766 السـيرة النبوية، نسخت في 16 جمادى الأولى سنة 1153هـ، بخط نسخي، وهي من وقف محمد رشدي باشا الشرواني، وتقع في ست عشرة ورقة من 24/ب-40/ب[1].

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/272-274.

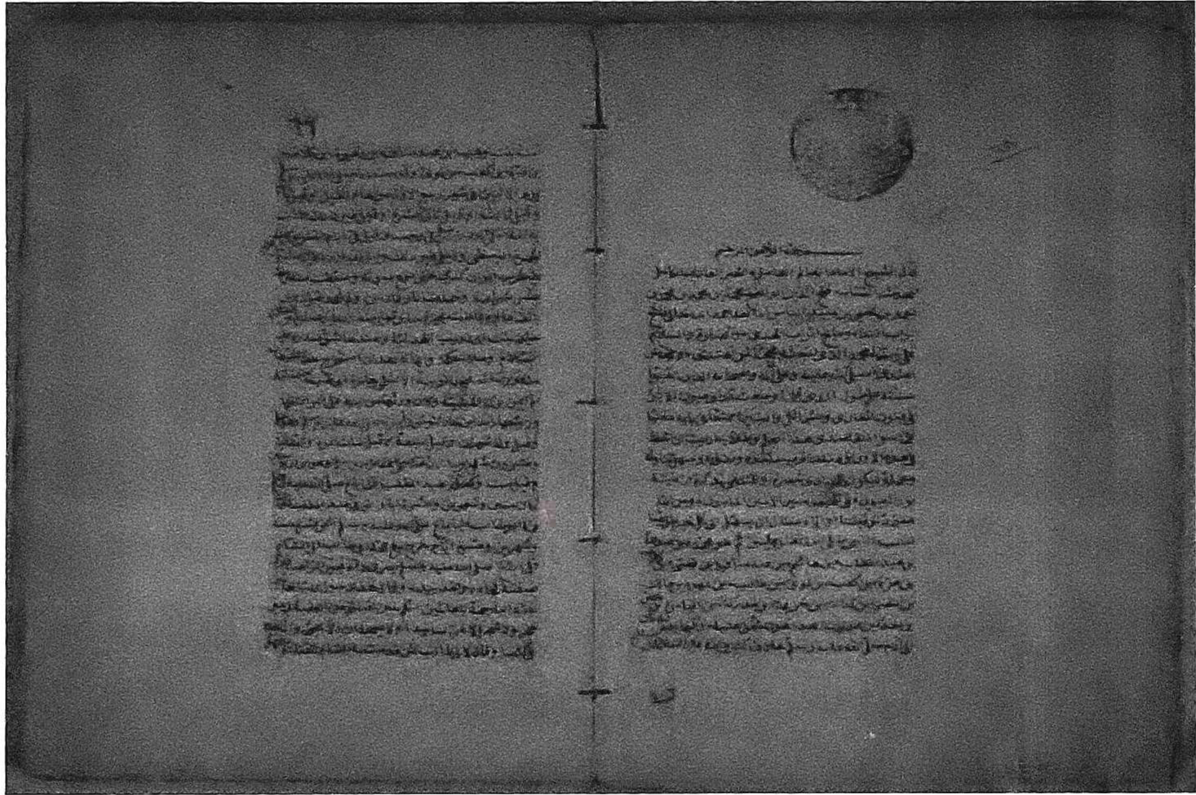


صورة رقم 2-1-2-3: الورقة الأخيرة من مخطوطة نور العيون في تلخيص سيرة النبي المأمون



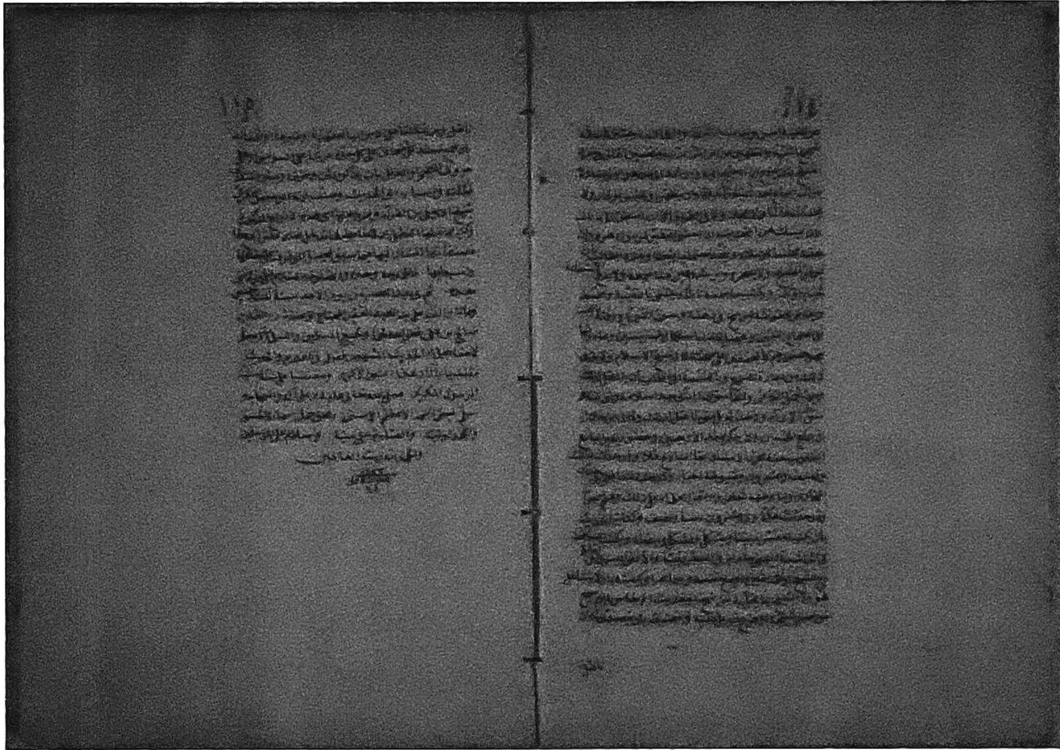
صورة رقم 2-1-2-4: الورقة الأخيرة من مخطوطة نور العيون في تلخيص سيرة النبي المأمون

والثانية برقم: 4/3922، وهي منسوخة في سنة 1153هـ، بخط نسخي، وهي من وقف محمد رشدي باشا الشرواني، وتقع في ثلاث عشرة ورقة من 67/أ-91/أ[1].



صورة رقم 2-1-2-5: الورقة الأولى من مخطوطة
نور العيون في تلخيص سيرة النبي المأمون

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/272-274.



صورة رقم 2-1-2-6: الورقة الأولى من مخطوطة نور العيون في تلخيص سيرة النبي المأمون

3- قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي المريّي (ت 580هـ):

هي ثلاث قصائد في مجموع واحد برقم: 3/2612 السيرة النبوية-مدائح[1]، وقد نسبت إلى أبي عبد الله الأندلسي، ولم يعرفه المفهرسون.

وأولى هذه القصائد هي تشطير لمعلقة امرئ القيس، وتقع في سبع ورقات من الورقة 71/أ-74/ب، أولها:

خليليّ هذا قبر أشـــرف مرســـل	قفا نبك من ذكرى حبيـب ومنزل
رويدكما نبكي الذنوب التي خلت	بسقط اللوى بين الدخول فحومل
منازل كانت للتصـــابي فأقفرت	لما نســـجتها من جنوب وشـــمأل

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 207/9.

وقد وردت في ديوان ابن جابر المسمى بـ"نظم العقدين في مدح سيد الكونين صلى الله عليه وسلم"[1]، وإن كان المقري في نفح الطيب نسبها إلى أبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي الأندلسي[2]، ولعله وهم في ذلك لاتصال ما بين ابن جابر والرعيني من الصحبة والرحلة.

والقصيدة الثانية تقع في المجموع ما بين الورقة 75/أ-77/ب، وأولها:

في كل فاتحة للقول معتبره	حق الثناء على المبعوث بالبقره

وقد وردت القصيدة منسوبة إلى ابن جابر في كتاب نفح الطيب للمقري[3]، ولم تفهرس إذ ظنها المفهرسون تابعة للقصيدة اللامية.

والقصيدة الثالثة قصيدة في مناقب الصحابة العشرة ثم رفع نسب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عدنان، وتقع هذه القصيدة في ثمان ورقات من المجموع ما بين الورقة 78/ب-91/أ، وفهرست برقم: 5/2612 السيرة النبوية[4]، وقد نسبت أيضًا إلى أبي عبد الله الأندلسي، والقصيدة أولها:

بهدي النبي الهاشمي محمد	وبالعشرة الأخيار من بعده اقتدِ
فهم نصحوا كل العباد وما ونوا	وهم أوضحوا سبل الرشاد لمهتدي

وهي من نظم ابن جابر أيضًا، ووردت في ديوانه[5].

4- سفر الشجرة الزكية للشيخ سيدي محمد المعطي الشرقاوي (1180هـ)

ذكر هذا الكتاب في فهرس المكتبة باسم: "شجرة الأنساب" إذ لم يعرفه

(1) نظم العقدين لابن جابر، ص 440-

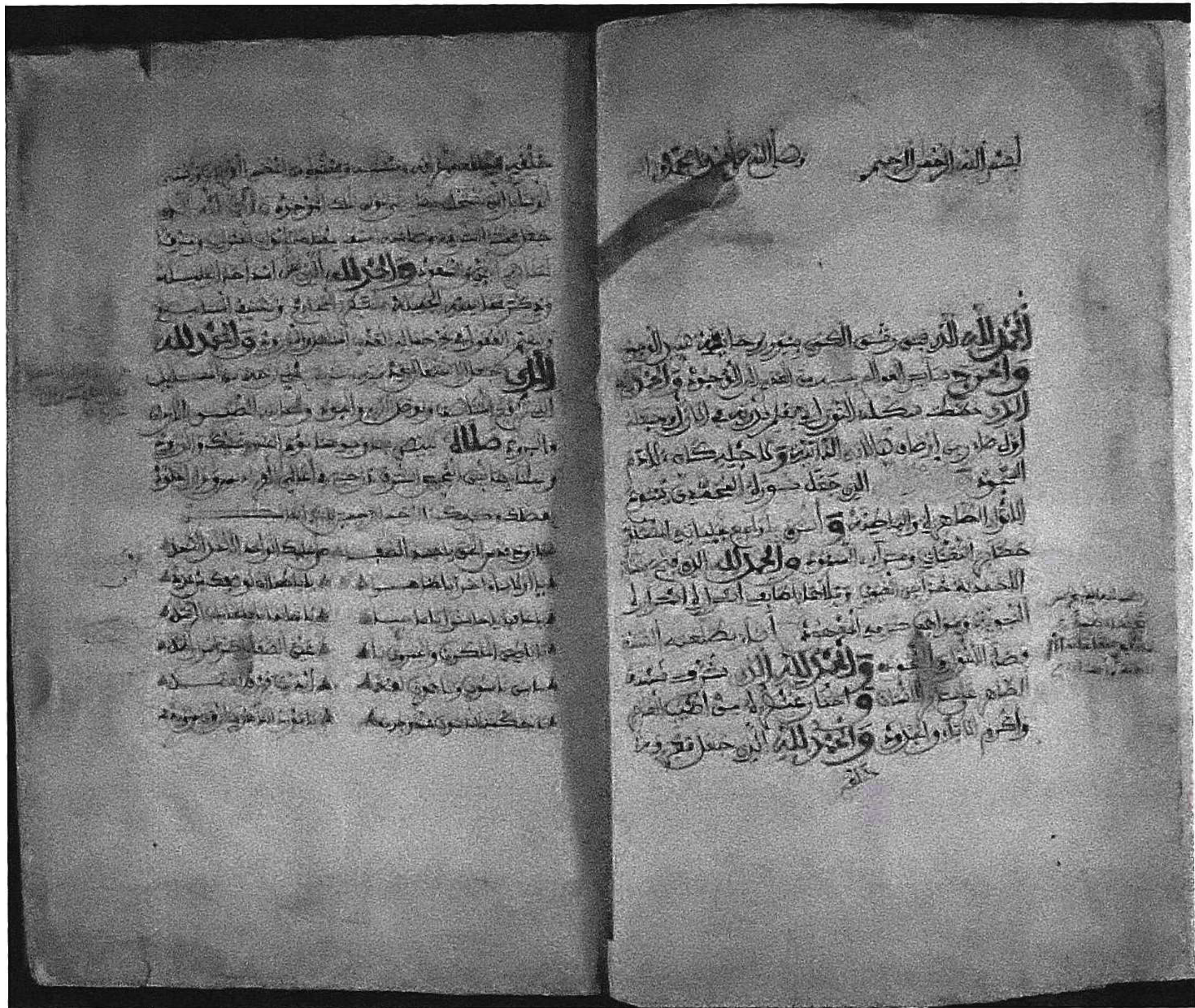
(2) نفح الطيب للمقري، 686/2.

(3) نفح الطيب للمقري، 324/7-326.

(4) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 207/9.

(5) نظم العقدين لابن جابر، ص 159-175.

المفهرسون، وحين قارنتُ بينه وبين المطبوع من كتاب "سفر الشجرة الزكية" وجدت أنه نسخة أخرى منه، ولم يعتمدها المحقق لأنها لم تكن معروفة، وهي في الفهرس: برقم: 2653 السيرة النبوية، وتقع في 126 ورقة[1].



صورة رقم 2-1-2-7: الورقة الأولى من مخطوطة سفر الشجرة الزكية

5- رسالة في ذكر ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجهول:

وهي برقم: 4421 السيرة النبوية. وهي مجهولة المؤلف، ولكنها كتبت بخط مغربي حديث يقدر بالقرن الثالث عشر الهجري، إذ نسخت بتاريخ: 2 ربيع الأول سنة 1228هـ، ويظهر أنها بخط المؤلف، إذ كتب الناسخ في آخرها:

---

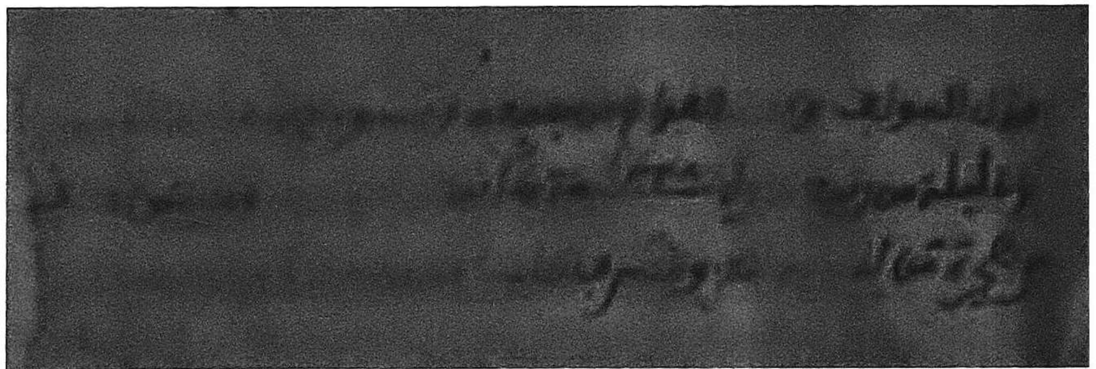
(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/207-208

"قال المؤلف: وكان الفراغ من جمعه وتســويده في ليلة الجمعة ثاني ليلة من ربيع الأول ستة 1228هـ...".



صورة رقم 2-1-2-8: الورقة الأولى من مخطوطة

رسالة في ذكر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم لمجهول



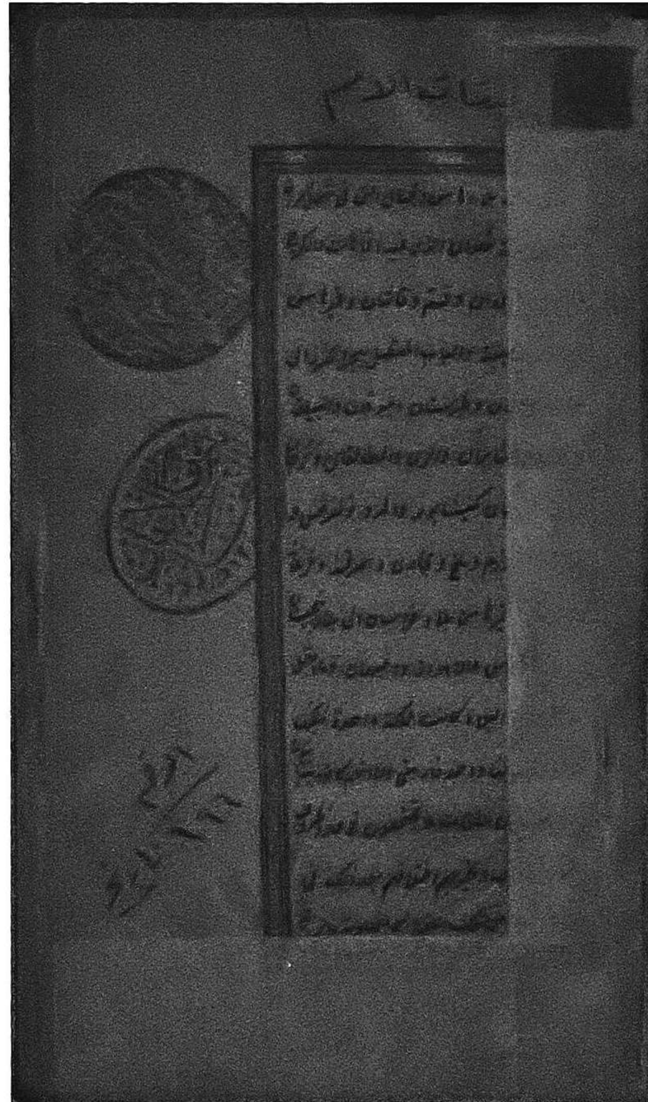
صورة رقم 2-1-2-9: قيد الفراغ لمخطوطة

رسالة في ذكر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم لمجهول

- **مخطوطات التاريخ والتراجم والأنساب:**

6- طبقات الأمم لصاعد بن أحمد التغلبي القرطبي (ت 462هـ):

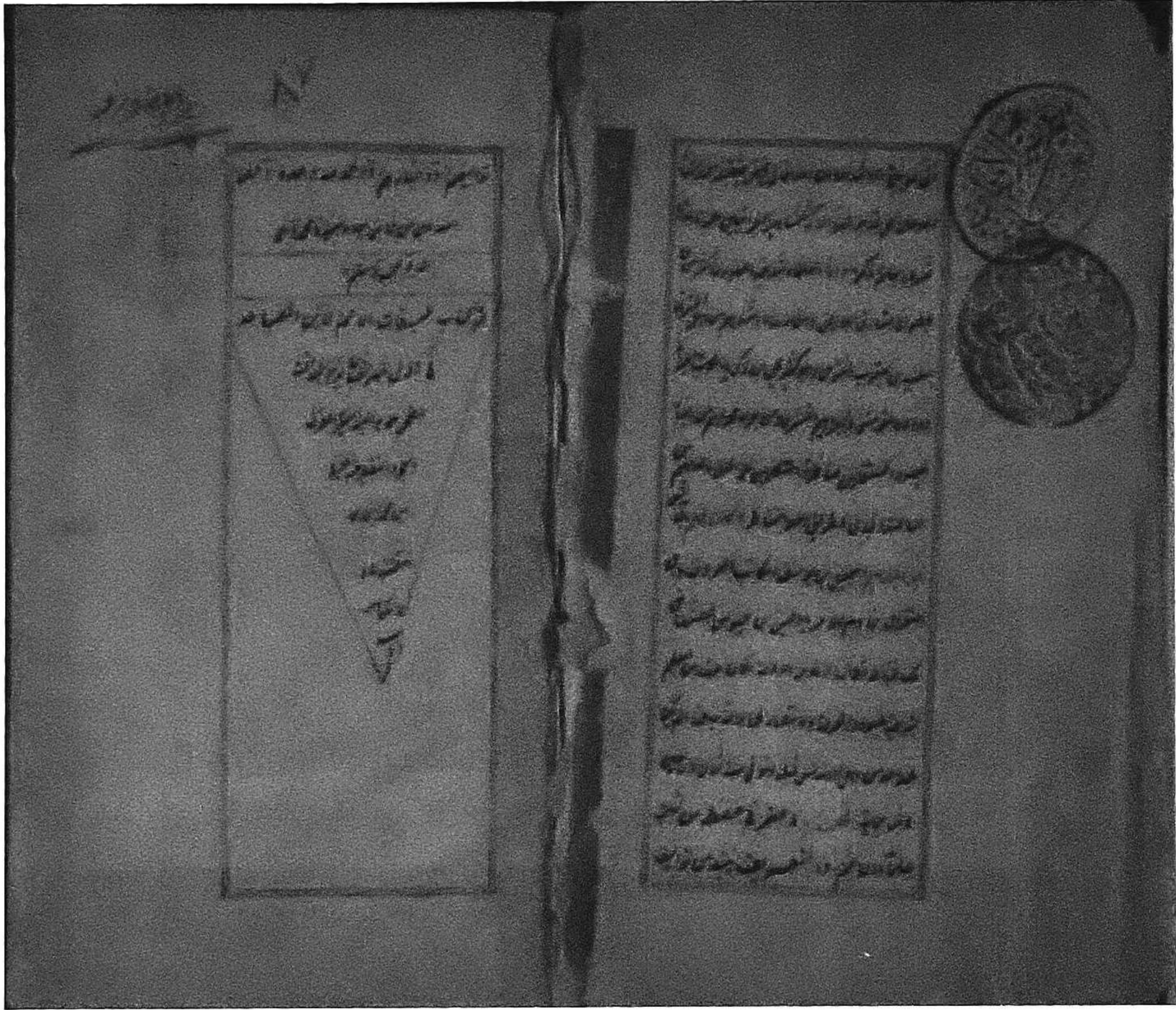
من هذا الكتاب بالمكتبة نسختان: الأولى برقم: 3509 تاريخ[1]. وهي بخط النستعليق، نسخت في الأسكي وار، بخط عبد الحفيظ بن محمد البخاري النقشبندي، في شعبان سنة 903هـ وهي في 87 ورقة، ناقصة الأول بقدر سبعة أسطر، وهي من وقف محمد رشدي باشا الشرواني.



صورة رقم: 2-1-2-10: الورقة الأولى من مخطوطة طبقات الأمم لصاعد الأندلسي

---

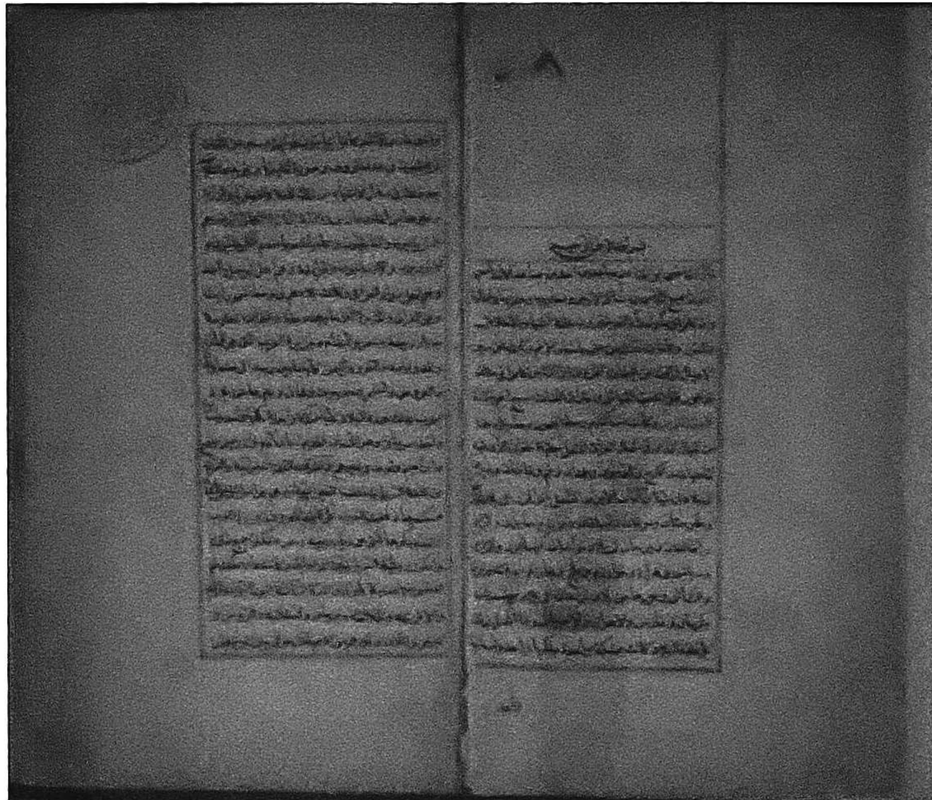
(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/407-408.



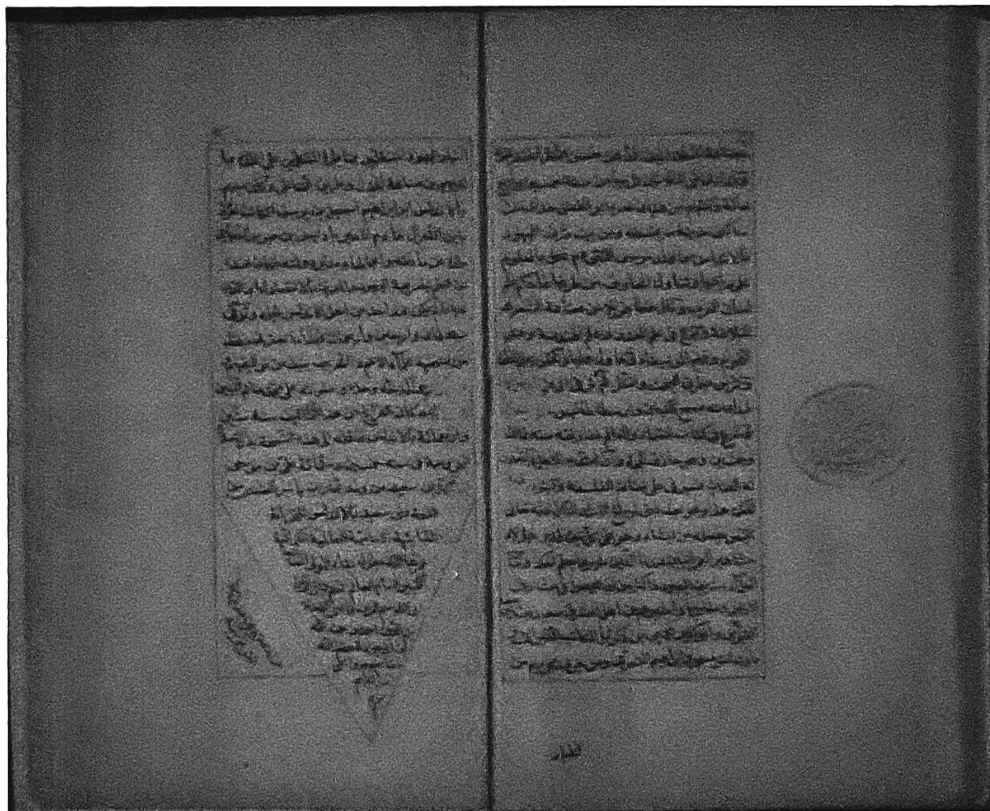
صورة رقم: 2-1-2-11: الورقة الأخيرة من مخطوطة طبقات الأمم لصاعد الأندلسي

والنسخة الثانية برقم: 3448 تاريخ[1]، كتبت بخط نسخي، سنة 1146هـ بخط محترم بن عبد الباقي القريمي، تقع في 56 ورقة، منقولة من نسخة بخط علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، والنسخة من وقف الشريف عبد المطلب آل غالب.

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/408-409.



صورة رقم: 2-1-2-12: الورقة الأخيرة من مخطوطة طبقات الأمم لصاعد الأندلسي



صورة رقم: 2-1-2-13: الورقة الأخيرة من مخطوطة طبقات الأمم لصاعد الأندلسي

7- سـراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والأمراء لأبي بكر محمد بن الوليد القرشي الطرطوشي (ت 520هـ):

النسخة برقم: 3498 تاريخ، ونسخت بخط نسخي، وهي من وقف محمد رشدي باشا الشرواني[1].

8- مختصـر البيان في نسـب آل عدنان، لأحمد بن محمد بن جزي الكلبي الأندلسي (ت 785هـ):

نسخة برقم: 2/3543 الأنساب[2]، وهي بخط مغربي، نسخت في 11 شعبان سنة 1290هـ، وأوراقها 36 ورقة.

9- العبر وديوان المبتـدأ والخبر في أيـام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي (ت 808هـ)

النسـخة برقم: 3534 تاريخ[3]، كتبت بخط النسـتعليق، بخط حسـين بن أحمد بن علي الحلبي، وتحتوي على المجلد الأول من الكتـاب، في مئتين وأربع وسـتين ورقة، وهي من وقف السـلطان العثماني عبد المجيد الأول، وكتبت الوقفية بخط السيد مصطفى نوري القاضي بمكة المكرمة.

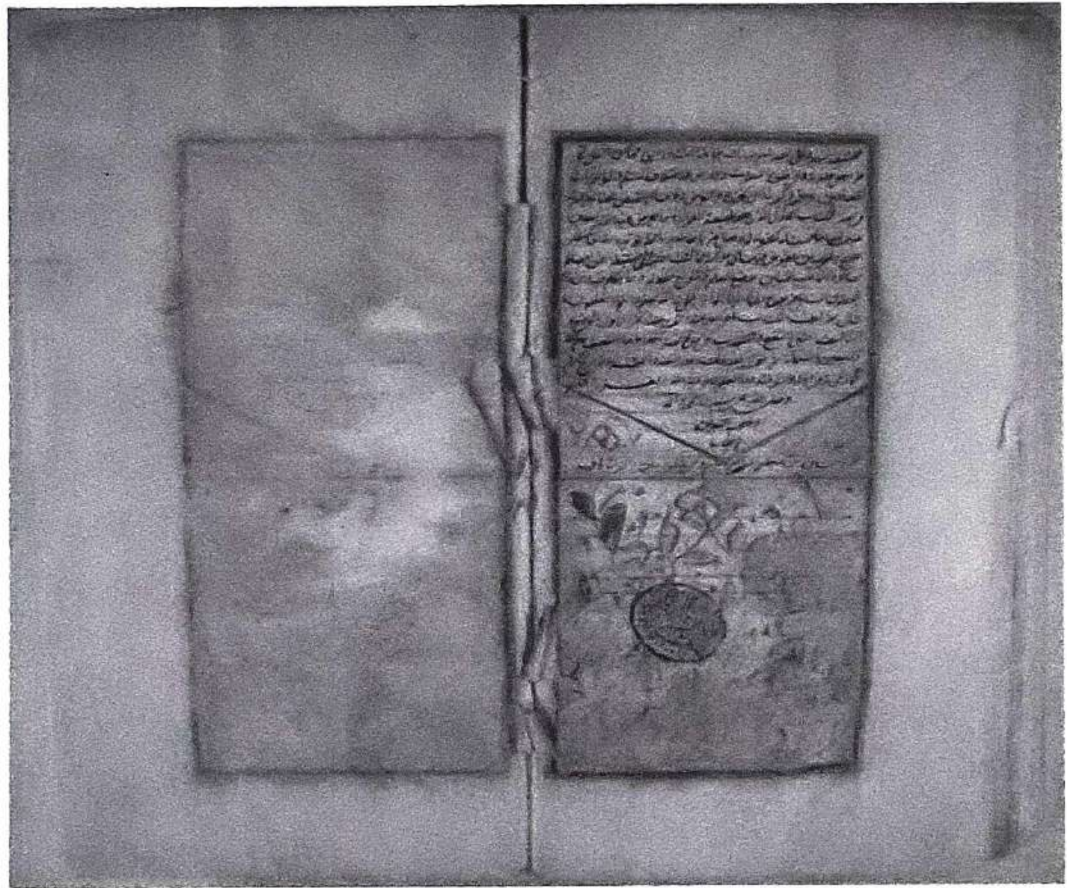
(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 392/9.

(2) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/722-723.

(3) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/412-413.



صورة رقم: 2-1-2-14: الورقة الأولى من مخطوطة العبر لابن خلدون



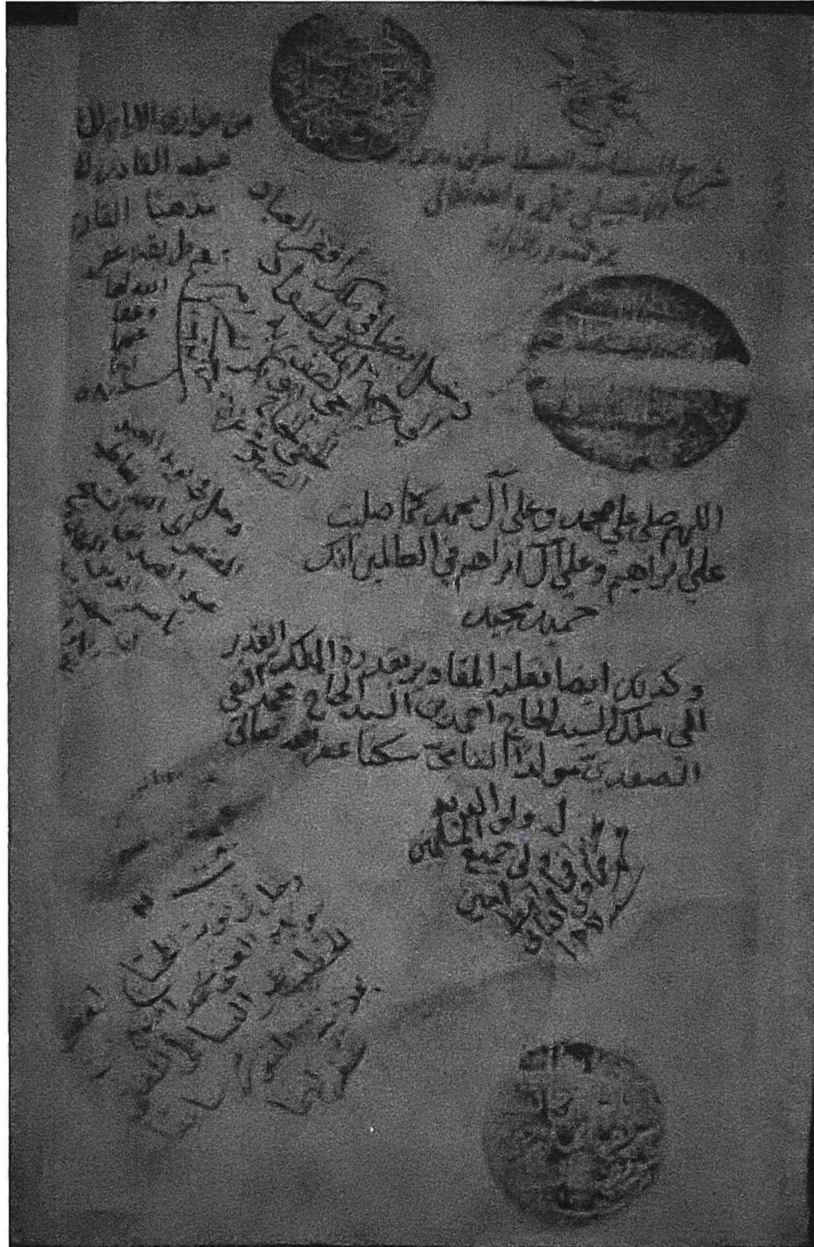
صورة رقم: 2-1-2-15: الورقة الأخيرة من مخطوطة العبر لابن خلدون



صورة رقم: 2-1-2-16: صورة وقفية السلطان عبد المجيد الأول لمخطوطة العبر لابن خلدون

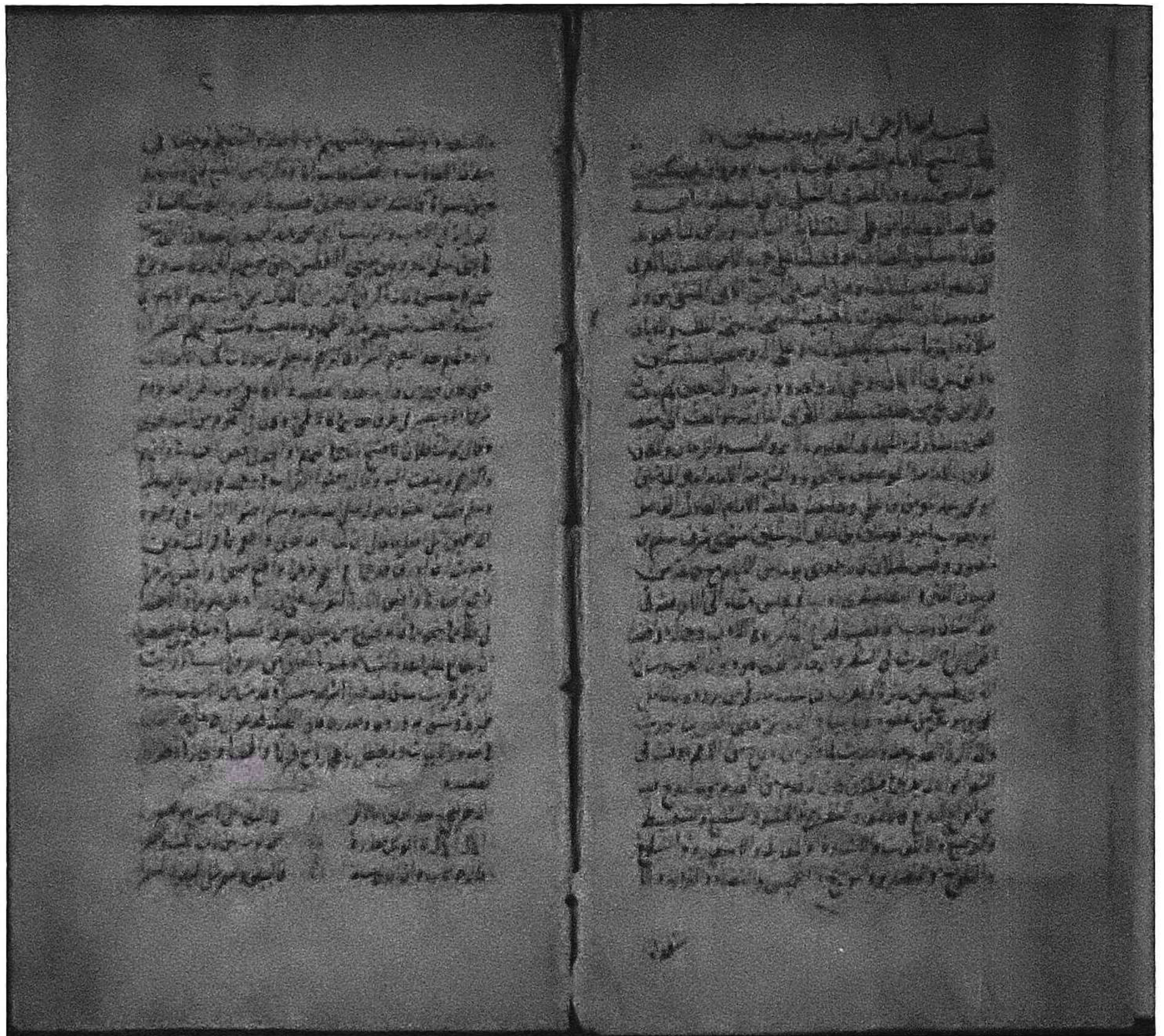
10- كمامة الزهر وفريدة الدهر لأبي مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي (كان حيًا سنة 608هـ):

النسخة برقم: 3279 تاريخ[1]، وهي بخط نسخي، وعليها تملكات كثيرة أحدها سنة 1080هـ، وهي من وقف السلطان عبد المجيد الأول.



صورة رقم: 2-1-2-17: ورقة العنوان لمخطوطة كمامة الزهر لابن بدورن

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/442-443.



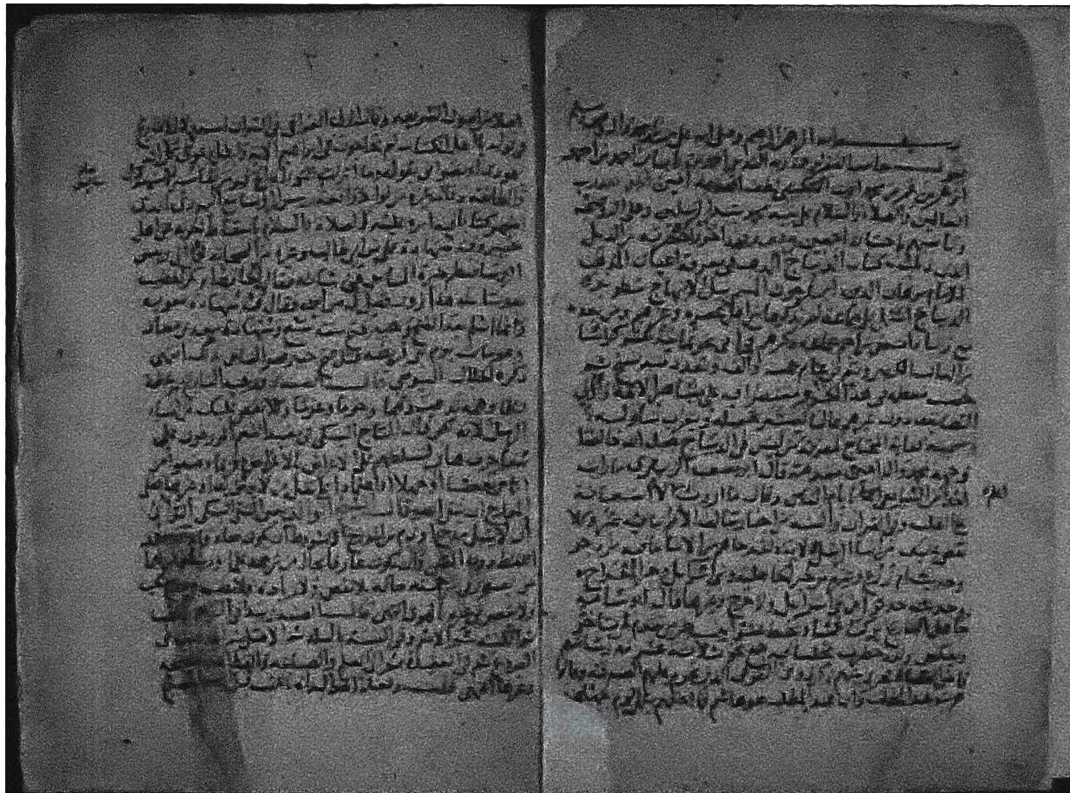
صورة رقم: 2-1-2-18: ورقة العنوان لمخطوطة كمامة الزهر لابن بدورن

11- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج لأحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر الصنهاجي السوداني التنبكتي (ت 1032هـ وقيل 1036هـ)

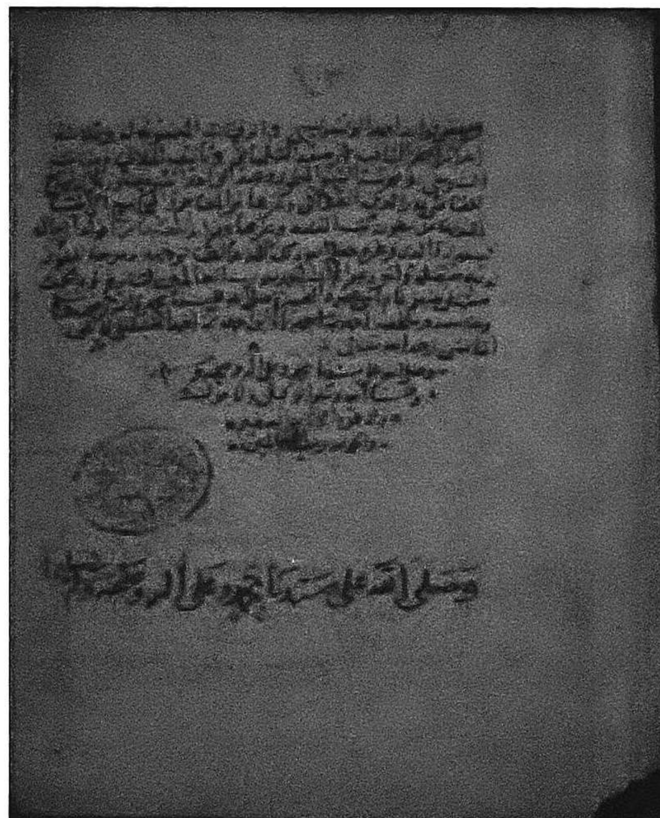
النسخة برقم: 2862 تراجم[1]، وهي بخط نسخي، بخط المؤلف، نسخت في مستهل صفر سنة 1012هـ، وأوراقها 201 ورقة، وهي من وقف الشريف عبد المطلب آل غالب، ولم تعتمد في المطبوع.

---

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/647-648.



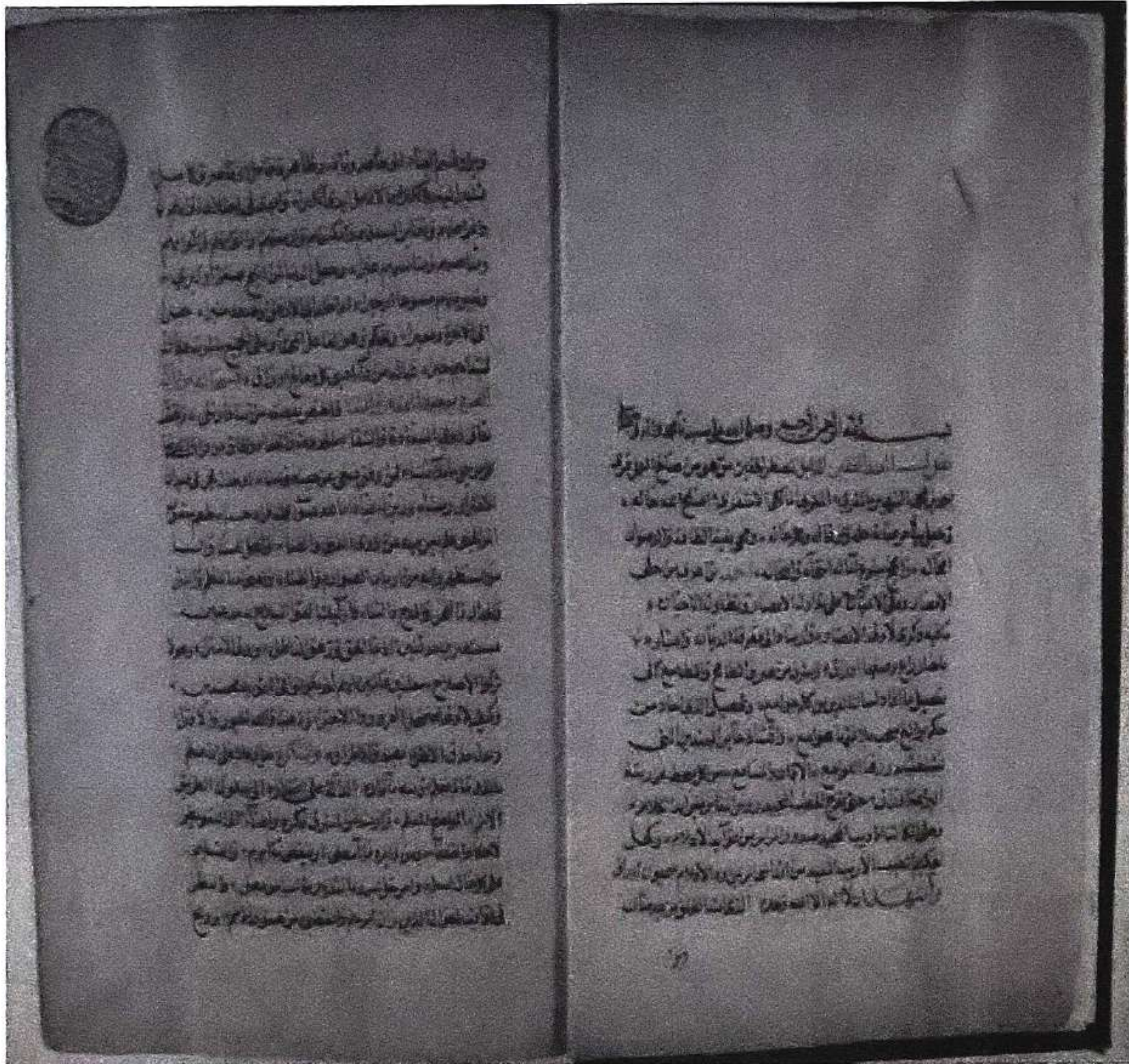
صورة رقم: 2-1-2-19: الورقة الأولى لمخطوطة كفاية المحتاج للتنبكتي



صورة رقم: 2-1-2-20: الورقة الأخيرة لمخطوطة كفاية المحتاج للتنبكتي

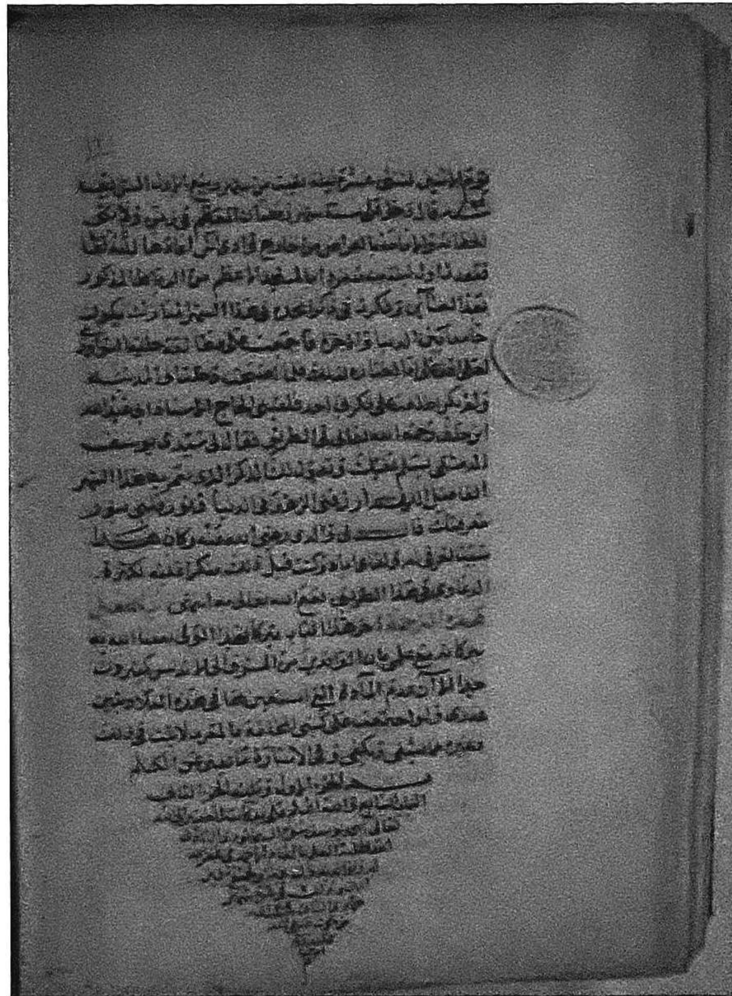
12- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب لأحمد بن محمد المقري (ت 1041هـ):

النسـخة برقم: 3545 تاريخ[1]، وهي بخط نسـخي معتاد، بخط أحمد بن يوسف السمانودي، نسخها في غرة جمادى الثانية سنة 1239هـ، وعدد أوراقها 632 ورقة، وهي من وقف محمد رشدي باشا الشرواني.



صورة رقم: 2-1-2-21: الورقة الأولى لمخطوطة نفح الطيب للمقري

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/474-476.



صورة رقم: 2-1-2-22: الورقة الأولى لمخطوطة نفح الطيب للمقري

13- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي عشـــر من أهل المغرب لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله المراكشـي اليفرني (توفي في حدود سنة 1150هـ):

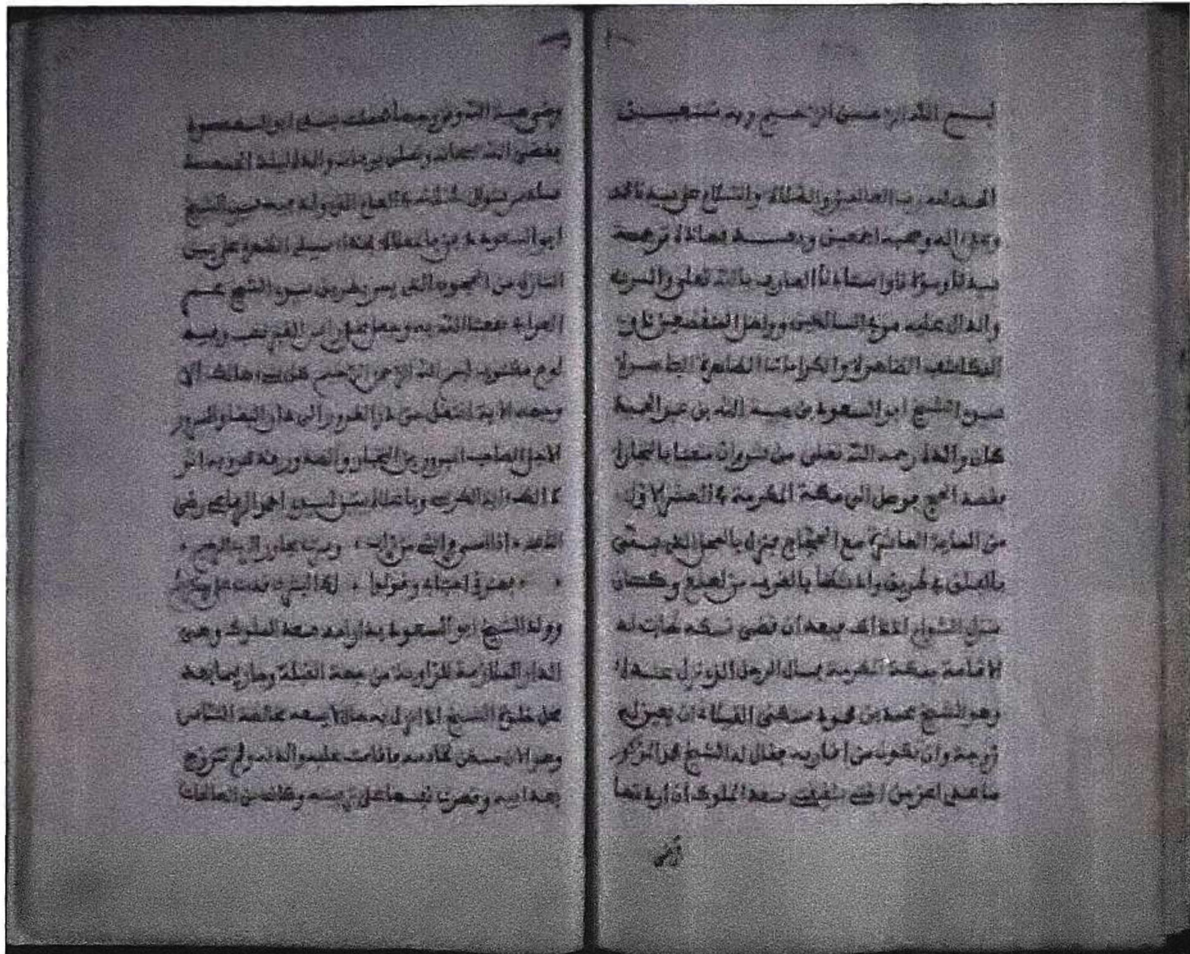
نســخة برقم: 1/3543 تراجم(1)، وهي بخط مغربي، بخط علي بن محمد الشملاني المراكشي، نسخها في سنة 1290هـ، وعدد أوراقها 137 ورقة.

14- ترجمة أبي الســعود بن هيبة الله بن عبد الحميد لمحمد ابن علان البكري (ت 1057هـ):

---

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 690/9.

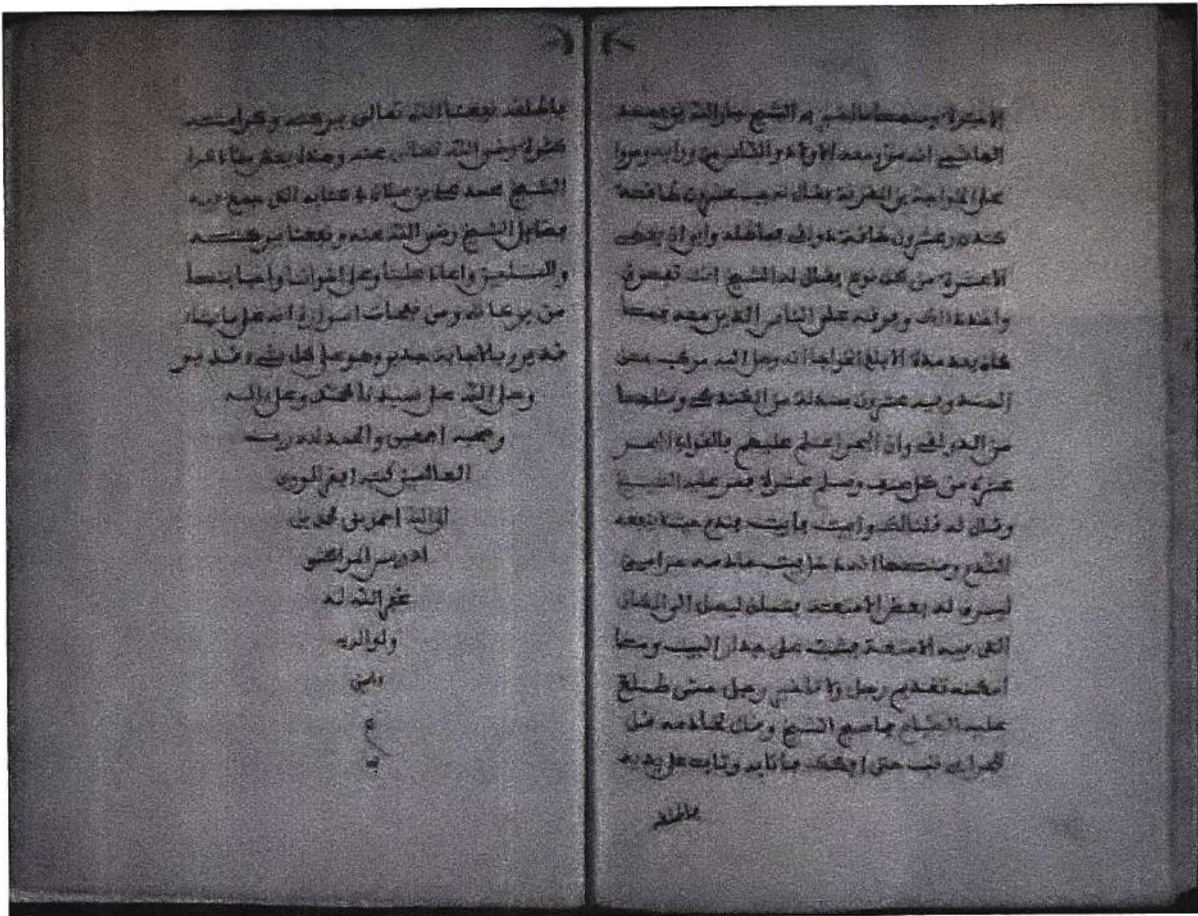
النسخة برقم: 5/3778 تراجم[1]. وهي بخط مغربي، نسخها أحمد بن محمد بن إدريس المراكشي، في ست ورقات ضمن مجموع من الورقة 220/ب-126/أ، وقد نسب الكتاب لابن علان، وإن كان يظهر أنه مختصر اختصره المراكشي من كتاب لابن علان في ترجمة أبي السعود.



صورة رقم: 2-1-2-23: الورقة الأولى لمخطوطة ترجمة أبي السعود لابن علان

---

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/536-537.

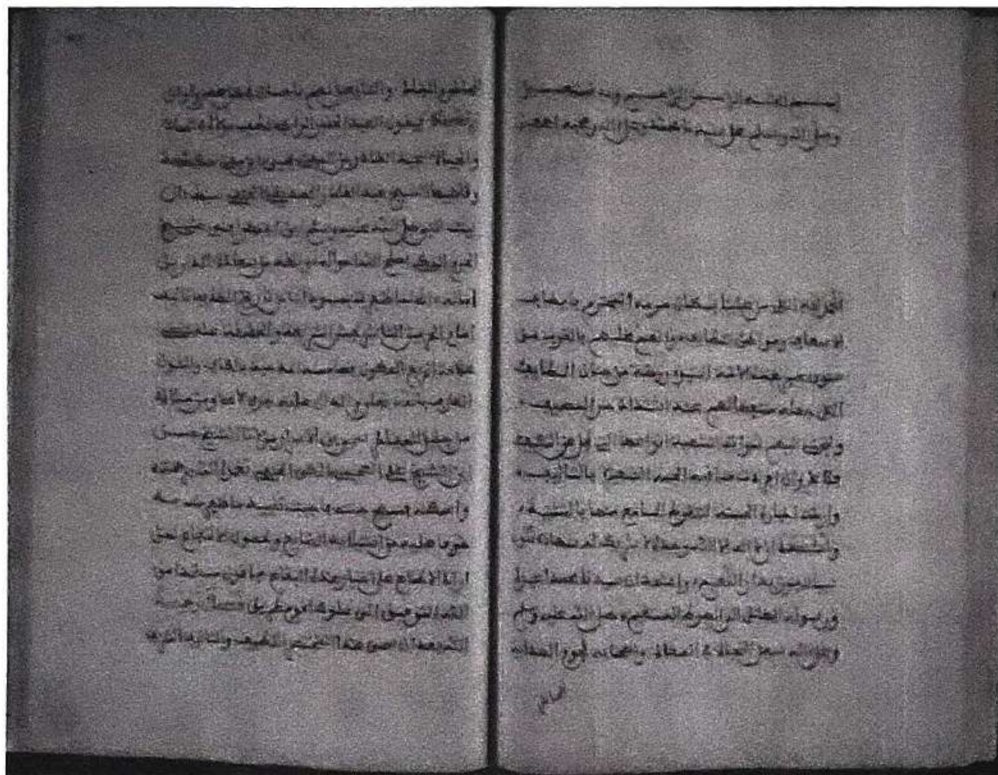


صورة رقم: 2-1-2-24: الورقة الأخيرة لمخطوطة ترجمة أبي السعود لابن علان

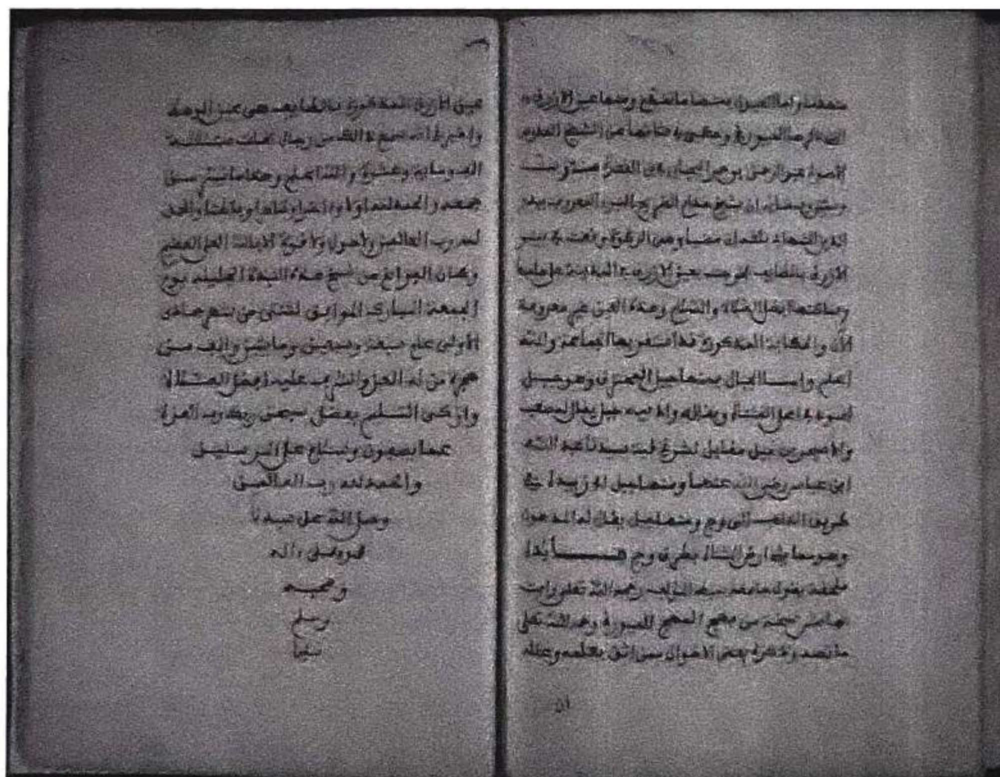
15- إهداء اللطائف في أخبار الطائف لحسن بن علي بن يحيى العجيمي المكي (ت 1113هـ):

برقم: 4/3778 تاريخ، ونسخت بخط مغربي في 2 جمادى الأولى سنة 1277هـ، بخط ناسخ مغربي هو أحمد بن محمد بن إدريس المراكشي[1].

(1) فهرس مخطوطات الحرم المكي الشريف، 9/313-314.



صورة رقم: 2-1-2-25: الورقة الأولى لمخطوطة إهداء اللطائف لعجيمي



صورة رقم: 2-1-2-26: الورقة الأخيرة لمخطوطة إهداء اللطائف لعجيمي

المبحث الثاني: مكتبة مكة المكرمة:

1- التطور التاريخي لمكتبة مكة المكرمة:

تقع مكتبة مكة المكرمة في الجهة الشرقية للمسجد الحرام، في الشعب المعروف "بشعب بني هاشم"، (شعب علي حاليًا) ويذهب بعض الباحثين إلى أن موضعها هو موضع مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا تسمى أيضًا باسم "مكتبة المولد"، وقد كانت تعرف في المصادر باسم "دار ابن يوسف" نسبة إلى محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج، وكانت هذه الدار آلت إلى عقيل بن أبي طالب " بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم تزل بيده حتى باعها ولده لمحمد بن يوسف، ثم اشترتها الخيزران زوجة الخليفة المهدي العباسي حين حجت سنة 171هـ فجعلتها مسجدًا يصلى فيه[1].

وتتابعت عناية الأمراء والخلفاء والوجهاء بهذا الموضع فتوالت عمارته وحفظه، ولخص ذلك الفاسي (ت 832هـ) في شفاء الغرام فذكر أن ممن عمره الخليفة الناصر العباسي في سنة 576هـ، ثم المظفر الرسولي صاحب اليمن في سنة 666هـ، ثم حفيده المجاهد الرسولي سنة 740هـ، ثم الأمير المملوكي شيخون العمري في سنة 758هـ، ثم يلبغا الخاصكي مدبر دولة الأشرف شعبان في سنة 766هـ، وسنة 801هـ[2].

وذكر علي بن عبد القادر الطبري (ت 1070هـ) أن ممن عمر الدار بالإضافة لمن ذكره الفاسي، السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة 935هـ، وجعل عليها قبة، ثم السلطان محمد الثالث في سنة 1009هـ، وجعل لها قبة عظيمة،

---

(1) أخبار مكة للأزرقي، 2/811-812، 912؛ وأخبار مكة للفاكهي، 3/133، 154، 269، والاستيعاب لابن عبد البر، 1/30؛ والروض الأنف للسهيلي، 2/159؛ وشفاء الغرام للفاسي، 1/508.

(2) شفاء الغرام للفاسي، 1/510-511، والعقد الثمين، 6/158..

ومنارة، وأوقف عليها أوقافًا، ورتب لها مؤذنًا، وخادمًا، وإمامًا، ومدرسًا يدرس في يومين من أيام الأسبوع[1].



صورة رقم: 2-2-1-1: صورة لعمارة السلطان سليمان القانوني لمكان المولد

وفي سنة 1370هـ صدرت موافقة الملك عبد العزيز رحمه الله بإنشاء مكتبة في موضع دار المولد، وذلك باقتراح من الشيخ عباس يوسف قطان (ت 1370هـ)، وبتمويل من أخته السيدة فاطمة بنت يوسف قطان[2].

---

(1) الأرج المسكي للطبري، ص 68؛ ومنائح الكرم للسنجاري، 3/264-266.

(2)صحيفة البلاد السعودية في عددها رقم 998 للسنة الخامسة عشرة الصادر يوم الأحد 25 جمادى الأول 1370هـ، الموافق 4 مارس 1951؛ وانظر: مكتبة مكة المكرمة: دراسة موجزة لموقعها وأدواتها ومجموعتها، للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، ص 80، 84.



صورة رقم: 2-2-1-2: صورة قديمة لمبنى مكتبة مكة المكرمة.

ولما تمَّ البناء وافتتحت المكتبة سنة 1370هـ ألحقت بالمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، ثم ألحقت في سنة 1383هـ بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية[1].

وأوقف على المكتبة عدد من مكتبات وجهاء مكة المكرمة وأعلامها، مثل مكتبة الشيخ محمد ماجد كردي، والشيخ عبد الحميد بن محمد علي قدس، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله، والشيخ محمد علي بن حسين المالكي، والشيخ حسن بن محمد مشاط، والشيخ محمد سراج محمد نور ششة، والشيخ عباس بن صدقة عبد الجبار، والشيخ عمر بن علي الفلاني، والشيخ حسين علي عرب، والسيد محمد أحمد شطا، والشيخ محمد رشيد عبد الحميد فارسي، والدكتور إبراهيم بن علي ركة، والأستاذ إبراهيم خليل علاف، والأستاذ محمد سعيد طاهر الغامدي، بالإضافة إلى مكتبات بعض الجهات

---

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، قسم القرآن وعلومه، إعداد الدكتور محمد الحبيب الهيلة، ص 8.

الخاصة، والكتب المهداة، والدوريات النادرة[1].

وتحتوي المكتبة على 1522 مخطوطًا، تبلغ مخطوطات التاريخ منها 124 مخطوطًا، وقد وردت هذه المخطوطات من مكتبة الشيخ محمد ماجد كردي، والشيخ عبد الحميد بن محمد علي قدس، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله، والشيخ محمد علي بن حسين المالكي[2].

2- مخطوطات التاريخ الأندلسية والمغربية في مكتبة مكة المكرمة:

يقع قسم التاريخ في فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة بين الصفحات: 453-483، وهو يشمل فنون التاريخ الأربعة: السيرة النبوية، والتاريخ العام، والتراجم، والأنساب، وبعد جرد هذا القسم من الفهرس وجدت سبعة عناوين تعد مخطوطات أندلسية أو مغربية، وذلك من جهة المواضيع، أو المؤلفين، أو الخط، وهي:

1- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ)

في المكتبة من الكتاب نسختان، الأولى برقم: ٤٦/ تاريخ[3]، نسخها حافظ أحمد بن محمد المعروف بصوفي زاده بخط النسخ سنة ١٢١٩هـ، وأوراقها: ٢٦٩ ورقة، عليها آثار رطوبة الورقة الأولى مجدولة بماء الذهب، كتبت بالمدادين الأسود والأحمر

(1) مكتبة مكة المكرمة لعبد الوهاب أبو سليمان، ص 149-202.

(2) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، قسم القرآن وعلومه، إعداد الدكتور محمد الحبيب الهيلة، ص 9-10.

(3) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص 469.

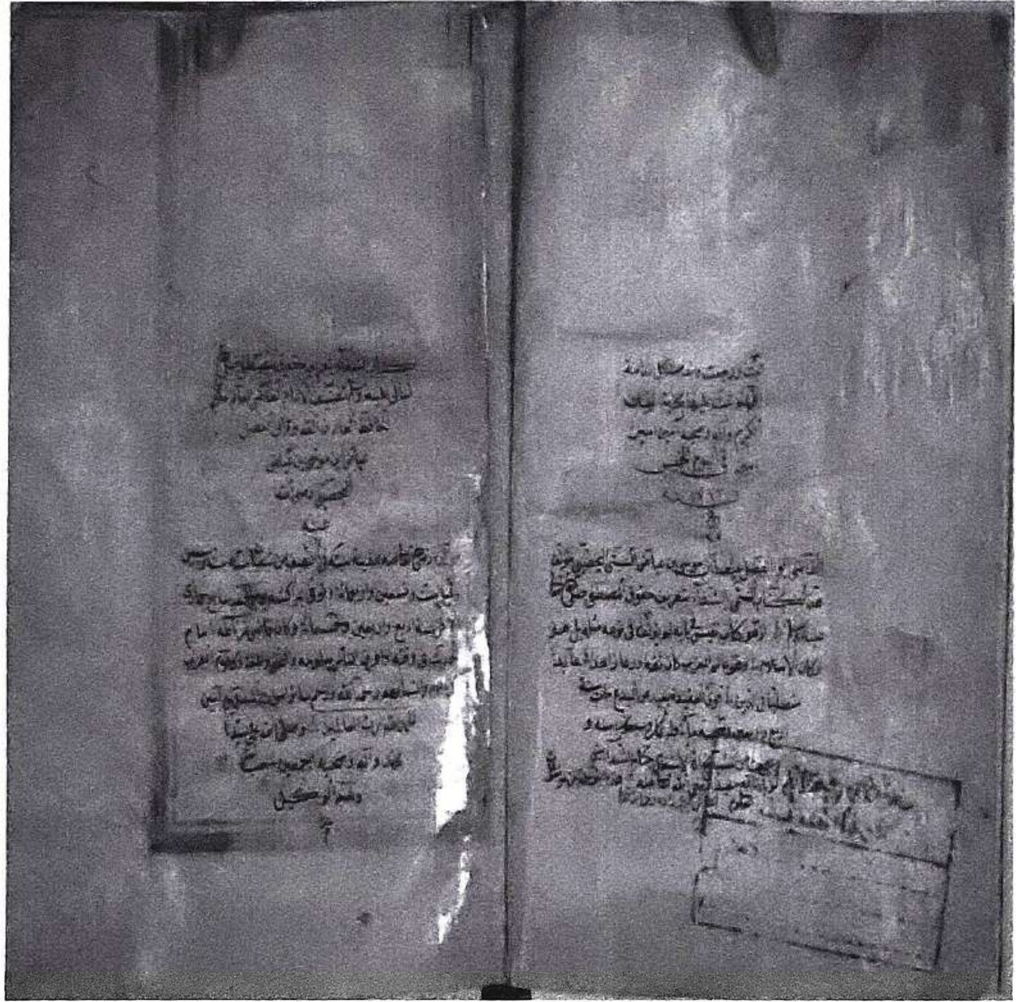


صورة رقم: 2-2-2-1: الورقة الأولى من الشفا لعياض رقم: 46/ تاريخ



صورة رقم: 2-2-2-2: الورقة الأخيرة من الشفا لعياض رقم: 46/ تاريخ

والنسخة الأخرى برقم: ١٥/ تاريخ[1]، كتبت بخط النسخ سنة ١٢١٧هـ، كتبت بالمدادين الأسود والأحمر، جدول أولها بماء الذهب، وأوراقها: 227 ورقة.



صورة رقم: 2-2-2-3: الورقة الأولى من الشفا لعياض رقم: 15/ تاريخ

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص 469.



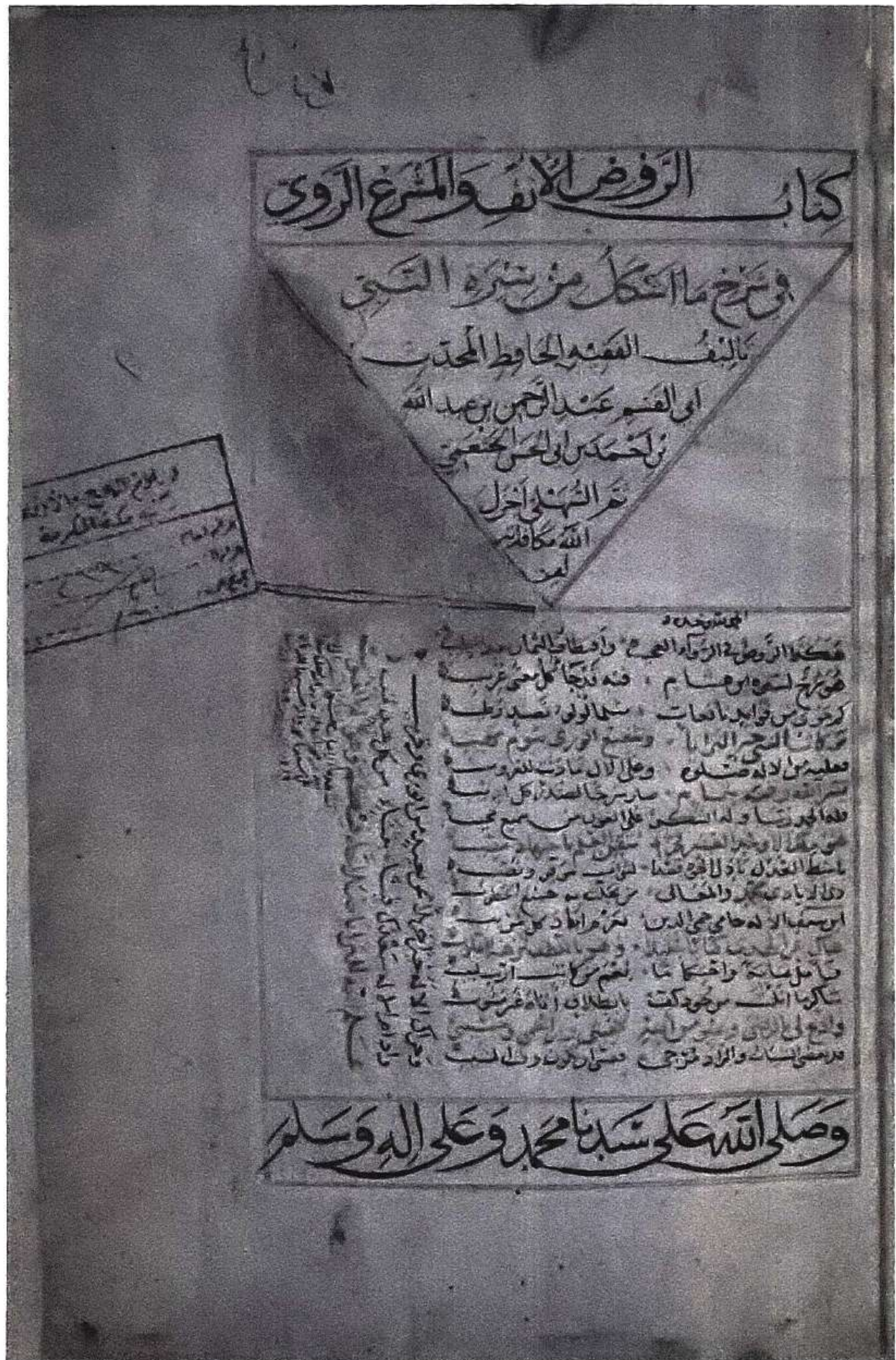
صورة رقم: 2-2-2-4: الورقة الأخيرة من الشفا لعياض رقم: 15/ تاريخ

2- الروض الأنف والمشرع الروي في شرح ما أشكل من سيرة النبي لابن هشام (ج 1، 2) لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١ هـ)

في المكتبة ثلاث نسخ، الأولى برقم: ٤٧/ تاريخ[1]، في جزأين: الأول نسخه سليمان بن محمد السهيلي سنة ١٠٦٩هـ، والثاني نسخ سنة ١١٠٩هـ، وتقع في ٢٤٠ ورقة، عليها آثار أرضة، كتبت بالمدادين الأسود والأحمر.

---

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص 469-470.



كتاب الروض الأنف والمشرع الروى

في شرح ما أشكل من سيرة النبي

بالنف الفقيه الحافظ المحدث

أبي القسم عبد الرحمن بن عبد الله

بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي

ثم السهيلي أجزل

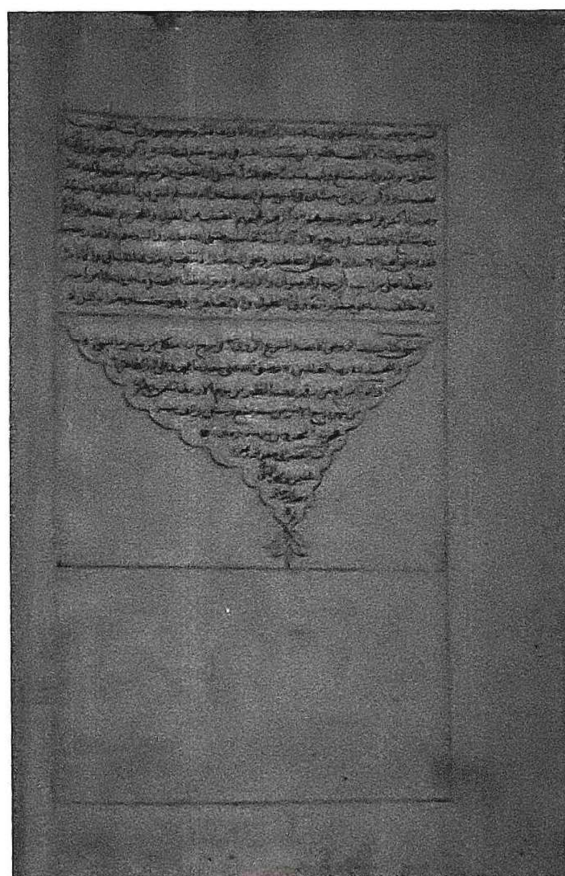
الله مكافاته

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

صورة رقم: 2-2-2-5: ورقة العنوان لمخطوطة الروض الأنف للسهيلي رقم: ٤٧/ تاريخ



صورة رقم: 2-2-2-6: الورقة الأولى لمخطوطة الروض الأنف للسهيلي رقم: ٤٧/ تاريخ

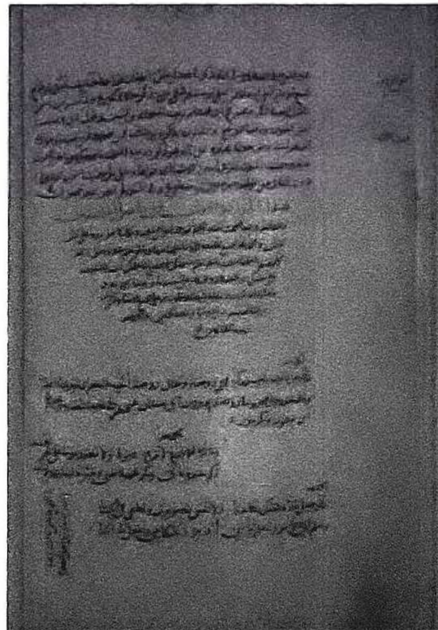


صورة رقم: 2-2-2-7: الورقة الأخيرة لمخطوطة الروض الأنف للسهيلي رقم: ٤٧/ تاريخ

أما النسخة الثانية فهي برقم: 27/تاريخ[1]، وتحتوي على الجزء الأول من الكتاب، وقد كتبت بخطوط مختلفة، وتعود لحدود القرن الحادي عشر الهجري، وتتكون من ٢٠٤ ورقات، عليها آثار أرضة ورطوبة، كتبت بالمدادين الأسود والأحمر.



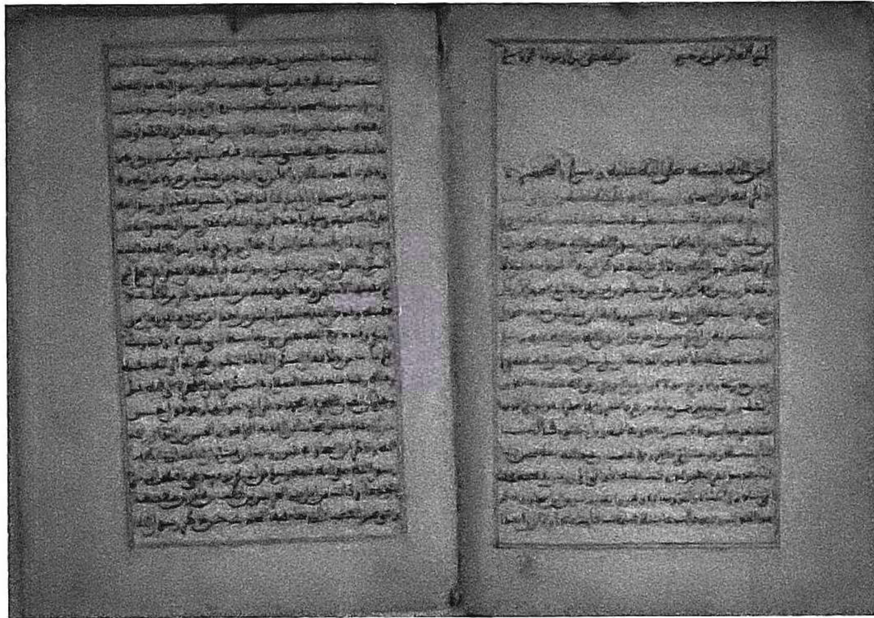
صورة رقم: 2-2-2-8: الورقة الأولى لمخطوطة الروض الأنف للسهيلي رقم: 27/ تاريخ.



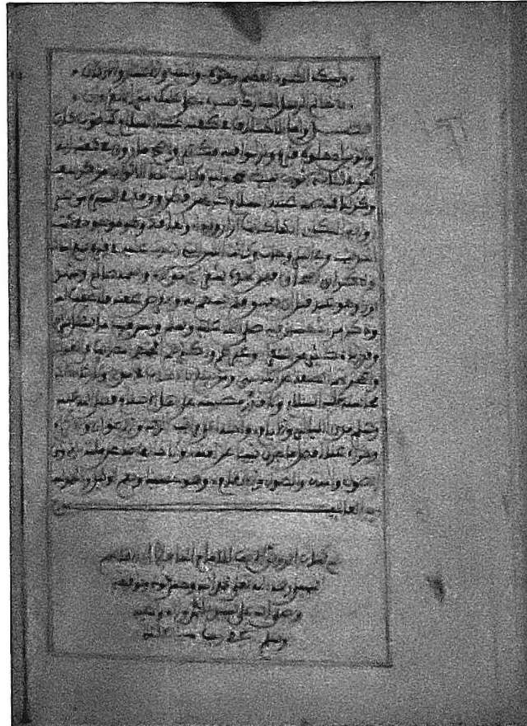
صورة رقم: 2-2-2-9: الورقة الأولى لمخطوطة الروض الأنف للسهيلي رقم: 27/ تاريخ.

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص 467.

والنســخة الثالثة برقم: ٥/ تاريخ[1]، فتحتوي على الجزء الثاني من الكتاب، وكتبت بخط مغربي سنة ١٣١١هـ، بالمدادين الأسود والأحمر، وأوراقها: 193 ورقة.



صورة رقم: 2-2-2-10: الورقة الأولى لمخطوطة الروض الأنف للسهيلي رقم: 5/تاريخ.

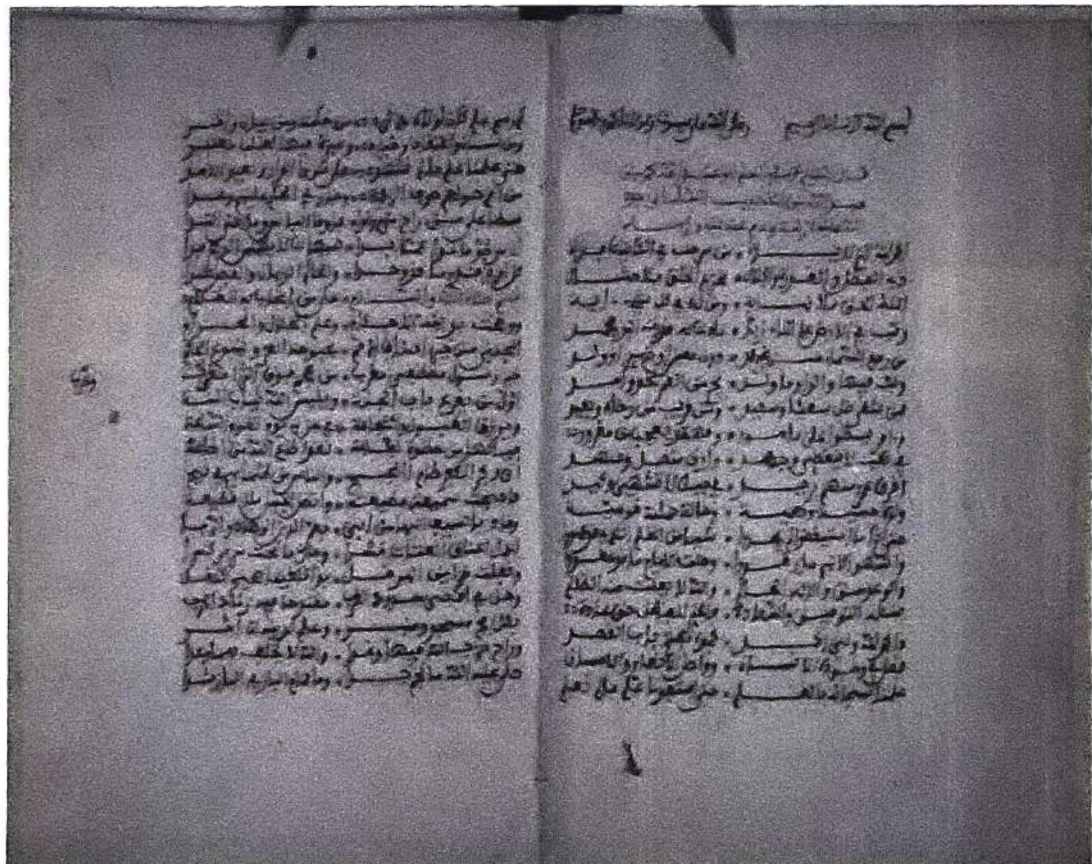


صورة رقم: 2-2-2-11: الورقة الأخيرة لمخطوطة الروض الأنف للسهيلي رقم: 5/تاريخ.

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص 467.

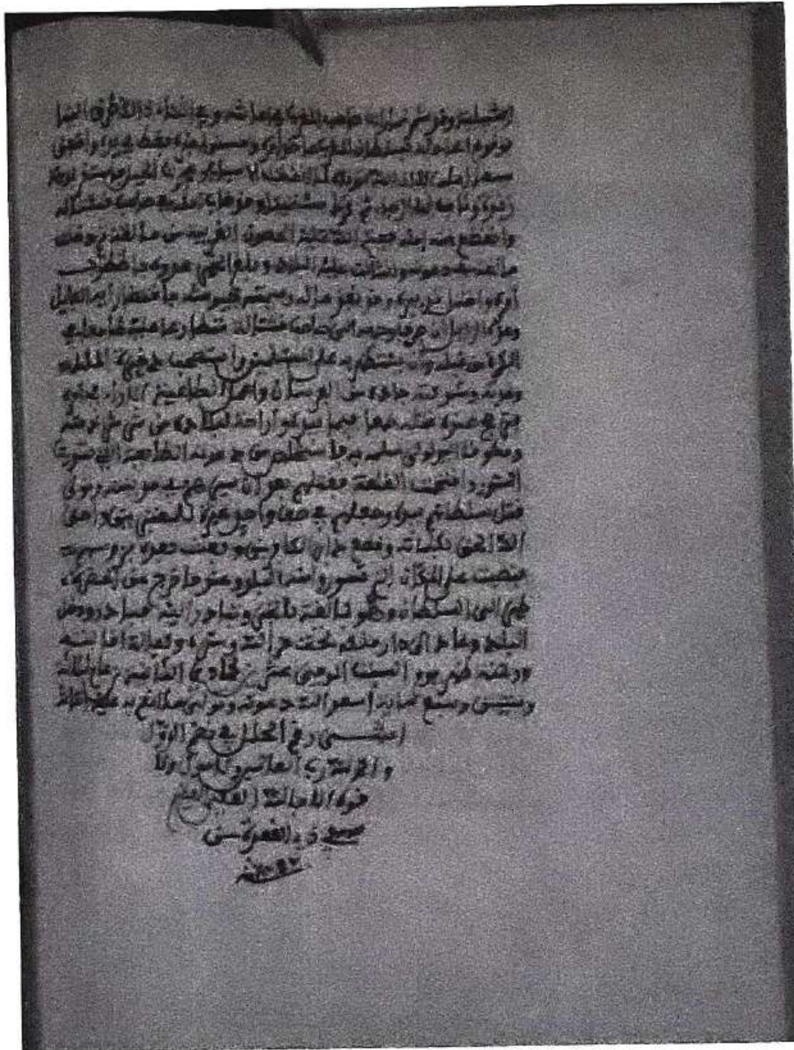
3- رقم الحلل في تاريخ الدول للسان الدين محمد بن الخطيب السلماني (ت ٧٧٦هـ)

تقع ضمن مجموع برقم: 44/تاريخ[1]، يحتوي على 62 لوحة وتقع الأرجوزة في 53 لوحة، مسطرتها 23 سطراً، كتبت بخط مغربي سنة ١٢٤٧هـ، وكتبت العناوين وبعض الكلمات بالمدادين الأسود والأحمر.



صورة رقم: 2-2-2-12: الورقة الأولى لمخطوطة رقم الحلل لابن الخطيب رقم: 44/تاريخ.

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص 466

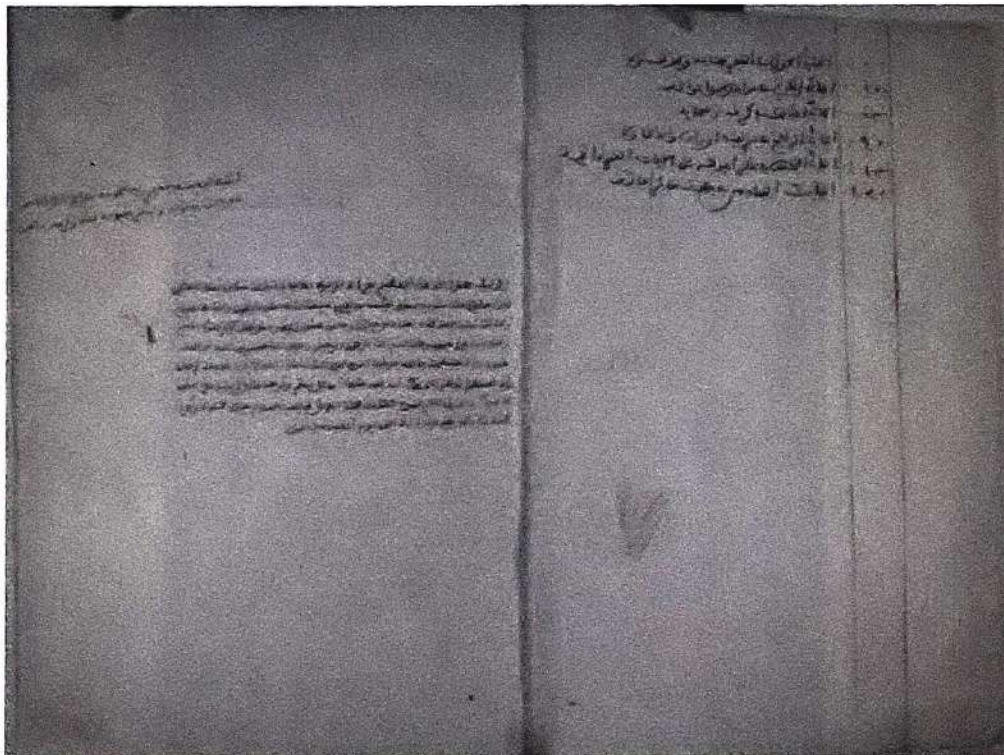


صورة رقم: 2-2-2-12: الورقة الأخيرة لمخطوطة رقم الحلل لابن الخطيب رقم: 44/تاريخ.

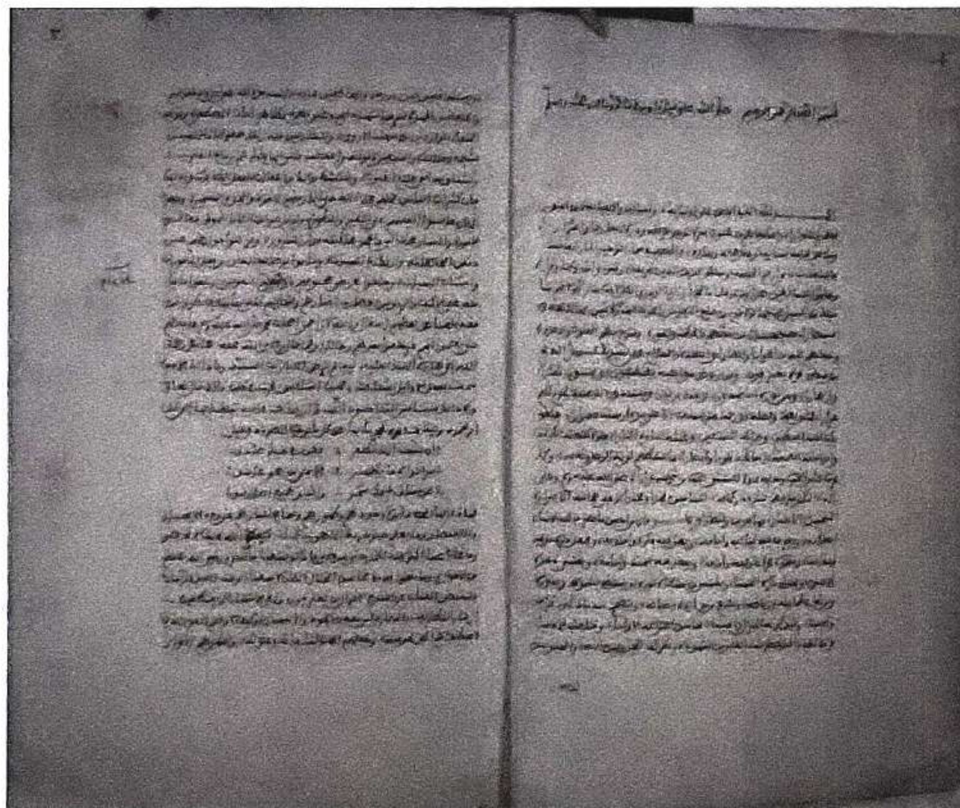
4- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في مناقب أبي العباس التجاني إملاء أبي العباس التجاني على تلميذه علي حرازم بن العربي برادة (ت 1218هـ)

نسخة برقم: ١٨/تاريخ[1]، نسخها حمودة بن أحمد الطرابلسي التاستوري سـنة ١٢٦٤هـــ بخط مغربي، كتبت بأنواع من المداد هي: الأسـود والأحمر والأخضر، وأوراقها: ٢٥١ ورقة.

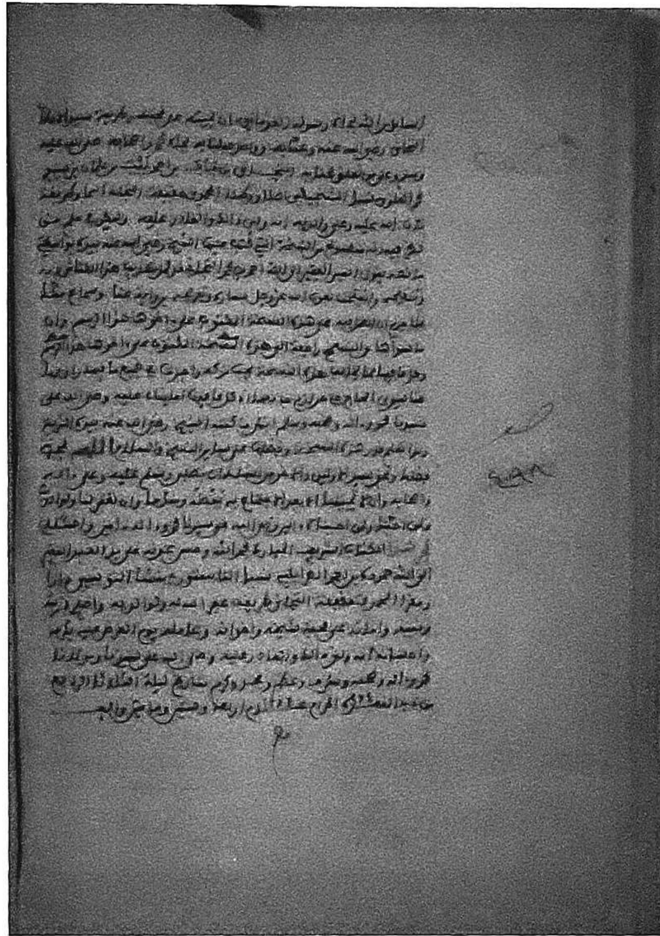
(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص٤٦٢-463.



صورة رقم: 2-2-2-13: ورقة العنوان لمخطوطة جواهر المعاني لابن برادة رقم: 18/تاريخ.



صورة رقم: 2-2-2-13: الورقة الأولى لمخطوطة جواهر المعاني لابن برادة رقم: 18/تاريخ.

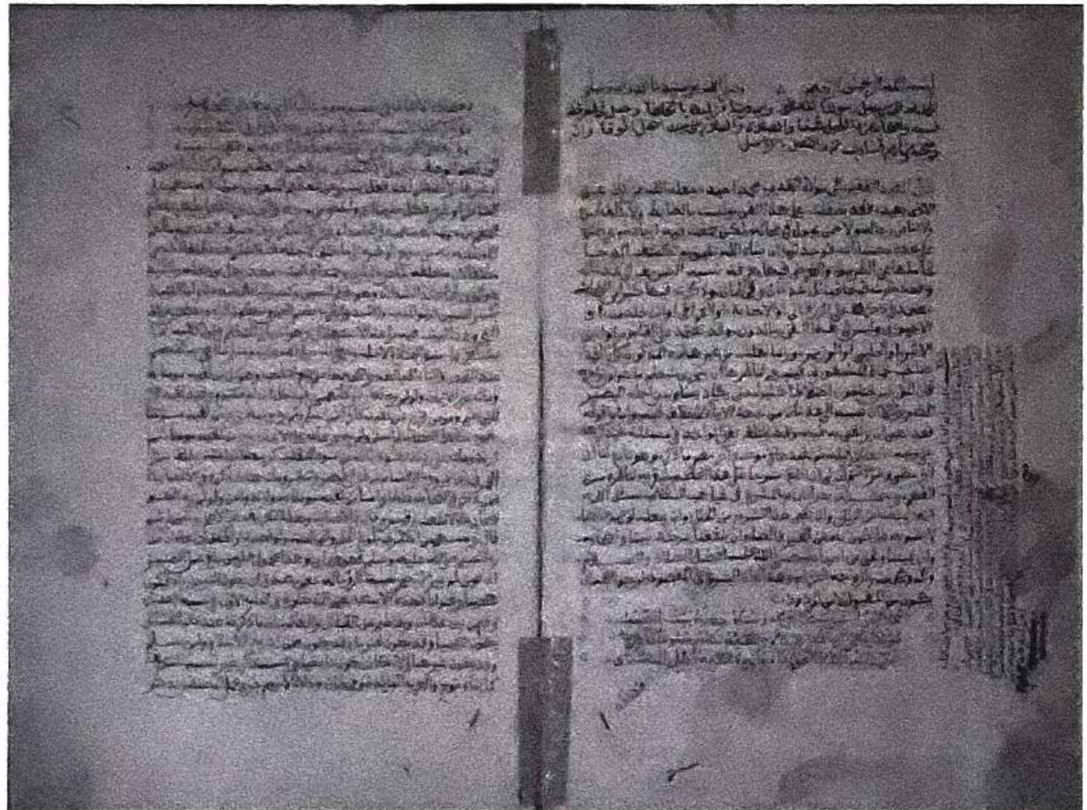


صورة رقم: 2-2-2-14: الورقة الأخيرة لمخطوطة جواهر المعاني لابن برادة رقم: 18/تاريخ.

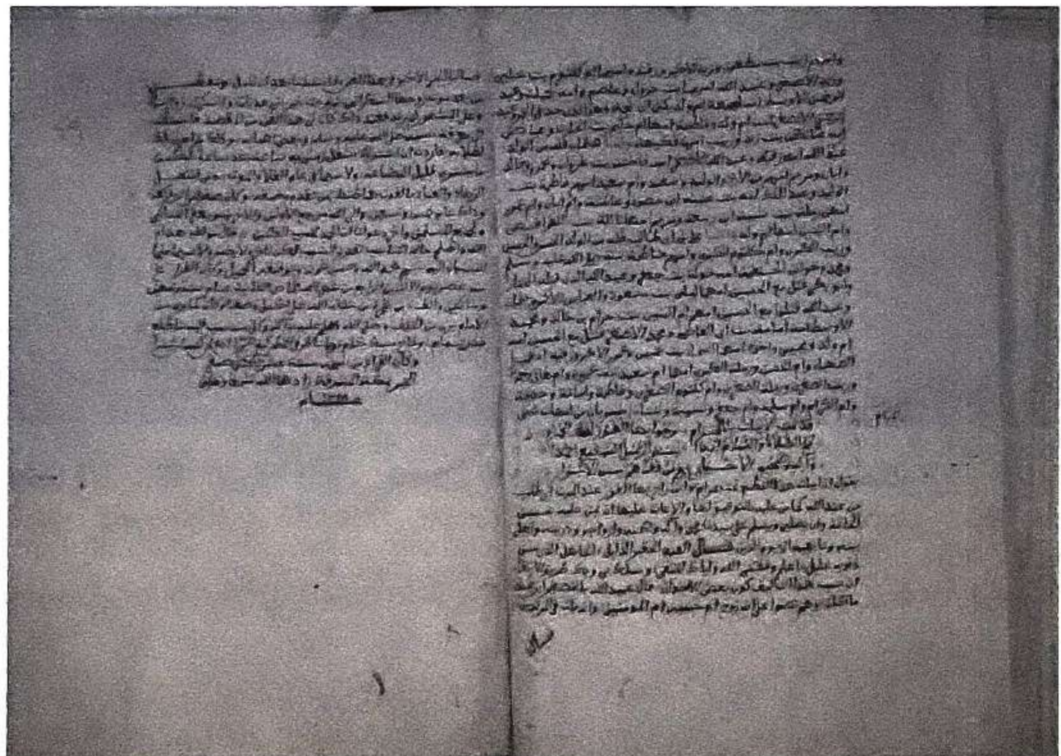
5- بدر التمام المشرق في غياهب الظلام لمحمد أحيد (ت بعد 1296 هـ)

نسخة برقم: 105/تاريخ[1]. كتبت بخط مغربي سنة 1296هـ بمكة المكرمة بالمداد الأسود والأحمر والبنفسجي، عليها آثار رطوبة، وأوراقها: 50 ورقة.

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص 459.



صورة رقم: 2-2-2-15: الورقة الأولى لمخطوطة بدر التمام لمحمد أحيد رقم: 105/تاريخ.



صورة رقم: 2-2-2-16: الورقة الأخيرة لمخطوطة بدر التمام لمحمد أحيد رقم: 105/تاريخ.

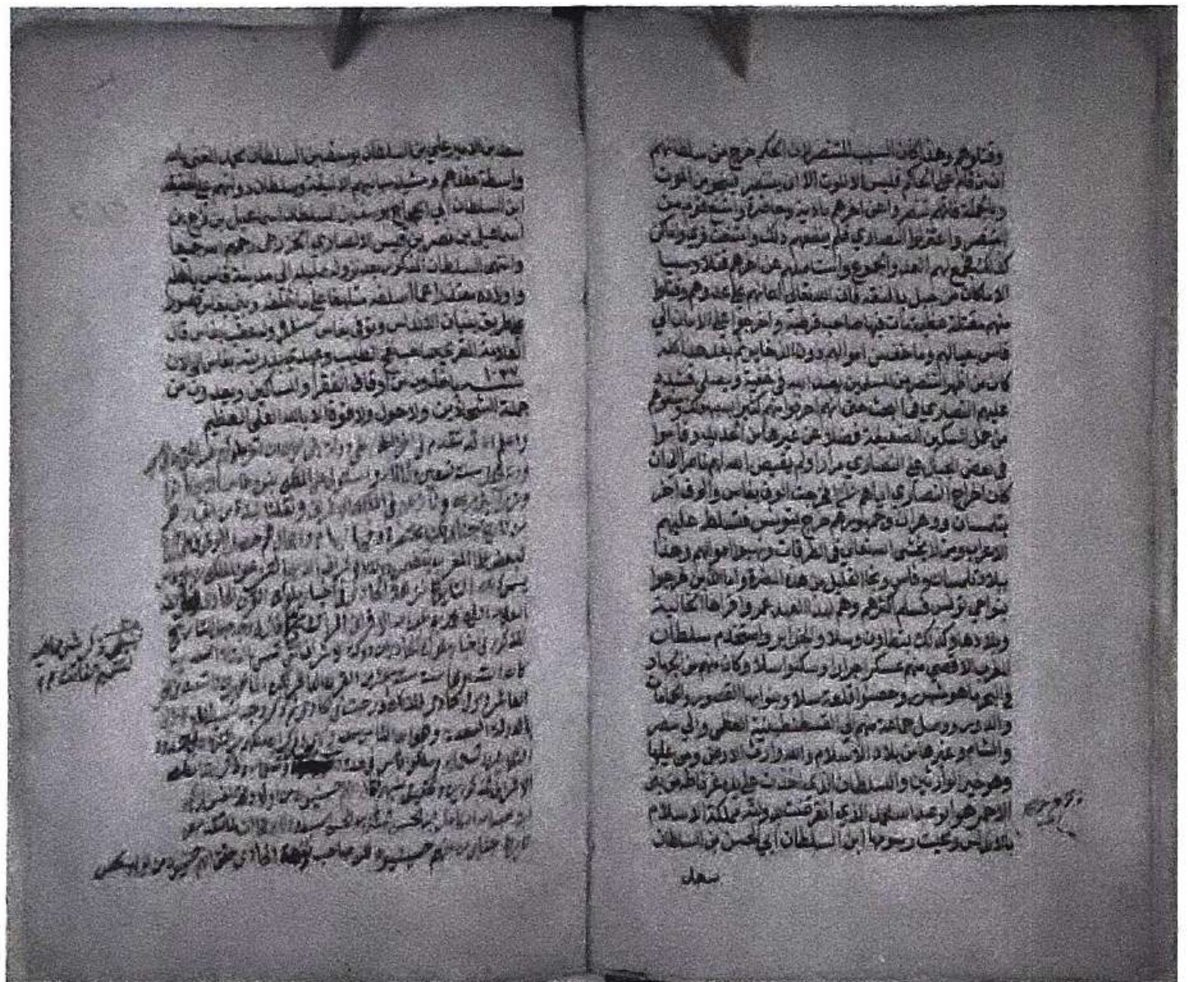
6- فتح الأندلس الخصيب الملخص من نفح الطيب لأحمد زيني دحلان ت ١٣٠٤هـ

نسخة تقع في مجموع برقم: ٩/ تاريخ[1]، من الورقة: -214/أ، وكتبت النسخة بخط النسخ، بالمدادين الأسود والأحمر، وأوراقها: 218 ورقة، وقد اختصرها أحمد زيني دحلان من كتاب نفح الطيب للمقري، وأضاف إليه من الكامل لابن الأثير، وتاريخ ابن خلدون، ومختصر أبي الفداء.



صورة رقم: 2-2-2-17: الورقة الأولى لمخطوطة فتح الأندلس الخصيب لدحلان رقم: 9/تاريخ.

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص472.



صورة رقم: 2-2-2-18: الورقة الأخيرة لمخطوطة
فتح الأندلس الخصيب لدحلان رقم: 9/تاريخ.

7- ذكر شـيء من نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي لأحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ)

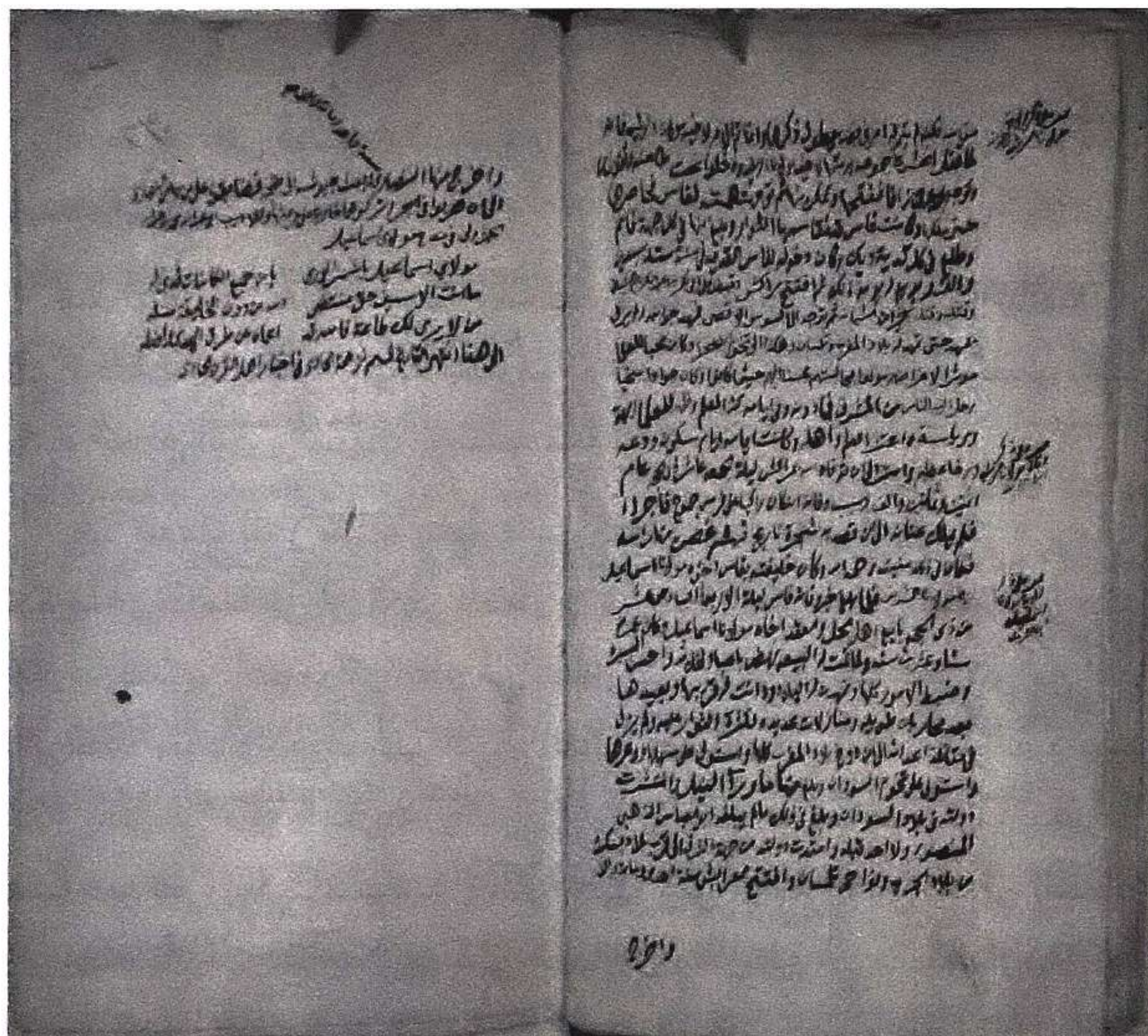
نسـخة في نفس المجموع السـابق رقم: ٩/ تاريخ[1]، من الورقة 214/أ-230/أ، كتبت بخط النسخ بالمداد الأسود، وأوراقها: 22 ورقة، وهي مختصر اختصـره أحمد زيني دحلان من كتاب نزهة الحادي لمحمد بن عبد الله المراكشي الإفراني (توفي حوالي 1156هـ).

---

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص 464.

سعد بن الامير علي بن السلطان يوسف بن السلطان محمد الغني بالله
واسطة عقدهم ومشيد مبانيهم الانيقة وسلطان دولتهم على الحقيقة
ابن السلطان ابي الحجاج يوسف بن السلطان اسماعيل بن فرج بن
اسماعيل بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله جميعا
وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله مليلا الى مدينة فاس باهله
واولاده معتذرا عما اسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس قصورا
على طريق بنيان الاندلس وتوفي بفاس سنة ٨٩٩ وله عقب بفاس قال
العلامة المقري صاحب نفح الطيب وعهدي بذريته بفاس الى الان
سنة ١٠٣٧ ياخذون من اوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من
جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

صورة رقم: 2-2-2-19: الورقة الأولى لمخطوطة شيء من نزهة الحادي لدحلان رقم: 9/تاريخ.



صورة رقم: 2-2-2-19: الورقة الأخيرة لمخطوطة

شيء من نزهة الحادي لدحلان رقم: 9/تاريخ.

الخاتمة

الحمد لله على فضله، ونسأله دوام النعم وتمامها، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد، وبعد:

فقد تتبعنا في هذه الدراسة المختصرة المخطوطات الأندلسية والمغربية التي تحتفظ بها مكتبات مكة المكرمة، وخصصنا الكلام في مكتبتين هما مكتبة الحرم المكي الشريف، ومكتبة مكة المكرمة.

وقد قدمنا للدراسة بتمهيد عن التطور التاريخي للمكتبات في مكة المكرمة، وخلصنا إلى أن تكوُّنَ المكتبات في مكة المكرمة كان مبكرًا، لأن مكة المكرمة تُعَدُّ من أهم مراكز العلم في العالم الإسلامي، ولهذا فقد كان من أهم ما يوقفه الملوك والأمراء على الحرم المكي الشريف هي الكتب ليستفيد منها طلبة العلم في مكة المكرمة، وكان كل رباط يقام في مكة المكرمة يحرص صاحبه على إنشاء مكتبة توقف كتبها على طلبة العلم، كما أن العلماء والوجهاء كانوا يوقفون كتبهم على المدارس والأربطة في مكة المكرمة، كما كانت المكتبات الخاصة بمكة المكرمة متوافرة لتوافر العلماء بها.

ثم تحدثنا عن التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف، وذكرنا أن المصادر لا تشير إلى تأريخ دقيق لنشأة مكتبة الحرم المكي الشريف، لكن هناك إشارات تاريخية تذكرها المصادر المختلفة تشير إلى خزائن للكتب في الحرم المكي الشريف كانت تعود إلى القرن الخامس الهجري، وكانت نشأة مكتبة الحرم المكي الشريف مرتبطة بالمصاحف القرآنية التي كانت تحفظ في بعض الخزائن كقبة الشراب، وقبة الفراشين، وقد كانت هاتين القبتين نواة مكتبة الحرم المكي الشريف التي نظمت في سنة 1261هـ، ثم نقلت في سنة 1299 إلى قصر أحمد باشا في دار الحديث بباب دريبة، على يمين الداخل

إلى المسجد من باب السلام، ثم تنقلت إلى أن استقرت اليوم بحي بطحاء قريش.

وقد كان لوقف الملوك والأمراء والعلماء للكتب أثر في إثراء مكتبة الحرم المكي الشريف، إذ أشارت المصادر إلى عدد من الوقفيات التي أوقفت على مكتبة الحرم المكي الشريف، فمن المكتبات التي ضمت إلى مكتبة الحرم الشريف المكتبة التي أوقفها أمير مكة الشريف عبد المطلب بن غالب، ومكتبات صالح عطرجي، وعبد الحق الهندي، ومحمد رشدي باشا والي الحجاز، وعبد الستار الدهلوي، ومكتبة والي الحجاز السابق محمد رشدي باشا الشرواني.

أما مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف الأندلسية والمغربية في التاريخ فقد وجدت تسعة عشر عنوانًا تعد مخطوطات أندلسية أو مغربية، وذلك من جهة المواضيع، أو المؤلفين، أو الخط.

أما مكتبة مكة المكرمة فقد نشأت سنة 1370هـ صدرت موافقة الملك عبد العزيز رحمه الله بإنشاء مكتبة في موضع دار المولد، وذلك باقتراح من الشيخ عباس يوسف قطان (ت 1370هـ)، وبتمويل من أخته السيدة فاطمة بنت يوسف قطان، وافتتحت سنة 1370هـ ألحقت بالمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، ثم ألحقت في سنة 1383هـ بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وأوقف على المكتبة عدد من مكتبات وجهاء مكة المكرمة وأعلامها، وتحتوي المكتبة على 1522 مخطوطًا، تبلغ مخطوطات التاريخ منها 124 مخطوطًا، وقد وردت هذه المخطوطات من مكتبة الشيخ محمد ماجد كردي، والشيخ عبد الحميد بن محمد علي قدس، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله، والشيخ محمد علي بن حسين المالكي.

أما مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف الأندلسية والمغربية في

التاريخ فقد وجدت سبعة عناوين تعد مخطوطات أندلسية أو مغربية، وذلك من جهة المواضيع، أو المؤلفين، أو الخط.

وعسى أن أكون بهذه الدراسة قد نبهت عن ذخيرة تراثية في المكتبات المكية في مجال الدراسات الأندلسية والمغربية تفيد الباحثين في دراسة هذا التاريخ ونشره، والله من وراء القصد، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

برنامج المصادر والمراجع

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

❖ إبراهيم رفعت باشا:

1- مرآة الحرمين، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1344هـ/1925م.

❖ ابن بطوطة: (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي)

2- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1417هـ/1997م.

❖ الأزرقي: (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد)

3- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، 1433هـ/2012م.

❖ ابن جابر: (محمد بن أحمد بن علي المريي الأندلسي)

4- نظم العقدين في مدح سيد الكونين ×، تحقيق: أحمد فوزي الهيبب، دار سعد الدين، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.

❖ السخاوي: (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)

5- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

6- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، مركز بحوث ودراسات تاريخ المدينة المنورة، ط 1، 1429هـ/2008م.

❖ السنجاري: (علي بن تقي الدين السنجاري)

7- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: الدكتور جميل عبد الله محمد المصري، مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، 1419هـ/1998م.

❖ السهيلي: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي)

8- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ

❖ الشيبي: (محمد صالح بن أحمد بن زين العابدين العبدري الجمحي)

9- إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، تحقيق: إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، 1405هـ/1984م.

❖ الشوكاني: (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني)

10- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة – بيروت.

❖ الطبري: (علي بن عبد القادر)

11- الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أشرف أحمد الجمّال، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م.

❖ الفاسي: (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي)

12- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ط السنة المحمدية، مصر، 1378هـ / 1958م.

13- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، نسخ الأصل: أيمن فؤاد سيد، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، 1999م.

❖ الفاكهي: (أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي)

14- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

❖ ابن فهد: (تقي الدين أبو الفضل، محمد بن محمد بن محمد الهاشمي المكيّ):

15- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، وضع حواشيه: زكريا عميرات، مطبوع بآخر كتاب "تذكرة الحفاظ" للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م.

❖ ابن فهد: (نجم الدين عمر بن محمد بن محمد بن محمد القرشي الهاشمي المكي)

16- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الثالثة، 1426هـ/2005م.

❖ ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد):

17- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 1429هـ/ 2008م.

❖ ابن عبد البر: (أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري)

18- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى، 1440هـ/2019م.

❖ العصامي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي):

19- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م.

❖ الكردي: (محمد طاهر المكي)

20- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، طبع على نفقة معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.

❖ محمد لبيب البتنوني:

21- الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر، مطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الثانية، 1329هـ.

❖ المقري (أبو العباس أحمد بن محمد)

22- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط6 1433هـ/ 2012م.

❖ النهروالي: (قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد المكي الحنفي)

23- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1416هـ/1996م.

24- الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية "تذكرة النهروالي"، تحقيق: المهدي عيد الرواضية، النشرات الإسلامية، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1444هـ/2022م.

ثانيًا: المراجع:

❖ عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش:

25- المكتبات في مكة المكرمة: نشأتها وتطورها عبر العصور، جامعة أم القرى، 1423هـ.

❖ عبد الوهاب أبو سليمان:

26- مكتبة مكة المكرمة قديمًا وحديثًا: دراسة موجزة لموقعها وتاريخها وأدواتها ومجموعاتها، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الثانية، 1433هـ/2012م.

❖ محمد بن عبد الله باجودة:

27- نثر القلم في تاريخ مكتبة الحرم، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1429هـ/2008م.

❖ ناصر عبد الله سلطان البركاتي:

28- التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف، مجلة العصور، دار المريخ، لندن، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ذو القعدة 1407هـ/يوليو 1987م.

ثالثًا: الصحف والفهارس:

29- جريدة أم القرى، العدد: 212، بتاريخ: 1347/8/7هـ.

30- جريدة أم القرى، العدد 698، بتاريه: 1357/2/22هـ.

31- جريدة أم القرى، العدد 753، بتاريخ: 1358/3/29هـ.

32- جريدة البلاد السعودية، العدد: 998، السنة الخامسة عشرة، الأحد 25 جمادى الأول 1370هـ/4 مارس 1951.

33- جريدة عكاظ، العدد: 4646، بتاريخ: 1435/6/5هـ.

34- جريدة مكة، الثلاثاء، 6 مارس 2018م.

35- فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة: قسم القرآن وعلومه، إعداد: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1414هـ/1994م.

36- فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، إعداد ومراجعة: عبد الوهاب أبو سليمان وآخرون، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1418هـ/1997م.

37- فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، إعداد: محمد بن سيد مطيع الرحمن وآخرون، مكتبة الحرم المكي الشريف، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، دار المأثور للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1438هـ/2017م.

الباب الثالث:
ثقافة المحقق وتصحيح المفاهيم

الفصل الأول:

تاريخ ظهور الخط العربي ونماذج منه[1]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تفضل على من شاء من عباده بما شـــاء من أنواع المزايا وعظيم الكرامات وامتن على من أراد من أهل وداده بجزيل العطايا ورفيع المقامات، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛

فإن قصـة الخط العربي الذي يكتب حاليا إذا اسـتقرأنا التاريخ وتصـفحنا مواضــع هذا العلم أو هذا الفن نجده أنه مر بعدة مراحل، من جيل إلى جيل، ومن حقبة إلى حقبة، حتى وصل إلينا كما هو معهود حالياً،

ولكن السـؤال المطروح كيف ظهر هذا الخط العربي الذي نكتب به حالياً؟ وما هي المراحل التي مرّ بها؟ وكيف كانت بدايته؟ ثم ما هي التطورات التي دخلته عبر الأجيال؟

فالمراجع والمصـادر العربية في هذا البيان تنص على أن الخط الذي كتب به العرب هو خط توقيفي من الله تعالى علمه آدم؛ لكن هذا الرأي لا يقوم على سند تاريخي صحيح، فالمشاع في بعض كتب التاريخ أن الخط العربي مشتق من المســند الحميري في اليمن، وأصـحاب هذا الرأي سـواء منهم القدماء أو المحدثون لا يســتندون إلى دليل قطعي مادّي، ولقد وقع ابن خلدون في هذا الارتباك لما رأى أن الأصل في الخط العربي الحجاجي الذي نكتب به حالياً إنما هو خط التبابعة المشـهور بالمسـند الحميري كما تقدم؛ بينما النظرية الشـائعة

---

(1) أ.د/ عبد المجيد خيالي. المغرب

التي سادت بين المؤرخين إلى العهود الوسطى أن العرب اشتقوا خطهم من خطوط النبط؛ ونبط هذه كانت عاصمتهم هي البتراء، وكانت مزدهرة زهاء خمسة قرون، فكانت خلالها مركزاً تجارياً عظيم الأهمية على طريق القوافل، بين سبأ التي هي اليمن وبلاد البحر المتوسط، ومهما يكن من أمر هؤلاء النبط، فهم عرب أغاروا أول أمرهم على أقاليم أرامية وتحضروا بحضارتها، واستخدموا لغة الأراميين في سائر شؤونهم العمرانية، واشتقوا لأنفسهم خطًا من خطوطهم كتبوا بها، وإن كانوا قد احتفظوا بلغتهم العربية التي ظلوا يستعملونها في شؤونهم الخاصة وأحاديثهم اليومية.

وتعتبر هذه الحقبة الزمنية مرحلة اقتباس ومرحلة انتقال، ويساعد على الاعتقاد باشتقاق العرب لخطهم من خطوط النبط وجود سوق نبطية في المدينة في نهاية القرن الخامس الميلادي، يدل وجودها على وجود علاقة تجارية مهمة بين بلاد النبط والحجاز، وهكذا لا يبعد أن الكتابة قد انتهت إلى عربي الحجاز مع التجارة التي كان يمارسها القرشيون واليهود مع الأنباط، من هنا اشتقوا خطهم، وكذلك رحلات الشتاء والصيف قد أفادت العرب فائدة ثقافية كبرى إلى جانب ما أفادته من الناحية المادية، والذي يُدقّق النظر في النقوش المكتشفة في شمال الحجاز وإقليم حوران وشبه جزيرة سيناء، يجدها كلها تنحصر بين عام مئتين وخمسين للميلاد، وخواتم القرن السادس الميلادي، ويرى وجه الشبه بين النقوش العربية والنقوش النبطية الأصلية، ويلاحظ التطور الذي أدرك الكتابة وهي تجاوز أصلها النبطي إلى صورتها العربية التي حذقها العرب قبيل الإسلام ودونوا بها في الجاهلية الأخيرة مذكراتهم اليومية، ولعلهم تراسلوا بها وكتبوا بها المعلقات.

وهذه الكتابة التي أصبحت كتابة العرب الحجازيين كانت في أول أمرها غير منقوطة ولا مشكولة، لكن لحقها النقط والشكل في زمن متأخر قليلاً

خشية التصحيف والتحريف واللحن.

وإذا قلنا أن الخط النبطي الذي ظهر بالحجاز واشـتق العرب خطهم به، فإنه قد ذهب بعض المستشرقين إلى أن هذا الخط العربي ليس أصله نبطي؛ بل هو مشتق من الخط السرياني، وبعضهم ذهب أنه قريب من الخط النبطي، بحيث عثر على بعض الكتابات وعلى بعض شـواهد القبور في سـنة 31 من الهجرة في أسـوان بمصـر، والحجاز وبأرض كربلاء يعود تاريخه إلى سـنة 64 من الهجرة، أما ما كتب على البردي فيعود إلى 117 من الهجرة، والخط كان معروفاً بمكة، ودليل ذلك أنه في معركة بدر طلب من أسـرى بدر أن يفدوا أنفسهم إذا لم يكن لهم مال بتعليم عشرة من المسلمين الكتابة، وأن الرسول صـلى الله عليه وسـلم قد بعث رسـائل إلى ملوك الأرض يدعوهم فيها إلى الإسـلام، واختار لكتابتها كتابا، أمثال سـيدنا عمر بن خطاب وسـيدنا عثمان وعلي وشـرحبيل بن حسنة وزيد بن ثابت، وكما تنص كتب التاريخ أن عثمان رضـي الله تعالى عنه قد كتب أربع نسـخ و أرسـلها إلى الأمصـار، كالكوفة والبصرة والشام، وواحدة بقيت عنده.

أما الخط العربي الأول الذي انتهى إلينا فكثير من النصوص التاريخية قد ذكرته، منها فهرس النديم (ت 438هـ) الذي جاء فيه: "قال محمد بن إسحاق فأول الخطوط العربيـة هو الخط المكي، ثم بعده المدني، ثم البصـري ثم الكوفي". والنديم هذا والمشـهور بابن النديم هو أول من تناول الكلام عن هذه الخطوط.

ولم يقدر للخط العربي أن ينال قسـطا من التجويد والتحبير والتحسـين والزخرفة إلا في بلدين؛ العراق والشام؛ بعد أن فتح الله تعالى على المسلمين كثيراً من الأمصار والأقطار، فاحتاجوا إلى التدوين وكانت الكتابة قبل الإسلام قليلة في الأوس والخزرج، لكن لما جاء القرآن وفي قريش بضـعة عشـر نفرا

يكتبون الوحي، منهم سعيد بن زرارة والمنذر بن عمرو وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم، فكانوا يكتبون بالعربية وبالعبرانية، وهؤلاء كانوا أشهر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم.

أما المواد التي استخدمها العرب الأوائل في الكتابة فهي القلم كما جاء في قوله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، ثم إن الخط ورد كذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾، ثم قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾، والرق هو الجلد الذي يكتب عليه. فالمواد التي استخدمها العرب الأوائل في الكتابة هي القلم المصنوع من القصب أو من العود أو من الحديد أو من مواد أخرى، وكان العرب يكتبون على العسيب وهو جريد النخل، ويكتبون على الرق وعلى البردي المصري، وكان استخدامهم للبردي المصري أول عهدهم بمعرفة الورق.

فانتشار الكتابة كان في خدمة الإسلام أولا، والحق أن الكتابة خدمت الإسلام خدمة لا يضارعها شيء آخر، ذلك أنها كانت بالنسبة له خير من السيف؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يُدرك قيمتها ويفهم خطرها، ولذلك فقد جعل يطلق سراح الأسير في بدر إذا علم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة، وكان أقرب الناس إلى نفس الرسول صلى الله عليه وسلم هم كتاب الوحي.

فالكتابة هي الوسيلة الوحيدة لتدوين كلام الله وأحاديث رسوله، والتدوين هو وسيلة البقاء ووسيلة الذيوع والانتشار، ففي بداية ظهور الإسلام كان النهي عن الكتابة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تكتبوا عني شيئاً فمن كتب عني شيئاً فليمحه". الحديث أخرجه أصحاب السنن وأحمد في مسنده، وإسناده صحيح على شرط البخاري، ورجاله ثقات. وفي رواية مسلم "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدّثوا عني

ولا حرج ومن كتب عني متعمدا فليتبوأ مقعده من النار". وروي عن ابن عباس أنه قال: "إنا لا نكتب العلم وكانوا لا يكتبونه". وقال الزهري (ت 124هـ): "كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين".

وذهب الأكثرون إلى إباحة الكتابة لما روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فقال أبو شاه: اكتب لي يا رسول الله. فقال رسول الله عليه وسلم: "اكتبوا لأبي شاه". والنهي يشبه أن يكون متقدماً، ثم أباحه وأذن فيه، وقال بعضهم: النهي محمول على أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لأن لا يختلط به فيشتبه على القارئ، وقيل يحتمل أن يكون منسوخاً، واختلف السلف في ذلك، فكرهه كثير منهم وأجازه الأكثر، ومنهم من كان يكتب فإذا حفظ محا، ثم وقع بعد الاتفاق على الجواز، فهناك ما أورده الإمام القرطبي، إذ قال: "كان هذا النهي متقدماً، وكان ذلك لأن لا يختلط بالقرآن ما ليس منه، ثم لما أمن من ذلك أبيحت الكتابة، كما أباحها النبي صلى الله عليه وسلم لأبي شاه في حجة الوادع حين قال: "أكتبوا لأبي شاه". والقاضي عياض رحمه الله قال إن بين السلف اختلافا كبيرا في كتابة العلم من الصحابة والتابعين، فكرهه كثير منهم، وأجازه الأكثر، ثم وقع بعد الاتفاق على جوازه لما جاء عنه عليه السلام من إذنه لعبد الله بن عمرو في الكتابة.

ولما جاء الإسلام إلى شبه جزيرة العرب وبعد حروب الردة ذاع أمر الكتابة، وفطن الخاص والعام إلى قيمتها، وأخذوا يتقنونها، ومنذ حذق العرب بالكتابة في صدر الإسلام وعرفت قيمتها في التدوين عمل الخلفاء على تقريب الكاتبين وتفضيلهم، فكان لكل خليفة كاتبه الذي يثق فيه، فيضعه على رأس دواوينه منذ أن نقل عمر الخطاب نظام الدواوين عن الفرس، فكتب

الأدب عامرة بكثير من أسـماء حذاق الكتابة من العرب والأعاجم، وأسـهم هؤلاء في ذيوع أمر الكتابة الإنشائية والخطية، وهكذا لازمت الكتابة الإسلام فخدمته، ففي إيران مثلا حلّت الحروف العربية محل الحروف الفهلاوية في كتابة لغات الفرس مع زيادة حروف معينة، واسـتخدمها الأفغانيون في كتابة لهجاتهم، وزادوا عليها بعض الحروف الخاصـة، وكذلك سـائر الأمم التي تبنّت الخط العربي في كتابة حروفها، وحتى في الهند حلّت الكتابة العربيّة محلّ حروف اللغة الأردية أو الهندستانية ولغة أهل كشمير، ونحن نجدها في الهند شائعة في كتابة لهجات المسلمين الهنود أينما كانوا.

واستعار العرب أرقامهم كذلك من الهنود، وتخطّت الحروف العربيّة حدود الهند شرقاً وجنوباً، ففي شرق الهند اتخذه أهل الأرخبيل من المسلمين لكتابة لغتهم، وكان من أثر اتخاذ الترك العثمانيين الحروف العربية أن اتخذتها عنهم بعض دول البلقان التي انتشـر فيها الإسـلام بفضـل جهود الأتراك كبلغاريا وألبانيا وغيرهما من الأطراف التي دانت للعثمانيين وتبعتهم في وقت ما تبعيات سياسية.

أما انتشـار الكتابة العربية في العالم الافريقي، فيرجع إلى أول فتح لما فتح العرب مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمنذ ذلك التاريخ امتد الخط العربي إلى شـمال إفريقيا إثر الفتح، وكانت تكتب به رسـائل الخلفاء إلى الولاة وردود الولاة على الخلفاء، كما كانت تكتب به المصاحف و تُدوّن به الكتب الدينية؛ غير أن الصورة التي كانت ترسم بها المصاحف هي صورة الخط الكوفي المتميز بخصائصه المعروفة.

أما كتابة الرسـائل في مصـر فلها وجه خاص، فكانت بخط التدوين الليّن الذي يخالف الخط الكوفي كل المخالفة، أما خط التدوين الذي انتهى إلى مصر في خلافة عمر رضي الله عنه فهو الخط المدني؛ نسبة إلى المدينة، وهو

صورة متقدمة من صور الخط العربي الأول، قدر له أن يتطور في مصر تطورا خاصا حتى صارت الصورة المظلة للتدوين، سواء في ذلك تدوين الدواوين أو تدوين المعارف.

وقدر للخط العربي الذي صحب الفتوحات العربية في شمال إفريقيا أن يتطور أيضاً تطوراً خاصاً في بلاد المغرب والأندلس، وكانت له هناك خصائص مغايرة لكافة أنواع الخطوط العربية، على نحو ما يتضح من النظر إلى الكتابة المغربية، وتعود معرفة الخط العربي بين أمم إفريقيا الغربية إلى تأثير المغاربة.

وتعود معرفة الخط العربي بين أمم إفريقيا الغربية إلى تأثير المغاربة الذين نصروا الإسلام بعد تمام اعتناقهم له في أوائل القرن السابع الهجري، حيث تمكن المغاربة من تكوين دولة مركزها في إقليم النيجر الأوسط، حيث تميزت بخط متفرع عن الخط المغربي وهو الخط السوداني. والخط المغربي بنوعيه السوداني والمغربي لم يشتق من خط التدوين اللين الذي عرفته مصر منذ الفتح العربي؛ بل من الخط الكوفي، والخط المغربي والخط السوداني أو نقول الخط المغاربي والخط السوداني وعندما نقول الخط المغاربي الخط الإفريقي الذي هو الخط القيرواني والخط المغربي بأقسامه الخمس، سواء المجوهر أو المبسوط أو الزمامي المسند أو خط الثلث المشتق من الخط الكوفي المعروف، وإن كان أكثر منه مطاوعة في يد الكاتب وأميل إلى الاستدارة، ويكون أكثر صعوبة من خط النسخ.

وترجع معرفة الأحباش للكتابة العربية واتخاذها لتدوين لغاتهم ولهجاتهم المختلفة إلى زمن قد يرتد بعيداً إلى زمن الوقت الذي هاجر فيه المسلمون الأوائل إلى بلاد الحبشة فراراً من إيذاء الكفار في عهد جعفر بن أبي طالب لما أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة، وتبعهم آنذاك

أبو جهل. وعموما قد زادت معرفة اللغة العربية هناك بانتشـــار الإســـلام في البلاد، وأصـــبح مســـلمو الحبشـــة يكتبون لهجاتهم الحبشـــية الآن بالحروف العربية، ولا سيما في جهة الجنوب، حيث يكتب بها السكان لغتهم الأمهرية.

ونرى أن الخط العربي مستعمل كذلك لكتابة عديد من لهجات الأمم، نظرا لتأثرهم به، فالمراد أننا نجد أن الخط العربي قد توغّل في إســـبانيا وجنوب فرنسا حتى بلغ مع فتوحات العرب إلى الجنوب في الحلقات الأولى من القرن الثاني للهجرة، ومنذ ذلك التاريخ قدر للعربية أن تبلغ الدروة انتشـــاراً بين الراغبين في العلم من الأوروبيين، كإســـبانيا مثلاً والأمم المجاورة ممن كانوا ينزحون إلى ديـار الأنـدلس طلبـاً للعلم، في وقـت كـان العرب فيـه يتقنون ويحتفظون بتراثهم، فعنـدئـذ تعلم الأوروبيون من محبي العلم لغـة العرب وكتابتهم ليقرؤو بها المخطوطات.

وأنت ترى أن الاســـتعمار لما يدخل إلى بلد من البلدان فأول ما يفعل أن يمد يده إلى التراث وإن كان بلغة أهل البلد، فهو يتطلع إلى أن يدرس اللغة، فكان المســـتعمر يدرس اللغة، أو يعزز من يدرس اللغة، ويقوم بترجمتها إلى لغته، أو يتركها على أصـــلها ويتعلم اللغة إلى أن يفك رموزها ويســـتنبط منها أحكام وعلوم وغير ذلك، فهذه نبذة تاريخية مقدمة أعطيناها ســـبيلاً للدخول إلى معرفة الخط.

ولا بد أن نشـير إلى أن أصـل الخط العربي حميري، لكن شـكله حسـب ما ظهر في بعض اللوحـات يختلف عن شـــكـل الحرف العربي، وذهـب بعض المستشرقين إلى أن الخط العربي مشتق من الخط السورياني، وبعضهم ذهب إلى أنـه قريـب من الخط النبطي؛ لكن الخط العربي بـدأ يتطور من العهـد الإسلامي إلى عهد الدولة الأموية ثم الدولة العباسية وبعدها في الأندلس إلى أن وصـل إلينا، لأنه في العصـر الأموي كانت الكوفة مركزا من مراكز التجديد

والابتكار في الكتابة العربية في عهد الأمويين، حيث أصـبحت الشـام لها اهتمام بالغ في هذا الميدان، فأخذ الخط يرقى ويسـمو ويتحسـن، فظهر من رواد الخط آنداك اسـمه قطبة، وهو أول من طور أو بدأ الخط يتطور على يديه، أي تحول الخط الكوفي إلى شـكل أكثر مرونة مما كان عليه، وينسـب إليـه ابتكـار خط القلم الجليـل الـذي يعرف الآن بـالخط الجليـل، أي الكبير الواضـح، وفي عهدهم بدأت تظهر الزخارف في هذه الدولة الأموية، ونحن نعلم أن الدولة الأموية بدأت من عهد معاوية بن أبي سفيان من 41هـ إلى 132 هـ، فهنا بدأت الدولة الأموية تعرف ازدهارا وفتوحات وغير ذلك، ففي عهدهم بدأت تظهر الزخارف والتزاويق، وكانت تطلى بماء الذهب، ولقد عرف الحسن البصـري بتجويد الخط قبل أن يكون للخط شـأن يذكر؛ لأنه تتلمذ على الإمام علي رضي اللّه عنه، ونحن نعلم أن الحسن البصري ولد بتاريخ 21هــ وتوفي في سنة 110 هـ، وأخذ الخط من الإمام علي رضي اللّه عنه قبل قطبة.

ثم بعد هذا المتقن الذي طور الخط العربي الكوفي، جاء العصـر العباسـي، فبلغ الخط العربي مسـألة النضـج ففي عهد أبي جعفر المنصـور الذي أسـس بغداد عاصـمة للدولة العباسـية، فظهرت هناك كوكبة من الخطاطين، فظهر خطاطان عرفا بجودة الخط، وهما الضحاك بن عجلان في خلافة أبي العباس السفاح، وإسحاق بن حمّاد في خلافة المنصور المهدي، وعلى يديهما تنوعت الخطوط، فظهر القلم الجليل وقلم الديباج وقلم السـجلات وقلم الثلثين ثم قلم الطومار.

و من أشـهر الخطاطين بعد هذين في العصـر العباسـي أبو علي محمد بن مقلة (ت328 هــ)، وهو بغدادي النشـأة، كان من رواد الخط ومبدعيه، كتب المصحف مرتين، وكان شاعرا سياسياً وأديباً، استوزر ثلاث مرات؛ لكنه مات مقتولاً، قطعت يده اليمنى نظراً لما وقع له من بعض الوشـاة، فبدأ لما قطعت

يده اليمنى يتعلم الخط باليد اليسـرى، ثم قطعت يده اليسـرى، وهكذا قدر عليه، فكان آية في خط الثلث والنسـخ، ويقال على يديه ظهر أو بدأ خط النسخ ينمو ويتطور.

ثم جاء بعده ابن البواب الذي صـار على منهج ابن مقلة، فهو في بدايته كان مزوقاً للكتب، وامتهن حرفة الخط، فالمنصـور عينه كان خطاطا، وكان حافظاً للقرآن، يقال أنه استنسخ القرآن الكريم 64 مرة بيده؛ لكن لم تصل إلينا هذه النسخ بكاملها إلا نسخة في شيستربيتي في إنجلترا، فكان ابن البواب يعيش من نسـخ الكتب، قلّد ابن مقلة وزاد عليه حسـناً وإجادةً، ثم اسـتعمل خطوطاً أخرى، ونحن نعرف أن خط النسـخ وخط الديوان وخط الرقعة هو الذي ظهر في الشـرق، خلافا لما ظهر في المغرب، فهناك الخط المبسـوط، والخط المجوهر، وخط الثلث، والخط الزمامي المسـند، والخط المتمغرب الكوفي، كما استعمل خط الثلث في كتابة العناوين والسور، ولكن خط الثلث سـواء كان مشـرقيا أو كان مغربيا فلم يكتب به لتعقيده، فتكتب به العناوين فقط نظرا لحروفه المتداخلة فيما بينها. ولهذا نجدهم يكتبون به في عهد الدولة المرينية في المدرسـة العنانية، في سـلا، وفي فاس، وفي مكناس، فتجدهم يكتبون في الحواشـي وفوق الفسـيفسـاء آيات قرآنية بخط ثلث منمّق ومتداخل فيما بينه ومشجر.

ففي العصر العباسي أصبحت العناية التامة والكاملة للخط، بحيث دخل عليه التزويق والتزيين بالذهب، فما كان يزخرف به في الحيطان وفي الأسـطوانات وفي السـواري صـار يطبق على الورق، كما اسـتعمل الخط في كتابة عناوين السـور، واهتموا بتزيينه بالذهب واعتنوا بالزخرفة المواجهة للكتابة، سيما نسخ فاتحة الكتاب.

ثم ظهر بعد ابن مقلة وابن البواب ياقوت المسـتعصـمي الذي عاش في

أواخر عصر الدولة العباسية، فقد فاق من سبقوه كابن مقلة وابن البواب، وله مؤلفات منها: "أسرار الحكماء" وقد طبع سنة 1300 هـ بالإستانة، وكان أديباً كاتباً شاعراً، توفي سنة 698 هـ. وكان خطه من أجود الخطوط.

ثم علينا أن نعرف أنواع الخط العربي، فكما سبق أنه يشمل الخط الكوفي والخط المحقق والريحاني والنسخ؛ لكن الخطوط الإسلامية جميعها ترجع أصولها إلى نوعين من الخطوط، هناك الخط الكوفي، وخط النسخ، أما الخط الكوفي هو أصل الخط العربي وأقدمه، لكن غلب عليه الطابع الهندسي للحرف، ويرى البعض أنه خط جاف، أي قليل المرونة، ولكنه جميل الحركة، يميل إلى التناسق وإلى الاستقامة، ولقد بلغ هذا الخط في الكوفة زمن علي رضي الله عنه مبلغا طيبا من الجودة والإتقان، وظهر منه أنواع؛ الكوفي التذكاري، والكوفي اللين، وكوفي المصاحف، لكن توجهت إليه العناية في العهد العباسي ببغداد، حيث أدخلت معه تحسينات وابتكارات هندسية ونباتية، حيث كان في بدايته بدون توريق، فكانوا يقولون: خط يابس. لكن لما دخله التوريق والهندسة وغيرها أصبح خطاً ليناً، حتى ظهر في القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي خط كوفي مورق ومشجر له سيقان نباتية محملة بوريقات مختلفة.

ثم الخط الريحاني أو المحقق، وهو الشيء المحكم والمنظم، فالريحاني نسبة إلى أعواد الريحان؛ لأنهم كانوا يكتبون بعود الريحان، ويرى بعض الكتاب أن الريحاني هو الديواني، فهو يشبهه, أي يشبه خط الثلث القديم.

ثم بعد الخط المحقق والريحاني هناك خط النسخ، ولا توجد إلا معلومات عنه قليلة جدا، ولعله قد عرف بعد ابن مقله أو قبله، وليس هناك تاريخ يؤرخ لنا أن خط النسخ ظهر في وقت ما، فقيل على يدي قطبة، أو على يدي الضحاك بن عجلان أو غيرهما، فلفظ نسخ قديم، قد ورد في القرآن الكريم،

وفي إطار المخطوط عرف في زمن المأمون بخط النساخ أو النساخة، وقيل أن خط النسخ مقتبس من خط الثلث، وبعضهم قال أنه مقتبس من الخط الكوفي، فتضاربت الآراء والأقوال فيه، وكان ذلك على يدي ابن مقله وعلى يدي ابن البواب وقد كتب به المصحف.

ثم خط الثلث أقصد الثلث المشرقي فهو من الخطوط الصعبة، أو ما يسمى بأبي الخطوط؛ فلا يسمى الخطاط خطاطا إلا إذا أتقنه واستعمله لكتابة أسماء الكتب المؤلفة وأوائل سور القرآن. وقد برع فيه الخطاطون في العصر العباسي. وذكر المؤرخون أن خط الثلث هو أول خط ظهر منبثقا عن الخط الكوفي منذ بدء نشأة القلم في العصر الأموي وبداية العصر العباسي، وهناك الثلث الكبير، والثلث الصغير، والثلث الوسط.

وخط الثلث يعتمد على حركات الدوران والتقوير، أما المحقق فيعتمد على السطح، ويميل إلى الثلث وإلى الاستدارة أكثر من المحقق.

ثم هناك خط الديواني أو الديواني الجلي، ظهر هذا الخط في العصر العثماني على يدي خطاطين مهرة، اقتبسوه من خط التعليق، ودعي بالديواني لأنه استخدم في الأمور الديوانية. وهو خط متأخر تطور في الدواوين السلطانية، وانتشر في مصر والشام والعراق، وانبثق منه الديواني الجلي، أي الواضح الكبير.

والديواني ينقسم إلى قسمين، قسم خفي وقسم جلي، فالقسم الخفي يستعمل عادة مهملا من التشكيل وعاطلا عن التزيين، وهذا النوع من الخط يشبه خط الرقعة، أما الخط الجلي فيأتي مشكولا تماما. وخط الديواني جميل؛ لكنه معقد وصعب القراءة، لتداخل حروفه وتشكيلاته، يشبه بذلك خط الثلث.

ثم هناك خط التعليق والنستعليق والشكستة؛ قال المؤرخون: إن النسخ العربي المستخدم في القرن الأول شبيه بالتعليق، لأنه استخدم في المراسلات والمكاتبات الرسمية، ثم توسع استعماله، وتعلم الكتاب العرب خط التعليق فكتبوا به إلى جهات معينة، إلى الخلفاء والأمراء والوزراء، وهناك أنواع من خط التعليق، فهناك تعليق القديم وتعليق أصل، والتعليق ظهر في القرن السابع الهجري، ثم انتشر في القرن الثامن الهجري، ولم يرد له ذكر في صبح الأعشى للقلقشندي رغم شهرته وجماله، فهو أقل من الثلث والنسخ وغيرهما، وهو مقتبس من خط الرقاع، أي خط الرقعة. وخط النسخ كان أحيانا يدعى خط الريان، وتعد خطوط التعليق والنستعليق والشكستة متقاربة فيما بينها، وتأتي في المرتبة الثامنة والتاسعة من النسخ.

ثم هناك خط الرقعة؛ والرقعة في اللغة هي الخرقة التي يرقع بها الثوب، وجمعها رقاع، وتطلق على قطعة من الورق أو الجلد مما يكتب عليه. وهو من الخطوط البسيطة والأقل تعقيدا من سواه، فهو قليل التدوير والميلان، والذي يعرفه الخطاطون يكاد يخلو من التحسينات ومن تلك التزويقات، ثم أنه يستعمل في الخطوط السريعة والعنوانات، ويستعمل في دواوين الدولة.

ثم هناك خط الطغرائي نسبة لصاحب اللامية المشهورة، وكان شاعراً وخطاطاً، وخطوطه ملتفة ومتداخلة فيما بينها، والطغرائي ليست عربية، فأصلها طرهة أو طرة، من مميزاتها تحميل اسم فقط أو آية قرآنية قصيرة، كان يستعملها الأتراك كثيراً، تحمل اسما فقط أو آية قرآنية قصيرة، أو تكتب بها البسملة مثلا، أو رسما لطير أو حيوان، وتكتب الطغرائي بأنواع مختلفة من الخطوط منها الثلث والنسخ والنستعليق والديواني، وهذا الخط انتشر في عهد الأتراك.

وهناك الخطوط المصحفية التي يكتب بها القرآن الكريم، فأول الخطوط

التي كتب بها المصحف الكريم الخطان الحجازيان، المكي والمدني، وكتبت المصاحف المبكرة أيضا بخط المشق ثم الخط الكوفي المفضل في كتابات المصاحف آنذاك والذي انتشر في شمال إفريقيا والأندلس، فالخط الكوفي المغربي انتشر في شمال إفريقيا والأندلس، وفي القرن السابع الهجري اقتصر الخط الكوفي على كتابة عناوين السور وفواصل الآية، نظرا لتعقيداته، والمصحف الشريف مثلاً الذي كتب به ابن البواب فهو آية في الخط في ذلك العصر.

أما إذا أردنا أن نتكلم عن مواد الخط والكتابة، والمسماة حالياً بالكوديكولوجيا، وهي التي تعتني بالمواد التي يكتب بها الموضوع، من قلم ومن حبر ومن ورق ومن مداد، وقد صنف في هذا كتاباً الأستاذ الدكتور أحمد شوقي بنبين بعنوان: "الخط العربي"، وتكلم فيه وأفاد واستفاد، فأول مادة التي يكتب بها هو القلم الذي ورد ذكره في القرآن ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، وكانت الأقلام عند القدماء من العراقيين والسماريين من الحديد والخشب، يضغطوا بها على الطين فترسم الحروف أو الخطوط، أما في مصر فكانوا يكتبون على البردي بأقلام من قصب برية، وهو الذي يستعمل حاليا.

ثم الحبر، وفي اللغة هو المداد، وقال في القرآن ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَداً﴾، وسمي الحبر حبرا لأنه يحبر الخط، أي يحسنه ويزينه، أما المداد، فقد سمي بذلك لأنه يمد القلم ويعينه، وقال الشاعر:

ربع الكتابة في سواد مدادها والربع حسن صناعة الكتاب

ثم إن هذا الحبر فيه أنواع؛ فمنهم ما يُؤخذ من مادة العفص بعد دقه فيصير مسحوقا ناعما، ثم يُمزج بماء الورد ويترك أربعين يوما من أيام الصيف، هكذا كانوا يستعملونه، ثم يُصفى فيكتب به. ومنه الحبر المصنوع

من الأرز؛ يكون لونه بنيا غامقا، وهناك حبر زيت الزيتون، وحبر من عصـير البصـل، كان يسـتعمل في الكتابة السـرية، من السـلطان إلى سـلطان أو من خليفة إلى خليفة آخر، ويصـنع الحبر من الذهب أيضـاً، وهذا موجود كثيراً عندنا في نسخ صحيح الإمام البخاري وكتب القرآن وفي المصاحف القرآنية، وهذا كان سـائداً في عهد الدولة الموحدية بكثرة، وهناك نسـخة مكتوبة بحبر من الذهب موجودة في المكتبة الوطنية وفي خزانة القرويين وفي خزانة ابن يوسف بمراكش. ويوضع الحبر في قنينة صغيرة تسمى الدواة، وهي المحبرة.

وإذا أردنـا أن نتكلم عن المواد الأوليـة التي كتـب عليهـا الخط العربي، فالإنسـان اسـتعمل قلمه وأسـال حبره قديماً على الرقوق والآدام والجلود المدبوغة من عهد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم إلى القرن الرابع والخامس، ثم كتبوا على اللخاف التي هي حجارة بيضـاء عريضـة ورقيقة. قال زيد بن ثابت عند جمعه القرآن: "وجعلت أتتبع القرآن من العسـب واللخاف "، كما كان يكتب عن الأكتاف العريضـة وعظام الجمال، ونلاحظ أن فنية الخط العربي ظهرت بعد اكتشاف الورق، كذا ظهرت فنية الخط على حفر الخشب في العهد العباسـي، كما هو بارز على خشـب المدرسـة البوعنانية كما ذكرنا في مكناس وفاس وسلا.

وظهر فن الكتابة أيضـاً على النقود والأنسـجة وعلى أبواب المسـاجد وداخل الأماكن الأثرية بخط الثلث وغيره.

فالخط كان لا بد من تزويقه، فإذا تصـفحت المصـاحف وكتب الحديث تجد في طالع الكتاب أو في حرد متنه في الورقة الأخيرة من الكتاب زخرفة إبداعية من خط تكون أرضيتها غالباً أو خلفيتها إما زرقاء أو خضراء، وعنوان الكتاب ومؤلف الكتاب مكتوب بخط ثلثي مغربي مذهب، فبعد الانتهاء من خط الكتاب دائماً يجعل للصـفحة إطار من حبر الذهب، فعندما ينتهي الناسـخ

من صفحات الكتاب فإنه يحيطه بإطار في مطلع الكتاب، ذلك الإطار يتم فيه رونق وتزويق الكتاب، وعلى يمينه أو حاشيته أيضًا في شكل دائري غالباً.

والتذهيب على نوعين؛ تذهيب مطلق غير لامع وتذهيب لمّاع، فذلك التذهيب اللمّاع غالباً ما يكون في النسخ الخزائنية، وتسمى بالنسخ الخزائنية، أي التي تكتب للسلطان، وهذا كان سائدًا كثيرًا في عهد السلطان مولاي الحسن الأول المتوفى سنة 1311 هـ، فكانت له عناية كبيرة في التذهيب، ويشجع على نساختها وتزويقها بماء الذهب، حتى أن بعض الخطاطين أو غالب الخطاطين كانت لهم عناية تامّة، بحيث أنه يدخل بكسوة ويخرج بكسوة أخرى لعناية الخطاط.

ثم القرطاس؛ كلمة أصلها يوناني، ومعناها ما يكتب فيه، ويقابلها الورقة أو الصحيفة أو الصفحة، وعندما نقول الصحيفة ليست هي الصفحة؟ الصحيفة من وجهتين هي المسماة بالورقة، أو تسمى باللوحة، أما الصفحة فهي من جهة واحدة، ويروى أن في بغداد سوقا كان يسمى بدرب القراطيس، وقد ذكره الجاحظ في كتابه "الحيوان" وكتاب "البيان والتبيين"، وذكره كذلك الطبري في "تاريخ الأمم"، ثم ذكره الخطيب البغدادي (ت 463 هـ)، و كذا ذكره ابن منظور في "لسان العرب". والقرطاس يتخذ من الأديم، وورد ذكره في القرآن في قوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين)، وذكر ابن النديم أن القرطاس كان يصنع من البرد عند المصريين.

ثم المادة الأخرى تسمى بالطرس، تطلق على الصحيفة أو الكتاب الذي محي ثم كتب نظرا لندرة الورق، ونظرا لندرة الجلد؛ لأنه كانت هناك صعوبة في إيجاد الجلد، فعندما ينتهى من ذلك الموضوع أو حفظه فإنه يتم كشطه، ثم يكتب فيه مرة أخرى، فيسمى هذا بالطرس، ويكون المحو إما بالغسل أو

الكشط لإزالة ما عليه من الكتابة، ويحدث هذا لغلاء الرق.

ثم الورق البغدادي، فهناك أنواع من الأوراق التي ظهرت في القديم، فهذا كان يجلب من بغداد، وهو أجود أنواع الورق، خصـص لكتابة المصـاحف والمراسـلات المهمة وأفخر المصـنفات. ثم الورق المصـري، ومنه الورق المنصوري، كان يصقل وجهه، والورق الفرعوني كان يصقل بمادة كان يصقل بماء الأرز، وكثير من الورق الذي عثرت عليه أثناء فهرسـة كتب الحديث، مصقولة صقلا جيدا، ويرجع تاريخها خاصة إلى القرن السابع والثامن الهجري، وكان موجودا بوفرة في عهد الدولة العباسية.

ثم الورق الشـامي، هذا الورق كان يجلب من الشـام، ومنه الورق الحموي الذي كان يصنع في حماة، وهو أفضل أنواع الورق الشـامي، وورق الطير كان رقيقاً يوضـع تحت جناح الطير كذلك الحمام الزاجل الذي كان يأخذ تلك الرسائل، وهناك نوع من الورق يسمى بورق الطير الذي يمكن له أن تكتب فيه صفحة ثم يطوى ويتم حشوه في جناح طير، لتتم به الرسالة.

أما إذا انتقلنا من الحديث عن الخط المشـرقي وأردنا أن نتكلم عن الخط المغربي، فالخط المغربي هو نوع من الخطوط الأبجدية العربية، لكنه تأثر بالخط الكوفي، وينتشر استخدامه في بلاد المغرب كما ذكرنا سابقا، أي بلاد المغرب العربي التي هي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ثم موريتانيا إلى جنوب الصحراء، إذ أن الموطن الأصلي هو المملكة المغربية، واستخدم سابقاً في الأندلس.

فالكتابة العربية بالنسـبة للمغرب دخلت منذ القرن الأول الهجري مع الفتوحات الإسـلامية، أي مع دخول الفاتحين، ولكن انتشـر في عهد الإمام المولى إدريس الأول الذي دخل إلى المغرب سـنة 172هـ. ودخل معه بعض العلماء الذين أثروا في الخط المغربي بالخط المشـرقي، فقد تبنى كل ما ورد

من المشرق من أساليب كتابية، من بينها الخط الكوفي، حيث ورد على مدينة القيروان، ومن هنا انتشـــار إلى بقيـة أرجـاء بلاد المغرب، فمنـه تولـد الخط الإفريقي، كما تطور خط نسـب إلى مدينة المهدية عاصــمة الفاطميين، لذا الخط المغربي تطور، فكان كلما دخل منطقة سـمي باسـمها، فالخط لما دخل إلى القيروان بتونس سـمي بالقيرواني، ولما دخل إلى المهدية بتونس سـمي بالخط المهدي، ثم لما دخل إلى المونسـتير سـمي بالخط المونسـتيري. ولما دخل إلى المغرب سمي بالخط المغربي، ولما دخل إلى السودان سمي بالخط السـوداني، وهنا بدأ الإبداع فيه وتجويد أنواعه، وسـمي كذلك لما دخل إلى المغرب سمي بالخط الفاسي والخط المراكشي، أما بالنسبة للخط الأندلسي فقد تطور فيها الخط الكوفي أيضا، وظهر نوعان أساسيان، تكثر في إحداهما الزوايا، فسمي بالكوفي الأندلسي، وتكثر في خطه الانحناءات والاستدارات، وسمي بالقرطبي أو الأندلسي، وقد استخدم هو أيضا في نسخ المصاحف والكتب، ثم استمر التمايز بين خطوط الأندلس وخط شمال إفريقيا إلى القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي، ثم خضعت شمال إفريقيا للتأثير الأندلسي إثر قدوم المهاجرين الأندلسـيين إليها مع بدء تراجع النفوذ العربي الإسلامي بالأندلس، وفي هذا المعنى يقول ابن خلدون: "أما أهل الأندلس فانتشروا في الأقطار منذ تلاشـي ملك العرب ومن خلفه من البربر ...فانتشـروا في عدوة المغرب وإفريقية وتعلقوا بأذيال الدولة، فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفا عليه، ونسي خط القيروان والمهدية... وصارت خطوط أهل إفريقيا كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها، وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الأندلس... وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك في المغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي لقرب جوارهم، ولسقوط من خرج منهم إلى فاس قريبا، واستعمالهم إياهم سـائر الدولة. ونسـي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يُعرف".

فلما سقطت الأندلس في 1492م تدهور كل شيء مع هذا الانحلال، وتدهور الخط؛ ولكن المغاربة استفادوا من هذا الخط، لما دخل الذين فروا من الموريسكيين إلى المغرب، استفاد المغربة منهم كثيرا؛ ولكن ابن خلدون هنا استثنى أن الخط الأندلسي بدوره تولد من الخط المغربي؛ لأن الأندلسي قد أثر في الخط المغربي، وهذا بعيد عن الحقيقة، فالخط المغربي يُنسب إلى مُدن أو بلدان معيّنة كما قلنا، الخط القيرواني يمتاز بحروفه القصيرة والقريبة من بعضها، والخط الفاسي يمتاز بطول الأسطر العموديّة، والسوداني أو التنبكتي نسبة إلى بلاد السودان، أي إفريقيا جنوب الصحراء أو مدينة تنبكتو؛ لكن عنده خصائص الخط المغربي، ويحتفظ الخط المغربي ببعض الرواسب التي ورثها من الخط الكوفي، من ذلك مثلاً الألف المتصلة التي تنحدر قليلاً عن مستوى السطر بزائدة كوفية، كما أن حرف الكاف مثلاً والصاد والضاد والطاء والظاء تكون ممتدة بما يُذكر بالخط الكوفي، فقل ما تحتفظ حرف الألف واللام والطاء والظاء بشكلها العمودي، إذ كثيراً ما تكون في شكل منحن وتحمل في أعلاها ما يشبه النقطة الغليظة، وبالنسبة لحرف الظاء قد ترسم النقطة على يسار الشلة، فهذه كلها أشكال له.

وأما أنواعه فهي خمسة أنواع؛ خط الثلث، الخط الكوفي المغربي، وخط الثلث المغربي، والخط المبسوط، والخط المجوهر، ثم الخط المسند أو الزمامي.

فالخط المغربي المبسوط أو المستقيم هو من الخطوط المغربية، فهو خط ليّن يمتاز بالوضوح، وهو أكثر الخطوط المغربية راحة للعين، بسبب أحرفه الليّنة ووضوحه وسهولة قراءته، ولعب دور النسخ والتحرير لانضباط ارتفاعاته وامتداداته وانحداراته وتعريفاته، وقد نال حظه من التطوير والتحسين والتقريب، ويبدو هذا الخط رشيقا وواضح الحروف ومستقيم

التركيب، ويتميز كما قلنا بوضـوح حروفه وامتدادها، ثم له جمالية يتميز بها عن بقية الخطوط، وإن كان يضـاهيه الخط المجوهر كما سـنبين بعد، لكن العديد من التشـكيلات الموزعة في المخطوطات والنقائش واللوحات يبقى فيها للخط المجوهر فنية غير فنية المبسـوط، فهناك أنواع فنيـة أخرى اعتيـاديـة، فمثلاً هنـاك الخط الكوفي المغربي لم يخضـع للتطور لمؤثرات الكوفي القيرواني، وإنمـا شـكـل اسـتمرارا للكوفي المشـرقي مع بعض الخصـوصـيات التي تظهر من خلال النماذج المتوفرة، ونلاحظ ذلك بجلاء ابتداء من دراهم الأدارسـة التي ابتدأ بضـربها في الثلث الأخير من القرن الهجري الثـاني، وفي نقود المرابطين وآثـارهم، وآثـار الموحـدين والمرينيين، فكانـت هـذه الحروف العربيـة المغربيـة الكوفيـة تضـرب سـكـة على نقود المتقدمين، سـواء في الحضـارة المرابطية أو الموحدية أو المرينية، وهناك نماذج رائعة للخط الكوفي المغربي تدلّ على إبداع أهل المغرب الأقصـى فيه، وتسـمح لنـا بـالتمييز بين أنواع فرعيّـة مثـل: الكوفي المرابطي، والكوفي الموحـدي، والكوفي المريني، وغيره. ونسـتطيع أن نميّز أيضـا بينـه وبين الكوفي الأندلسـي الذي يميل قلمه نحو الرشـاقة أكثر، والذي يمكن تصـنيفه حسـب أنواع فرعيّة متعددة، ثم هناك الثلث المغربي الذي يمتاز بليونته وانسـياب حروفه وإمكانياته غير المحدودة على التشـكل، مثل خط الثلث المشـرقي، لكنه يختلف عنه في خاصـية أسـاسـية وهي أن الصـور وأحجام حروف خط الثلث المشـرقي لها نماذج معيارية، أي محصـورة أبدعها كبار الخطاطين، فيحرص الخطاط دائما على بلوغها وتطويعها لتركيبات مبتكرة وتشكيلات متناسقة، في حين يجد الخطاط في الثلث المغربي حرية أكبر في تطويع صور الحروف وأحجامها حسبما يقتضيه وضعها في التشكيل الخطي.

ثم هناك الخط الزمامي، أو المسـند، نقول الزمامي أو الخط المسـند، لأنه

اشـتق اسـم الزمامي من الزمام وهو التقييد، نقول زمم. ويعود اسـتعمال المصـطلح للدلالة على نوع من الوثائق الرسـمية إلى الإدارة مثلا، فالإدارة المغربية منذ العهود القديمة من العصـر الموحدي إلى عصـرنا الحالي تجد الكتاب الذي يكتب به الموثقون العدول يكتب بالزمامي أو المسـند، وسـمي بالمسـند لوصـفه بميل حروفه نحو اليمين بنفس ميل الخط المسـند العربي القديم، وشاع استعماله أكثر في العصور المتأخرة، وجل الموثقين يوثقون به.

وأما الخط المدمج فليس هذا النوع محددا من الأنواع المعروفة عند المغرب، ولكن بعض المتأخرين أضـافوه، فقالوا أنه شـكل من أشـكال الكتابة الاعتيادية السـريعة أيضـاً، جمع بين مؤثرات خطوط متعددة مثل المبسـوط والمجوهر والمسـند، أو المبسـوط والمسـند أحيانا، كأننا نقول كثيرا هذا خط معتاد، أي خط صـاحبه الشـخصـي، أو خط مغربي معتاد، ولكن عندما يتنوع نقول إما خط مبسوط أو خط مجوهر أو خط زمامي مسند أو خط مغربي.

فقد كان للخط المغربي إشـعاع كبير واكب حيوية الثقافة المغربية وامتدادها، سـواء في اتجاه الجنوب نحو إفريقية السـوداء، أو في امتداد الشرق نحو بلدان المغرب العربي الأخرى، فظهرت في تلك البلدان كلها أساليب خطية مشـتقة من الخطوط المغربية وقريبة الشـبه بها، فمثلا الخط المغربي الأوسـط والأدنى تأثرا كبيرا بالخط المغربي الأقصـى منذ عصـر المرابطين والموحدين، واسـتمر التأثير مع احتضـان المغرب الأقصـى للتراث الخطي الأندلسـي، فكان الازدهار في فاس كحاضـرة علمية، ولتردد أعداد من طلبة المغرب الأوسـط بالخصـوص على دروس العلم بجامعة القرويين لقرون متوالية دور بالغ في استمرار التأثير في مجال الخط خاصة في مناطق الغرب الجزائري، بينما تـأثر شـرق الجزائر بـأسـلوب الخط المغربي ذو الملامح التونسية، وقد امتد تأثير الخط المغربي إلى ليبيا.

وهناك أيضا الخط السوداني، وينسب الخط السوداني إلى بلاد السودان المغربي، وقد انتشر هذا الخط في هذه البلاد عن طريق الاتصال المستمر، وإذا أردنا أن نتحدث عن هذا بشكل مفصل فلا بد من النظر في بعض الرسومات وبعض النماذج وبعض العينات، ليعرف الباحث كيف يكتب الخط الأندلسي، وكيف يكتب الخط المجوهر، وكيف يكتب الخط المبسوط، وبصفة عامة الخط المغربي.

بقي علي أن أتحدث قبل الختام عن الخط المجوهر، انحدر الخط المجوهر من الخط المبسوط في حدود القرن السادس على ما يظهر، ونحن نعرف على أن الخط بدأ يأخذ مكانته المرموقة من عهد الدولة المرينية على ما يظهر من خلال النماذج المتوفرة لدينا وحسب نسخ المخطوطات التي رجعنا إليها، ثم صار أكثر انتشارا لسرعة الكتابة به وأصبح خط الكتابة المعتادة في المغرب الأقصى خلال القرون المتأخرة، يكتبون ويجيدون الخط المجوهر، فالخط المجوهر يتميز بملامحه الرشيقة وشكله المكثف وهو خط شديد الخصوصية، أي يشبه النسخي المشرقي، يشبهه في دقته وحجمه وحروفه وليونتها واختزاله، فحروفه تمتاز بصغرها واندماجها ثم استدارة بعضها مثل حرف النون ومثل الياء الأخيرة والواو واللام الصاد هذه تكون مستديرة وما شابهها.

الفصل الثاني:
تُراثُ العَرَبية بينَ دَعْوة التَّراكُم وَنَظَرية التَّكامُلْ
أُصولُ الحَديثِ نموذَجاً[1]:

تمهيد:

يُعَدُّ فَنُّ المُحاضَرات مِن فنون الأدب الرائقة حيث يُطِلُّ فيها المُحاضِرُ على جُمْهورٍ واسِــعٍ مِن خلال فُسْــحةٍ ثقافية معرفية يَعرِضُ فيها عَقْلَهُ وأَفْكارَهُ وثقافته على الجُمْهور.

وقد يعرض في هذه الفُســحة الثَّقافية ثقافةً عامَّة يَتَنَّقلُ فيها بين حقول المعرفة، أو تكون هذه الفُسحة تَخَصُّصــيةٌ تعرِضُ لأفكار معينة في موضـوعٍ محدد فهي أعمق وأوسعُ من حيث الكَمْ والنَّوع المعرفي.

وأَحْياناً قدْ تكون المُحاضَـرة مُحاضَـرةً تَأْصيليَّة تؤسِّسُ مِن خِلال منهجٍ فكري إلى بِناءِ مدرسة فكرية حضارية.

هذهِ المُحاضَــرة مُكَوَّنة مِن ســتٍّ مُقَدِّماتٍ وثَلاثِ مَباحث وخاتِمةٍ تحوي جُملةً مِن المُخْرَجات.

المُقدِّمةُ الأولى: في تقسيم العلوم على أساس الحُقول المَعْرفيَّة:

أ- علوم ذاتيَّة، تَخْتَصُّ بها أُمَّة لِوحْدِها بحســبِ البيئة والخصــائص والمُقوِّمات. مثال علوم الحديث وأُصول الفقه عندَ المُسلِمين.

ب- علوم مُشــتَركة، وهي الغالِبةُ على علوم البشــر مثال فيزياء، كيمياء،

---

(1) د/ أيمن يزبك. سوريا/تركيا

جُغرافية، إلى آخِرِهِ.

ج- علوم سياديّة، مثال الطّاقة النّوَويّة، الذّكاء الاصطِناعي.

المُقدِّمةُ الثّانية: حقائقَ ومُسَلّمات.

1 – أنّ التُّراث لَم يُشبع بحثاً ولَن يُشبَع،

أ- هذه بدلاً مِن كلمةِ قُتِلَ بحثاً التي تشيع في الوسط الثّقافي،

ب- هناك جوع بحثي مثل أسباب النُّزول، وهناك مجاعة بحثية مثل ورود الحديث،

2 – أنّ أُمّاتُ كُتُبِ التُّراث قد أُخرِجت وظلّ باقي الأبناء والأحفاد، وهي ما بينَ مفقودٍ ومخطوطٍ

ا- المفقود نوعان، مفقود قطعي فُقِد في زمن مؤلِّفهِ، مثال علل النحو للشاطبي 790هـ وشرح صحيح البُخاري للفيروز أبادي ت817هـ ومفقود ظنّي لم تصل إليه أيدي الباحثين بعد.

ب- المخطوط وهو معروف مكاناً وموضوعاً ومجهول مضموناً، مثال أرشيف مخطوطات البُردى، بلغت 20000 ما حُقِّقَ مِنها هوَ دون 3000 وكذلك أرشيف الوثائق العُثمانيّة نحو مئة وخمسين مليون لا يزال البحث فيه بِكْراً.

3 – أماكِن المخطوط لا تُعَدُّ سواءً في البُلدان التي كانت إسلامية ثُمَّ انتُزِعت منها في التاريخ المعاصر، كمثال الهند، دول وسط آسيا، إقليم البلْقان، أو البُلدان الإسلامية مثل دول جنوب الصّحراء الكُبرى، تُركيا، إيران،

4 – إنّ الاشتغال بعلوم الشّريعة والانصراف الكلّي لها كانَ على حساب جزء كبير من التُّراث العلمي للمسلمين.

وهذا التّراخي فتح المجال للسرقات العلمية من قِبل الغربيين لهذا التُّراث

العلمي.

كما أَنَّ الاشتغال بعلوم الحضارة الإسلامية عُموماً كانَ على حِساب جُزء كبير مِن علوم الأَقْدَمين.

المُقدِّمةُ الثَّالِثة: حولَ مَقالة النَّضوج والاحتراق في العلوم.

يقول الزَّرْكَشي في كتابِهِ المَنْثور في القَواعِد الفِقْهية نقلاً عن بعض الشُّيوخ: "الْعُلُومُ ثَلَاثَةٌ عِلْمٌ نَضِجَ وَمَا احْتَرَقَ وَهُوَ عِلْمُ الْأُصُولِ وَالنَّحْوِ وَعِلْمٌ لَا نَضِجَ وَلَا احْتَرَقَ وَهُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ وَالتَّفْسِيرِ وَعِلْمٌ نَضِجَ وَاحْتَرَقَ، وَهُوَ عِلْمُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ."

تعليق، الجُزء الأخير غيرُ صحيحٍ مُطلقاً والغريب أَنَّ الزَّرْكَشي لم يُعقِّب وأَمْضاها هكذا.

أ- إنَّ المُتَتَبِّع لتاريخ علم المُصطَلح يرى ويُلاحظ ملامح الابتكار والإبداع في أعمال النُّقَّاد الكبار على كتاب ابن الصَّلاح أولاً وعلى ألفية العِراقي ثانياً وعلى النُّخبة لابن حَجر ثالثاً وكُلُّهُ تطويرٌ لهذا العلم بكافةِ فروعِهِ.

ب- الصَّحيح أَنَّهُ لا احتراق في العلوم كُلِّها وإنَّما الاحتراق في العقل الذي لا يبحث عن خبايا العلوم في زواياها.

ج- إنَّ المقال العام الذي لا يوضِّحُ فيه صاحِبُهُ مقصودَهُ يُحمل على تخطئته وهذا مثاله.

المُقدِّمةُ الرَّابعة: حولَ مقاربات تُراثية.

لا يزالُ هذا التُّراث محاط بإشكاليات تحومُ حَولَهُ هي محل أَخذٍ ورَد بين العُلماء تَتَعدَّدُ فيها الأقوال وتَتَنَوَّعُ فيها الآراء ومنها:

أ- ربط التُّراث بعصر السِّيادة الإسلامية فهو بزعمِهِم انتهى مع انتهاء عصر

السَّيطرة الإسلامية وهذا ما يذهب إليه غالب المستشرقين مع اختلافهم على هذا العصر.

ب- مقاربة العاطفة نحوَ النَّص التُّراثي كُلُّ نَصٍّ يحملُ روحَ الإسلام في كل ميادين العلوم في الحضارة الإسلامية.

ج- كل ما أنتجَهُ العقل الإسلامي من علوم ومؤسسات إدارية وعمارة إسلامية ونظم اجتماعية واقتصادية وغير ذلك.

المُقدِّمةُ الخامسة: حول طوي جزءٍ من التُراث وهذه دعوة لإخراج ما هو أولى في التُّراث وترك ما لا يلزم منه أو يكون مستَوْعباً في أعمالٍ أُخرى

مثال:

ا- وجود شرحَين لألفية ابن مالك أحدُها أوسع من الأولى فيُخرجُ هذا ويُترك الآخر.

ب- وكذا شروح ألفية العراقي شرح ابن العيني ت893هـ وشرح البُقاعي ت885هـ النُّكَت الوفية لما في الألفية للعراقي فبرأي هؤلاء يُخرَجُ شرح البُقاعي ويُترك ابن العيني لموسوعية الأولى وهذه دعوة باطلة فمن هذا الذي أعطى لِنَفسهِ الحق في طوي ماشاء من التُّراث.

المُقدِّمةُ السَّادِسة: مُثَلَّثُ الأمن الحضاري للأُمَّة.

ا- إنَّ علوم الحديث وأصول الفقه يُمثِّلانِ مركز ثِقَل الجاذبية للأَمن الفكري في هذه الأُمَّة، فإذا ما ابتعدَ الفكر الإسلامي عن مدار الوحي أُعيدَ إلى مسارهِ الصَّحيح بِهِما.

ب- مراكز المخطوطات ومجامع اللغة العربية هُما مركز الأمن الحضاري لهذه الأُمَّة. فمراكز المخطوطات هي خزَّان الأُمَّة الفكري والمُعْجَمُ العربي هو

مظلة الحضارة الإسلامية.

ج- وحدة القرار السِّياسي هوَ يُمثِّلُ الأمن الوجودي للأُمَّة. لأَنَّ وَحْدَةَ القرار السياسي للأمة تَمنَحُها القوة السيادية لحضارتها وترسم خطوط مسارها.

المبحث الأول: هندسةُ التَّصنيف الحديثي في تُراثنا العربي.

هنا نستدعي قول ابن حزم ت463هـ في كتابه تقريب المنطق إذْ يقول:

" إن التأليف على سبعة أقسام: لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها وهي إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه أو شيء ناقص يتممه أو شيء مغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه أو شيء متفرق يجمعه أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه.

ذكر هذا ابن حزمٍ وكذلك صاحب أبجد العلوم وقد ناقشها نقاشاً مطوَّلاً كما أَنَّ ابن خلدون في المُقدِّمة أيَّد كلام ابن حزم.

لكنَّ المتأمِّل في هذه التَّقاسيمِ يُلاحظ أَن ثَمَّةَ علمٌ لا يجد لها مكاناً تحت أيٍّ من هذه الأقسام مثال، ا- علم التَّرجَمة، ب- علم تحقيق المخطوط، ج- علم الذَّكاء الاصطناعي.

1 – إنَّ المُتَتبِّع لمراحل علم المصطلح يُلاحظ أنَّها تستوفي هذه التَّقاسيمَ السبعةَ ويُلاحظ أيضاً أَنَّ قسماً كبيراً من تصانيفِ المصطلح يندرج تحت ثلاثة أقسامٍ منها

أ- شيء لم يسبق إليه فيخترعه، ويندرج تحتها أنواع علوم الحديث مثال ما صنَّفَهُ الخطيب وجمعهُ ابن الصلاح، والأنواع التي زادها الزَّركشي- البُلقَيني- ابن حجر- وكذلك كتُب النُّكَت، مثال- العراقي- ابن حجر-

ب- أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، ويندرج

تحته المختصـرات مثال- الإرشـاد- والتَّقريب- للنوَوي، الاقتراح لابن دقيق العيد، الموقظة للذهبي، اختصار علوم الحديث لابن كثير،

ج- أو شيء مغلق يشرحه، وهذه كتب الشُّروح مثال شروح ألفية العراقي، شروح نخبة الفكر لابن حجر.

المبحث الثَّاني: ما يوصَفُ بعصر الجمود والتَّخلُّف:

هذا الوصْف يُطلَقُ على القرون مِن العاشـر إلى الرابع عشـر، والمؤسِف أَنَّهُ يتردَّدُ على لسان بعض المُتخصِّصين،

وهذه القرون كانت فيها دولة آل عثمان قد بسـطت سـيطرتها على معظم البُلدان العربيـة وهي الدَّولة التي تبنَّت مذهب الأحناف وهو المعروف بقلة عنايته بعلوم الحديث كما تبنَّت كثيراً مِن طُرِق التَّصـوِّف البعيدة جدَّاً عن هذا العلم.

مما انعكس سـلباً على حركة التَّأليف والاشـتغال فيه فلم تعُد هذه القرون تتَّسِم كسابقاتها بكثرة علماء الحديث والتَّصنيف فيه، بل بات الأمر محصوراً في أفراد وصار مدار الاشتغال بهذا العلم شروحاً وحواشي على كتب السابقين فلم يظهر فيه ما يضـاهي عمل ابن الصـلاح والذهبي والعراقي وابن حجر والسـيوطي وغيرهم من أبناء تلك القرون. وظل هذا الحال نحواً من أربعة قرون كاملة لم تخل من جهود تظهر في شـخصـية عُلماء مثل عبد الرَّؤوف المناوي ت1031هـ، والأمير الصَّنعاني ت1182هـ، وكتابه توضـيح الأفكار والعلامة علي بن سُـلطان الهروي الهندي وكتابه شـرح نزهة النَّظر الموسـوم بشرح الشرح. رُفعت راية الحديث على يدي ولي الله الكندهلَوي ت1176هـ ثم أنور الكشـميري وفي الشـام طاهر الجزائري وكتابه توجيه النظر إلى أصـول الأثر وجمال الدين القاسـمي وكتابه قواعد التحديث من فنون مصـطلح

الحديث وأعمال هؤلاء وأمثالهم اتسـمت بالموسـوعية وجمال العِبارة ودقة النَّظر في المسـائل مع تحريرها، كما أن المتفحِّص للحركة العلمية في بلاد الهند يجعلنا نتوقف في تعميم هذه الصفة على تلك القرون أي صفة الجمود والتخلُّف.

المبحث الثَّالِث: نماذج تطبيقية لعلوم الحديث عند المُعاصِرين.

إنَّ المَوروث السَّلبي الذي خلَّفتهُ القرون السابقات المذكورة في المحوَر السَّابِق والتي أدَّت إلى إضعاف الفكر الحديثي بين عامَّة النَّاس وكان من نتيجة ذلك ظهور مذاهب هدَّامة داخِل كيان الأُمَّة جعلت ثُلَّة مِن العُلماء المعاصرين ينهضون لهذا الأمر وهنا نستعرض ثلاثة مِن الأعمال كنموذج لتنشيط الفكر الحديثي والثَّقافة الحديثية

1 – منهج التَّصحيح والتَّضعيف

وهذا المنهج كانَ على مرحلتَين الأولى تقسيم كُتُب السُّنَن إلى صحيح وضعيف مثال صحيح سُنَن أبي داود. ضعيف سُنَن أبي داود وهكذا في باقي كُتُب السُّنَن.

الثَّانية بناء سِلسلة كاملة مِن الأحاديث الصحيحة وأُخرى مِن الضَّعيفة.

وقد صار هذا المنهج يُطبَّقُ على كُتُبِ السِّيرة النَّبوية وكُتبِ التاريخ وهُم بذلك قد جانبوا الصَّواب وجَرّوهُ إلى غيرِ مكانهِ.

ومنهج التصحيح والتضعيف امتداد لعمل المُتقدِّمين مع شيء مِن المُغايَرة.

2 – كِتابُ الإكليل للمُعلِّمي اليماني.

وفيه تأسيس لمنهج جديد في علوم المصطلح شبيه بمنهج ابن رجب في

شرح علل الترمذي إذْ هو تطبيق عملي لأنواع علوم الحديث وهو كنزٌ مدفون يُمكِنُ البِناء عليه لمنهج جديد ومكين في علوم المصطلح.

3 – **المُعجَم التاريخي لمصطلحات المحدثين** وهذا المشروع التقت فيه جهود كُلِّ العُلماء واجتِهاداتِهِم عبر كل القرون وهذا المشروع الضَّخم المولود حديثاً يُمكِنُ البناء عليه لمشاريع علمية تحرر مصطلحات المحدثين والوصول إلى خُلاصة عِلْمية للمصطلحات.

خاتمة.

1 حمل طلبة الدراسات العُليا على البحث وفق تقسيمات العلوم وخاصة تصحيح خطأ وتوضيح مشكل وتبين وهم، مع إعطاء الأقسام الأخرى أهمية.

2 أن مركزية الأمن الفكري للأمة لا تزال علوم الحديث تمثل مثل هذا المركز ومن ينظر في الردود على المستشرقين يجد كم لعلم الحديث من دور في دحض شبهات المستشرقين وإبطال زعائمهم.

3 إنشاء أتحاد يجمع مراكز تحقيق المخطوطات والمكتبات العامة في العالم الإسلامي يتبنى شبكة اتصالات واسعة بين هذه المراكز.

4 تبني نظام الأسرة للتراث العربي فإن النظم المعاصرة للفهارس توقف الباحث على غلاف الكتب وأما نظام الأسرة تدخله إلى بطون الكتب والعلاقة بين نصوص التراث وأجزاء النصوص.

ولعلنا نستفيد من كتاب الدكتور كمال عبقرية النصوص.

5 فك الارتباط بين عصور السيادة الإسلامية والتراث فإن عصر السيادة الحقيقية للأمة انتهى مع عصر بني أمية ومع بدايات العصر العباسي، صارت هذه السيادة تتضاءل حتى بلغت مرحلة إلغاء الخلافة في أكثر من عصر

وصــولا إلى إنهائها مع بني عثمان، وأما التراث فلا يزال مســتمراً وما ينتجه العقل الإسلامي هنا داخل من التراث.

6 إن معالم العمل الأعمال العلمية للعلماء الســابقين تتبين من خلال ثلاث مشــاعل تبين عن طرقهم ومناهجهم في علوم الحديث وهي البناء على ما قدمه الآخر بالبدء من حيث انتهى الآخر وإكمال ما نقص عند الآخر وإصـلاح الأدب الجمع الجم مع بعضهم.

أما أعمال المعاصرين فيا للأسف كثير منها ينسف ما قدمه الآخر وتعامل معـه وفق منهجـه العقـدي وليس العلمي وتسـليط اللســان على التقليـل والتسخيف من عمل الآخر وفق اعتبارات عقدية وانتماءات مذهبية.

7 تطويع الذكاء الاصطناعي في خدمة التراث وعلوم الحديث خصـوصـاً أمر مطلوب التحقيق، والأمر واضــح في الجهود التي بذلت في إخراج بعض البرامج المعروفة اليوم مثل برنامج الشاملة وخادم الحرمين وغير ذلك.

8 تبني منهج الإمام الألباني في قضـية التصـحيح والتضـعيف كمشـروع يخرج متون الســنة النبوية ويضــعها بين أبناء الأمة مع مراجعات لما قدمه الإمام وإكمال لهذا المشروع.

خِتاماً شُكراً للحضـور الكريم وكل الشـكر للأسـتاذ العلامة محمد بن زين العابدين رُستُم –حفظه الله.

الفصل الثالث:
علومُ المُصْطَلَحِ بينَ الإشْباعِ المَعْرِفي والمَجاعةُ المَعْرِفيَّة
(دِراسة إحْصائيَّة مَوْضوعيَّة)[1]

شَرح مُفْرَدات العُنوان:

إنَّ مِمَّا تَعارَفَ عليهِ أَهْلُ العِلْمِ أَنَّهُ إذا أُطْلِقَ لَفظُ عِلمِ المُصْطَلح انْصَرَفَ الذِّهنُ مُباشرةً إلى علومِ الحديث دونَ غيرِهِ مِنَ العُلوم.

أَمَّا الارتواء فهوَ ضِدُّ العَطَش: والارتواء المَعرِفي هو الإحاطَةُ بِدقائق العِلم فضلاً عن أُصولِهِ وفروعِهِ وما يلحقُ بِهِ، وخُلوُّهِ مِن أيِّ غُموضٍ يحوم حَولَهُ.

التَّعَطُّشُ: هوَ حُدوثُ العَطَشِ مع الرَّغْبَةِ في الازدياد مِنَ الارتواء مع استِحالةِ تحصيلِهِ، وفي العِلم هي استحالةُ تحصيلِ مسائلِهِ لفقدِ مخطوطاتِهِ أو نُدْرةِ البحثِ فيها.

الإحصاء في العِلم يكون على ضربين: إحصاء مُصنَّفتهِ ومسائلِهِ ومُفرداتِهِ، وإحصاء ما ليسَ مِنهُ؛ أي ما هو دخيلٌ عليهِ وما هوَ نَظريٌّ لا يُحتاجُ إليهِ في التطبيق.

مقدِّمة: عِلمُ مُصطلحِ الحَديث:

إذا قيلَ عِلمُ المُصطلح انصرَف الذِّهنُ مُباشرةً إلى عِلمِ الحديث دونَ غيرِهِ وقد باتَ هذا قانوناً في عُرْفِ العُلماء كافَّة.

---

(1) د/ ايمن يزبك. سوريا/ تركيا

ويسلِّط هذا البحث الضوء على قضايا بالِغةِ الأهميَّة ضمن هذا الحقل المعرفي الضَّخم، ويتمُّ طرح هذهِ القضايا على صورةِ أسئلة نبحثُ لها عن أجوِبةٍ خِلال دورانِنا في فلك علوم الحديث وفْقَ مَنهجٍ إحصائيٍّ يقومُ على الوصف، وبحثٍ موضوعيٍّ يقوم على المُقارنة، وهذه الأَسئلة هي على النحو الآتي:

أسئلةُ البحث:

أَولاً: هل لِهذا العِلمِ؛ أي لمُصطَلح الحديث سُلَّماً تَعليميّاً أُسْوَةً بِغيرِهِ مِن العُلوم، أَمْ أَنَّ أَوَّلَهُ آخِرَهُ وآخِرُهُ أَوَّلَهُ؟

وذلك لِأَنَّ طُلَّابَ العِلم قد شَغَلوا أنفُسَهُم بهذهِ المسألة وصرَفوا لها أوقاتاً ثمينةً مِن حياتِهم ولمْ يُحصِّلوا في ذلك جواباً سِوى آراء شخصيَّة واجتِهادات لا غُنية فيها.

الجواب: إنَّ الطَّالِب إذا تَناوَلَ كِتاباً لِعالِم مُعاصِر مِثل قواعِد التَّحديث للقاسِمي، أو كتاب تحرير علوم الحديث لِعَبد الله الجُدَيع، فإنَّهُ سيُحَقِّقُ ذاتَ النَّتيجة إذا قَرَأَ مُقدِّمةَ ابن الصَّلاح أو نُخْبَةَ الفِكر لابنِ حَجر، مع بعضِ الفُرُقات البسيطة.

ولو ترك هذا كُلَّهُ وأَخذَ بكتاب الحاكِم معرفة علوم الحديث فقد أَخذاً بِلُبِّ عِلم المُصطلَح.

وفي كُلِّ الأَحْوال ليسَ مِن حِكمةِ العِلم أَن يكونَ عِلمُ المُصطَلح مِن العلوم التي تكونُ في بِدايات الطَّلَب.

بل عليهِ أَن يُغرِق نَفسَهُ في مناهج المُحدِّثين وتشرُّب أسانيدِهِم حتى يسهُلَ عليهِ فقه المُصطلح، وخُلاصة القول إنَّ التَّشابُه بين نصوص المُصطلح تجعل تحديد سُلَّم تعليمي أمر صعب.

ثانياً: أينَ يَكْمُنُ لُبُّ هذا العِلم؟ وقد حَوى على مسـائلة لا تجد حاجةً لها عندَ المُحَدِّث ومسـائل أُخرى دخيلةٌ عليهِ ليسـت مِن أُصـولِهِ واسـتِبعادُها مِنَ الفَنِّ لا يضُرُّ بِهِ ولا يُنقِصُهُ، بل يُوفِّرُ الوقتَ والجهد؟

الجواب: إنَّ هذا الأَمرُ لا يخفى على أَحد أَن علوم المصطلح قد دَخَلها مِن مسـائل أُصول الفقه الشَّيء الكثير ويظهرُ هذا جليّاً عند ابن حجر في التُّزهة، أَمَّا كتابُ الحاكِم معرفة علوم الحديث فإنَّكَ تجدُ فيهِ لُبُّ هذا الفن دون المُدخلات وما زيد عليه من غير أصلهِ.

ثالِثاً: هَلْ أَفْرَغَ أَهْلُ التَّحْقيقِ المُعاصِرون ما في جُعْبَةِ التُّراث مِن مُصَنَّفاتِ المُصْطَلَحِ، أَمْ أَنَّ المخطوطَ كثير والمُفْقودَ أَكْثَر؟

الجواب: يُمكِنُ حسـم هذا الموضـوع بالنَّظرِ إلى الكُتب المركزية فيه أي تلك المؤلَّفات التي حامَت حولَها أَقلامُ العُلماء وكانت نُقطةً فارِقة في هذا الفن مثلُ مُقدِّمةُ ابن الصـلاح، وكتاب ابن حجر نُخبة الفِكر، ومِن خلال تَتَبُّع هذه المُصنَّفات فإنَّنا لا نُبالغ إذا قُلنا أن ثُلُثَي هذه المُصنَّفات قد طُبِعت وقليل منها المخطوط وأَمَّا المفقود فلا يكاد يُذكَر.

رابِعاً: أينَ يَقَعُ التَّكامُلُ في مُصَـنَّفات المُصـطَلَح، وما حقيقةُ القولِ بِالتَّراكُميَّةِ والجمودِ فيهِ، أَمْ أَنَّ نُصوصَهُ مُتعانِقةٌ مُترابِطةٌ؟

الجواب: هذا السؤال بحث مستقل قائمٌ بذاتهِ، فنصوص المصطلح فيها ما هوَ سـلبي، وما هو إيجابي، مثال السـلبي تشـابه الأمثلة المضروبة إذْ هي نفسها عندَ المتقدِّم والمتأخِّر.

كذلك إدخال مسـائل أُصـولية ليسـت مِن جنس الفن بل إنَّها حرفت المُصطلح عن مسـارهِ الصَّحيح. أَضِـف إلى ذلك إقحام الرُّؤيا الفقهية والنَّفَس العقائدي في بناء التَّعريفات.

أَمَّا الإيجابيات، فهي واضِحة في إضافات العُلماء على ما قرَّرَهُ ابن الصلاح وانتهى إليه ذلك مِن خلال اختراع أنواع جديدة فاتَت ابن الصلاح وما أضافَهُ اللاحِق على السابِق كما هو الحال عندَ الزركشي، والبُلْقيْني، وابن حجر، والسيوطي، وغيرُهُم.

والحقيقة أَنَّنا بحاجة لِأدوات لِسانية تساعِدُنا على فهم تراكيب نصوص المصطلح، أقصد بذلك الاستعانة بعلم اللِسانيات الذي فيهِ معونة على حل هذه المسألة أي ملامح التَّكامُل في نصوص علم المُصطلح، ونفي دعوة التَّراكُميَّة والجُمود ولا سبيل إلى ذلك إلا بطلب المُساندة مِن علومٍ أُخرى.

خامِساً: هَلْ وَجَدَ أَهْلُ الصَّنْعَةِ الحديثيَّة في كُتُبِ المُصْطلَحِ غُنْيةً وكفايةً في تَطْبيقِهِم العملي، أَمْ تَجاوزوها وأَوجَدُوا أَشياء غفلَ عنها المُصَنِّفون؟ لِأَنَّ غالِبَ مَن صَنَّفوا في المُصطَلح لم يكونوا مِن صُنَّاعِ هذا الفن.

الجواب: هذه مسألة كثيراً ما تُطرَحُ للنِّقاش وخُلاصة القول فيها أَنَّ تعلُّمَ الصَّنعة الحديثية مِن كتب المصطلح شبيهة بمَن يتعلَّم السباحة في مسابح مُغلقة فإذا نزلَ البحر غرِق تحت أمواجِهِ، وهنا نعود إلى ما ذكرناهُ في أعلاه أن علوم المصطلح لا يبتدأ فيها، والصحيح مطالعة مناهج الأئمة الأوائل وإدامة النظر في الصحاح والسنن وتشرب أسانيد المحدثين ثم تأتي كتب المصطلح لتضع له مصطلحات لهذه الأسانيد التي شرب منها وذاق طعمها وعرف مداخلها ومخارجها.

سادِساً: هَلْ نَكْتَفي وَنَسْتَغني بِما في أيدينا مِن تُراثِ المُصْطَلَح، استِناداً على قاعِدةِ النُّضوجِ والاحتراق، أَمْ أَنَّ البابَ لا يزالُ مفتوحاً والحاجة ماسَّة لمزيدٍ مِن البسطِ في مسائلِهِ وَتَطبيقاتِها، سيما أَن هذهِ التَّصانيف هي جهود فَرديَّة ؟

الجواب: مِن الأخير أبدَأُ أَنَّ التَّآليف الفرْديَّة للمُصــطلح أبقى هذا العِلم ضِـمْنَ دائرةِ الآراء والاجتِهادات التي تُعبِّرُ عن عقلٍ واحِدٍ يُريدُ أَن يســتَوعِبَ عقولَ الأَئمَّة الأَوائل في المَناهِج والطُّرُق والأَدوات والتَّجارُبِ وطولِ النَّظرِ والتَّأَمُّل إلى آخِرِه. وهذا الأَمر انعكسَ على فنون التَّصــنيف فظهرَت التَّعقُبات والتَّقريرات والرُّدود وغير ذلك.

وهُنا أُلقي الضَّــوء على مشــروعٍ ضــخم قام فيهِ فريق مِن البحاثين هوَ المُعجم التاريخي لمُصطلحات الحديث، فإنَّ النَّاظِر في هذا المُعجم يرى حجم التَّعاريف التي وضعَها عُلماءُ المُصطلح وكُلُّها عِبارةٌ عن تَعقُّبات واستدراكات تُبينُ عن ما ذكرناهُ آنفاً ويجدُرُ بالباحث المُعاصــر أن يبني على هذا المعجم مشروعاً علميًّا مُحرَّراً.

فإذاً نحن بحاجة ماسَّــة لجهدٍ جماعي في علم المُصــطلح يُوحِّدُ التّعريف ويستَوعِب التَّطبيق.

خاتِمة:

إنَّ هذهِ الأسـئلة ليست كُل ما في جُعبةِ الباحث، بل هي عِبارةٌ عن محاوِر يتفرَّعُ عنها سؤالات وأطاريح أَثْناء بسطِ القولِ فيها والإجابةِ عنها.

وفي الختام، أرجو مِنَ المولى عز وجل تسديد القول وصوابَ الرَّأي.

الباب الرابع:
تاريخ العلوم في الحضارة العربية الإسلامية

الفصل الأول:

الرياضيات العربية الإسلامية[1]

مقدمة

إن مكونات المناخ العلمي في الإسلام هي: العلم عبادة؛ والدعوة إلى العلم والتعلم؛ والتحدي المفتوح للإبداع الإنساني في كتابي الوحي والكون؛ ورفض التقليد والإتباع الأعمى والحض على طلب الدليل؛ والتداخل بين عالمي الشهادة والغيب برهانا وإعجازا؛ ووجود متطلبات دينية و دنيوية، وأدوات القوة لحماية المجتمع ونشر الدعوة؛ إضافة إلى سماحة الإسلام وقيامه على الحرية.

أما عناصر التربية الإسلامية فنختصرها فيما يلي: الحض على طلب العلم والرفع من شأو العلماء؛ وأخلاقيات العلم التي تجلت في الحياد والنزاهة والتجرد.

أما أركان المنهج العلمي فهي الموضوعية والنزاهة والحياد والدليل. وخطواته: الملاحظة والفرضية والتجربة.

وأخيرا، نذكر بالحديث النبوي الشريف الذي كان وما يزال منارة للعالم المسلم "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم نافع أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له".

وقد جاءت هذه المحاضرة في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وتحت كل مبحث مطالب عدة.

---

(1) د/ عبد المجيد نصير. الأردن

بين يدي الرياضيات الإسلامية

بتوسع رقعة الدولة الإسلامية ودخول أقوام مختلفين إلى الإسلام حرصت هذه الدولة أن تأخذ من الجميع، وأن تتميز عن الجميع. فجرى تعريب الدواوين الفارسية والرومية. فوضعت مصطلحات على نسق لم تعهده اللغة العربية من قبل.

فورثت الحضارة الإسلامية في الرياضيات ما كان متداولا من البابليين والفرس والسريان والروم والهند. وأخذت شيئا عن الصينيين. لكن الإبداع سبق ذلك بأكثر من قرن، كما نجد في مؤلفات الخوارزمي وأبناء موسى بن شاكر وثابت بن قرة وغيرهم.

ورثت الحضارة الإسلامية في الرياضيات أعمال أقليدس ومن تابعه وأرشميدس وأبولونيوس وديوفنطس ومنلاوس ونيقوماخوس في اليونانية. وأخذوا كتاب براهماچوبتا الذي سمي "السند هند الكبير". وورثوا حسابا شعبيا أكثره بابلي فارسي، وأعمالا هندسية تطبيقية في المساحة وتخطيط المدن والعمران. وانتهى إبداعهم في الرياضيات إلى ميادين الحساب بأنواعه والجبر والهندسة النظرية والعملية والمثلثات. وسندرس في هذه المقالة علوم الحساب والجبر والهندسة والمثلثات والموسيقى.

و لقد ترك مؤلفوا الحضارة الإسلامية ثروة هائلة من المخطوطات، بقي كثير منها موزعا على المكتبات العامة والخاصة في أنحاء العالم. لكن الجانب العلمي منها قليل؛ وتختلف الآراء في تقديره؛ وهو، على الأرجح، لا يزيد على 15 ألف مخطوطة.

المبحث الأول: الحساب

بدأت الأعداد بما يسمى الأعداد الطبيعية. وكانت دراستها على مستويين:

الأرثماطيقي الذي يهتم بوصفها وخصائصها وعلاقاتها، وهو الأقرب إلى ما نسميه اليوم نظرية العدد. والثاني اللوجستي، وهو المعني بالتعامل مع الأعداد بالعمليات المعروفة الأربع إضافة إلى استخراج الجذور. ثم جاءت الكسور (العادية)، ثم اكتشف وجود ما نسميه (الأعداد) غير النسبية. وقد ميز الإغريق بين العدد والمقدار، أو بين ما هو قياسي أو غير قياسي. وأكثر اهتمامنا هو باللوجستي وهو ما نسميه الحساب. وظهر في الحضارة الإسلامية ثلاثة أنواع من الحساب: الحساب الهوائي والستيني والهندي.

المطلب الأول: الحساب الهوائي

وهو الحساب الذي كان شائعا في البلاد التي انتشر فيها الإسلام أولا. ومصادر الحساب الهوائي القديمة مفقودة. وينسب للخوارزمي كتاب عنوانه الجمع والتفريق؛ وآخر له هذا العنوان لأبي حنيفة الدينوري.

فمصطلح الجمع واضح المعنى، وكان يضم الضرب. والقسمة تدخل أيضا في التفريق. لكن العمليات تجري في الذهن، ويغير الحاسب عقد أصابعه تبعا للنتيجة التي يحصل عليها. فلكي يضرب 38 في 50 أي ح في ن، يضرب 30 في 50 ويحصل على 1500 ويعقد أصابعه لتدل على ذلك؛ ثم يضرب 8 في 50 (ح في ن) ويجمع الناتجين، ويعقد أصابعه من جديد. وتمثيل الأعداد بعقد الأصبع كان شائعا معروفا حتى إن الكتب لا تبحثه. فقد كانت الصغار تتعلمه في الكتاتيب.

المطلب الثاني: الكسور في الحساب الهوائي

في هذا الحساب ثلاثة أنظمة للتعامل مع الكسور:

1-الكسور الستينية: وهي الدقائق والثواني والثوالث وهكذا. وتخصص كتب الحساب فصلا للحساب الستيني. وأصوله بابلية.

2-نظام محلي: يعبر عن الكسور بدلالة أجزاء القياس الشائعة ووحداته. والدرهم 6 دوانق، والدانق 8 حبات. لذلك يعبر الدانق عن السدس، والحبة عن 1/48 (سدس الثمن). و3 دوانق و7 حبات هي الكسر 3/6 + 7/48. وضرب 4 حبات و5 دوانق في 3 دوانق و11 حبة يعني ضرب 5/6 + 4/48 في 3/6 + 11/48. وقولهم دانق حبة هو الكسر 1/6 × 1/48؛ وحبة حبة هو الكسر 1/48 ×1/48.

3-نظام عربي لغوي: فاللغة العربية تحوي 9 ألفاظ للكسور ابتداء من النصف إلى العشر، وهي الكسور، ويسميها البوزجاني الرؤوس. وقد يقال نصف السبع، ويكون البدء بالأكبر. ويجزأ أمثال 3/7 إلى ثلث سبع وثلثي سبع، و3/4 إلى نصف وربع، إلا 2/3 فإنه لا يجزأ. وما لا يعبر عنه بهذه الكسور يسمى جزءا مثل 1/31، هو جزء من واحد وثلاثين جزءا، واعتبرت جذورا صماء، ووضعت قواعد لتقريبها بالكسور.

ومما وصل إلينا في كتب هذا الحساب كتاب فيما يحتاج إليه الكتاب والعمال وغيرهم من الحساب، لأبي الوفاء البوزجاني (328-388هـ/940-998م)، وكتاب الكافي في الحساب لأبي بكر محمد بن الحسن الكرجي (ت420هـ/1029).

المطلب الثالث: الحساب الستيني

ويسمى أيضا حساب المنجمين، أو حساب الزيج أو حساب الدرج والدقائق. وهذه الأسماء تشير إلى أن استعماله كان قاصرا على المنجمين والفلكيين. والكتب المقتصرة على هذا النظام قليلة؛ ربما أقدمها كتاب في الحساب النجومي لأبي العنبس بن إسحاق الصيمري (ت 257هـ/888م) وهي مخطوطة الفاتيكان (رقم 957، 5). وتوجد مخطوطة متأخرة لبدر الدين محمد بن محمد المعروف بسبط المارديني (826-900هـ/ 1432-1495م) وعنوانها

الحقائق في معرفة حســاب الدرج والدقائق (مصــورة 118 علوم / معهد المخطوطات العربية في القاهرة). كما أن بعض كتب الحســاب، ومنها الهندي، قد تفرد بعض أبوابها لهذا الحســاب؛ كما نجد ذلك في كتاب كوشــيار بن لبان الجيلي وكتاب الأقليدسي. وتستخلص منها أهم سمات هذا الحساب كما يلي:

1-كتابة الأعداد: واستعمل ما يسمى حساب الجمل للرمز للأرقام.

ولا يحتاج النظام الســتيني أكثر من ذلك. (وهذا الترتيب متفق عليه بين أهل المشــرق والمغرب العربي). ويكتب الحاســب كا للدلالة على 21، مه على 45، مبتدئا بالأكبر. ويســتعملون إشــارة δ للدلالة على الصــفر، وهي إشــارة يونانية. ولذلك مح δ يب تدل على 12 0 48. وللسـلم العشـري تسـتعمل بقية حروف الأبجدية كما يلي بالترتيب المشرقي

غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت	ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
1000	900	800	700	600	500	400	300	200	100	90	80	70	60

ويكتب الحاســب فد محل 84، ذكو محل 726. ومحل 2000 تكتب بغ، وتكتب يغ محل 2000. واستعملت هذه الكتابة في كثير من كتب الحساب.

2-تسـمية المنازل: سـموا منازل الأعداد الصـحيحة كما يلي: المنزلة الأولى تسمى الدرج، والثانية تسمى المرفوع الأول، والثالثة تسمى المرفوع الثاني، وهكذا. ثم اختصــروا فقالوا الدرج فالمرفوعات فالمثاني فالمثالث وهكذا. وللكسور فترتيبها الدقائق فالثواني فالثوالث وهكذا.

3-العمليات الحســابية: يظهر أن عمليتي الجمع والطرح كانتا عمليتين في الأذهان. وكانوا يستعملون جدولا لضرب المنازل، وآخر لقسمتها، اعتمادا على القاعدتين:

$60^{م} \times 60^{ن} = 60^{م+ن}$ ، $60^{م} \div 60^{ن} = 60^{م-ن}$

ولم يستعمل عامة الناس هذا النظام لصعوبته، فالتحويل إليه ومنه ليس سهلا لأعداد تزيد على 60. فالعدد العشري 225 هو 45، 3 (ستيني) وضربه بالعشري (والستيني) 6 يعطي 270، 18 (ستيني) = 30، 22 = 1350 (عشري). على أنه نظام انتهى استعماله حاليا إلا في قياس الزوايا والزمن. ويذكر الأستاذ برجن أن فلكيا تركيا وضع حوالي 1600 م جدولا للضرب الستيني لمنزلتين ستينيتين من 01 00 إلى 59 59، يحوي 212400 مدخلا. يسمح بالضرب المباشر لمثل 19 (34 14) = 46 36.

المطلب الرابع: الحساب الهندي

عندما نقول الحساب الهندي يتبادر إلى الذهن أمران: طريقة كتابة الأرقام ونظام المنزلة العشرية. فقد رأينا أن البابليين استخدموا إشارتين لكتابة الأعداد؛ واستخدم المصريون عددا آخر منها؛ واستخدم اليونان الحروف الأبجدية دون نظام للمنزلة يسهل ويختصر. وما جاءنا من الهند (أو جرى اختيار أفضله كما كتب البيروني) هو تسع صور للأعداد من واحد إلى تسعة. ومعه نظام المنزلة ورمز للصفر (الذي لم يعتبر عددا) كان كافيا للتعبير عن أي عدد؛ إضافة لسهولة إجراء العمليات الحسابية بهذا النظام. بل وجاء من الهند (ربما عن طريق فارس) التخت والتراب والمحو وطريقة لكتابة الكسور (العادية). ونبين ذلك في الفقرات التالية. ويظهر سؤالان يحتاجان إلى الجواب. الأول متى جاءت هذه الأرقام والثاني كيف دخلت؟ والسؤالان مترابطان وكذلك الجواب.

تتحدث المصادر العربية مثل ابن القفطي في تاريخ الحكماء وصاعد الأندلسي في طبقات الأمم، وكلاهما ينقل عن زيج مفقود لابن الآدمي يسمى الزيج الكبير أو نظم العقد عن حكيم الهند وكتابه. وننقل نص صاعد: "قدم على الخليفة المنصور سنة ست وخمسين ومئة رجل من الهند عالم بالحساب

المعروف بالسند هند في حركات النجوم، مع تعاديل معمولة على كردجات؛ محسوبة لنصف نصف درجة؛ مع ضروب من أعمال الفلك من الكسوفين ومطالع البروج وغير ذلك في كتاب يحوي على اثني عشر بابا. وقد أمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب إلى العربية، وأن يتخذ منه كتاب يتخذه العرب أصلا في حركات الكواكب. فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري. وعمل منه كتابا يسميه المنجمون بالسند هند الكبير. ثم اختصره أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، وعمل منه زيجه المشهور ببلاد الإسلام. وعوّل فيه على أوساط السند هند، وخالفه في التعاديل والميل. فجعل تعاديله على مذهب الفرس، وميل الشمس على مذهب بطليموس. واخترع فيه من أنواع التقريب أبوابا حسنة لتفي (الأصل أن لا تفي) بما احتوى عليه من الخطأ البين الدال على ضعفه في الهندسة، وبعده عن التحقيق بعلم الهيئة".

وأول كاتب في الإسلام كتب في الحساب الهندي هو الخوارزمي. ويقول الأوربيون إن الأرقام الهندية – العربية جاءت من كتاب للخوارزمي ترجم إلى اللاتينية، عنوانه الجمع والتفريق في الحساب الهندي، وهو مفقود بالعربية، ولا نعلم دقة الترجمة، و نستطيع أن نقول إن الأرقام الهندية دخلت الرياضيات والفلك في الحضارة الإسلامية، وكان حضورها قويا أيام الخوارزمي، كما بدأت الكتب تؤلف في حساب جديد أصله من الهند؛ وسنعرض سماته.

لكن متى دخلت هذه الأرقام ما يسمى العالم العربي اليوم؟

نذهب مع الأستاذ سعيدان فيما لخصه كما يلي:

رشحت الأرقام التسعة، دون الصفر، إلى الشرق الأوسط منذ أيام سفيروس سيبوخت (القرن السابع)، واستعملها عدد من الناس، ربما، كحروف لكتابات سرية. وفي كلتا الحالين كان توضع عليها النقاط لتدل على المنازل

بالنسبة إلى الأعداد، أو على حروف مختلفة في حال الكتابات. وعندما انجذب الاهتمام للإسلامي إليها في القرن الثامن أو التاسع، كان الهنود قد اختاروا دائرة لتدل على الصفر، والذي نقلوه إلى العرب.

وأول نص تراثي فيه هذه الأرقام هو تاريخ اليعقوبي لابن واضح اليعقوبي (ت872م). لكن أول كتاب في الحساب الهندي محفوظ هو كتاب الفصول في الحساب الهندي لأبي الحسن أحمد بن إبراهيم الأقليدسي الذي كتبه في دمشق سنة 341هـ. وفي التراث الرياضي عدة كتب في الحساب الهندي كليا أو جزئيا. نذكر جلها فيما يلي:

1-الأصول في حساب الهند لكوشيار بن لبان الجيلي (971-1029).

2-المقنع في الحساب الهندي لأبي الحسن علي بن أحمد النسوي (تأليف الكتاب قبل 1030).

3-جوامع الحساب بالتخت والتراب لنصير الدين الطوسي (ت1274).

4-التكملة في الحساب لأبي منصور عبد القاهر بن الطاهر البغدادي (ت1073).

5-مفتاح الحساب لغياث الدين جمشيد الكاشي (1427)،

6-خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي (1622)،

7-تلخيص أعمال الحساب لابن البناء المراكشي،

8-كتاب الحصار في أعمال الغبار (القرن الثاني عشر/الثالث عشر) لمؤلف مغربي.

9-مراسم الانتساب في أعمال الحساب ليعيش بن إبراهيم الأموي (1373).

10- المقالات في الحساب لابن البناء المراكشي،

ونضيف كتيبا مفيدا كمرجع سهل هو قصة الأرقام والترقيم، نشر سنة 1983، للدكتور أحمد سعيدان يدل اسمه على موضوعه.

المطلب الخامس: سمات الحساب الهندي

1-أشكال الأرقام مع الصفر، وطريقة كتابة الأعداد لاستعمال المنزلة العشرية. وهكذا فإن العدد 333333 هو ثلاثمئة ألف وثلاث مئة وثلاثون. والرقم 3 صار يدل على أكثر من عدد حسب موقعه. فهو آحاد ابتداء من اليمين، ثم عشرات، ثم مئات، ثم ألوف وهكذا.

2-تجري العمليات الحسابية على تخت. وهو لوح مختلف الأبعاد، ينثر عليه رمل أو تراب، وتكتب الأعداد بالإصبع أو بميل مع المحو والنقل. ويقتضي المحو طمس الأرقام بالميل أو الإصبع. ومعنى النقل جعل الأرقام في أوضاع تمكن الحاسب من وضعها في مناولها دون عناء.

3-ترتيب فصول كتب الحساب الهندي يختلف، عموما، عن ترتيب كتب حساب اليد. فكتب حساب اليد تبدأ بمقدمة عن المراتب والعقود ثم فصول في الضرب وطرقه، ثم القسمة والنسبة، والأنظمة الكسرية، وتحويل بعضها إلى بعض. وينتهي الشرح بمبادئ الجبر مع حل معادلات بسيطة سيالة وتربيعية. وتنتهي بفصول في المساحة لحساب الأطوال والمساحات والحجوم، مع ميزان التسعات أو غيره.

وتبدأ كتب الحساب الهندي بالتعريف بصور الأرقام، وتغير دلالتها مع المنازل. ثم إلى العمليات من تضعيف وتنصيف وضرب وقسمة. ثم تقدم استخراج الجذور التربيعية والتكعيبية، ثم يأتي باب الكسور وطرق كتابتها والعمليات عليها بالترتيب السابق.

5-يتضمن الحساب الهندي معالجة ناضجة للكسر العادي (المطلق)، بما فيه

طرق الكتابة. فالكسـر كما وصـل من الهند يمثل بسـطا (أ) ومقاما (ب) دون وجود خط بينهما.

لكن المخطوطات العربية لم تلتزم ترتيبا واحدا للكسـور، وبخاصـة عند إجراء العمليات. فقد يوضع كسران في عمود واحد أو متقابلين.

ونضرب مثالين على الحساب الهندي، مأخوذة من كتاب الأقليدسي.

مثل (1) الزيادة (الجمع): نجمع 4564 و3458 وكذلك 19857 و3426

6 4 5 4	1 9 8 5 7

ويلاحظ أن العمليات تجري من الشمال إلى اليمين.

3 4 5 8	3 4 2 6
7 9 9 4	1 2 2 7 3
1	1 1 1 1
8 0 0 4	2 3 2 8 3

مثل (2) النقصان (الطرح): اطرح 3457 من 5746

5 7 4 6 الشـرح: 3 من 5 = 2، 4 من 7 = 3، 5 من 4 لا تصـح، نأخذ 1 من 3 (أي 10)

3 4 5 7

وعندها 5 من 13 =8، كذلك 7 من 6 لا تصح، نأخذ 1 من 9 وعندها 7 من 16 =9

2 3 9 9

2 8

2 2 8 9

المبحث الثاني: الحساب في المغرب الإسلامي

انتقال علم الحساب وعلوم الرياضيات الأخرى بين جناحي العام الإسلامي كان محدودا. ولذلك نجد أن ما في المشرق في القرن العاشر كان سابقا على ما في المغرب في القرن الثالث عشر. ولا نجد في حساب علماء المغرب إضافات مهمة. وفي المقدمة التي كتبها الدكتور سعيدان لكتاب "المقالات في علم الحساب" لابن البناء المراكشي وازن فيها بين علماء المشرق والغرب. على أي حال، قدم ابن البناء إشارة الكسر الأفقية التي نستعملها اليوم. أما الإشارة المائلة فهي اختراع أوربي. وقد ذكرنا فيما سبق أهم كتب الحساب المغربية.

المطلب الأول: الكسور العشرية

أول ذكر للكسور العشرية هو في كتاب الأقليدسي الذي ضرب مثلين أحدهما في التنصيف المتتالي للعدد 19، والثاني في الإضافة المتتالية لعشر العدد 135 وما نتج من ذلك.

في الفصل الثاني من الكتاب الثاني نجد أول ذكر للكسور العشرية. ينصف 19 ويقول نصف التسعة أربعة ونصف، ونصف العشرة خمسة. لذلك نصف 19 هو 95 مع وضع علامة (ًّ) بين 9 و5 لتمييز خانة الوحدات. ثم ينصف الناتج إلى 475 ويضع علامة (بعد 4). ثم ينصف ويحصل على 3752. ثم ينصف ويحصل على 18751. ثم ينصف ويحصل على 059375 ويجرؤها 59375 من مئة ألف. ثم يجري عمليات المضاعفة ويهمل الأصفار في البداية لأنه لا يحتاج إليها. يعيد الكرة على عدد 13 في الكتاب الرابع. وفي الفصل الرابع من الكتاب الثاني نجد أنه يدرك إمكانية العمليات على الكسور العشرية. فهو يبدأ بالعدد 135 ويزيد عُشره. ثم يزيد عُشر الناتج وهكذا عشر مرات. ويحصل على135،

5ˊ148، 35ˊ163، 685ˊ179، وهكذا حتى يصـــل إلى 21741885. ويقرأ ما قبل خانة الآحاد 41885 من مئة ألف. وهو يســتعمل هذا المثل لحســاب $135(1 + 1/10)^{10}$ ووجود إشـارة الكسـر العشـري في بعض الأعداد واختفاؤها مرده إلى الناسـخ كما يذكر الدكتور سعيدان.

المطلب الثاني: علم العدد

وهذا علم يوناني، موجود في كتاب نيقوماخوس الذي أشــرنا إليه في مقالة ســـابقة. وذكرنا أن 220، 284 عددان متحابان. لكن ثابت بن قرة في رسـالته الأعداد المتحابة (حققها د. سـعيدان ونشـرها سـنة 1977) وضع قاعدة لاستخراج مثل هذه الأعداد نعيدها

إذا أ = $3\times2^{ن-1}$، ب= 3×2^{ن} -1، ج = 9×2^{ن} -1، وكلها أعداد أولية، فإن أ ب، $2^{ن}$ ج عددان متحابان. وعندما ن = 1 ينتج العددان المتحابان 220، 284. واستطاع كمال الدين الفارسي (ت 1320) أن يجد منها العددين المتحابين التاليين عندما ن = 4، وهما 17296، 18416.

وتوجد عدة مؤلفات في علم العدد منها تفســير الأرثماطيقي للمجني الأنطاكي، والمدخل إلى الأرثماطيقي: خمس مقالات للكندي، وغيرها.

المطلب الثالث: المتواليات

اهتم الرياضـيون الإسـلاميون بالمتواليات العددية (الحسـابية)، ومنها ما عالجها اليونان والهنود. لكن الإسلاميين فضلوا الأسلوب اليوناني لما فيه من براهين. ومن كتب الحســـاب التي عـالجـت المتواليـات، التكملة ومراســـم الانتساب ومفتاح الحساب الذي قدم 50 قاعدة لأنواعها المختلفة. ونذكر فيما يلي عددا منها:

م ∑ =1/2 (ن^{2} + ن) = 2/ ن (ن + 1)

م ∑= (أ + ن) 1/2 (ن – أ +1)

1 + 3 + 5 + . . . + ل = (2/ ل + 1/2)

2 + 4 + 6 + . . . + م = (2/ م) + 2/ م

2^{ل} 2$^{ن+1}$ ∑$_{ل=2}$ = (2$^{ن+1}$)^{2} – 4

2^{ل} 2$^{ن+2}$ ∑$_{ل=2}$ = 4 × (2^{2} 2$^{ن+1}$ - 1)

2×1 + 2×3 + 2×5 + . . . + 2(2 ن – 1) = 2 ن^{2}

م^{2} ن∑$_{م=1}$ = (ن + ن) (3/ ن + 1/6)

م^{2} ن∑$_{م=1}$ / م ن∑$_{م=1}$ = 3/ 2 ن + 1/3

ل^{3} ∑ = (ل ∑)^{2}

المبحث الثالث: الجبر

تمهيد

ظل علم الجبر، حتى القرن التاسع عشر، معنيا بحل المعادلات، وبخاصة الحدودية منها. حتى إن المبرهنة الأساسية في علم الجبر هي في إثبات وجود جذر واحد على الأقل (قد يكون عددا مركبا) لمعادلة حدودية من الدرجة ن ≤ 1. وأول من برهنها چاوس في رسالة الدكتوراه مع نهاية القرن الثامن عشر. وعرّف الإسلاميون الجبر على أنه استخراج المجهولات من المعلومات.

حلول معادلات من الدرجة الأولى والثانية معروفة قديما عند المصريين والبابليين والهنود. وترجم قسطا بن لوقا البعلبكي (ت 912م) كتاب ديوفانطس

بعنوان صناعة الجبر.

ثم ظهر كتاب الخوارزمي ما بين 813 و830 م. وطريقة كتابته واستعماله للمصطلحات، توحي بأن هذه المعلومات كانت متداولة بين الناس في عهده وقبله. كما أن كتب الهنود والهلنستيين تفوق في معلوماتها ما في كتاب "الجبر".

المطلب الأول: فمن هو الخوارزمي، وما هي مؤلفاته؟ وما محتوى كتابه؟

هو أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، أصله من خوارزم عاش في الفترة (780-850). ذكره صاحب الفهرست على أنه "من أصحاب علوم الهيئة. وكان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على زيجيه الأول والثاني، ويعرفان بالسند هند، وله من الكتب: كتاب الزيج وكتاب عمل الأسطرلاب، وكتاب التاريخ". ولا يشير إلى كتبه في الرياضيات. لكنه في مواضع أخرى يشير إلى كتابه في الجبر والمقابلة.

المصطلح الخالد الذي جاء به الخوارزمي هو مصطلح الجبر والمقابلة. وأخذ الأوربيون الأول وصار عالميا. والجبر هو نقل المقادير لتحويلها من سالبة إلى موجبة. والمقابلة هي حذف المقادير المتشابهة على طرفي المعادلة. ففي المعادلة 5 س 3+ = 8 - 2 س، يعني الجبر تحويلها إلى 7س + 3 = 8؛ والمقابلة تؤدي إلى أن تصير 7 س = 5. ثم يقدم ثلاثة مصطلحات: مال وجذر وعدد. مثل س^2 + س = ج. فالمال هو مربع الجذر، وقد يسمي الجذر شيئا، ويعبر عن العدد المطلق بالدراهم، مثل قوله مال وجذر تعدل درهمين، برموزنا: س^2 + س = 2. "وخاصة مفهوم "الشيء" أي المجهول لا تشير عند الخوارزمي إلى كائن محدد خاص، إنما إلى كائن مجرد يمكن أن يكون رقميا

أو هندسيا دون أي فارق".

وفي الكتاب أبواب سبعة، كما يلي:

1-باب الضرب، 2 -باب المسائل الست، 3 -باب الجمع والنقصان، 4-باب المسائل المختلفة، 5-باب المعاملات، 6-باب المساحة، 7-كتاب الوصايا.

المطلب الثاني: الجبر في القرن التالي للخوارزمي

نقدر أن كتاب ديوفنطس ترجم مع نهاية القرن التاسع الميلادي. وهو أهم كتب الجبر اليونانية السابقة. كما أن اللغة العربية بعد قرنين من التعريب قد ترسخت لغة علمية ثم عالمية. ومضى الجبريون في هذا القرن في إثر الخوارزمي مع تعديلات أو تطورات مختلفة الأهمية. وكان حافزا لكثير من الكتابات الجبرية التي ضاع أكثرها. ويذكر ابن النديم لائحة غنية بهذه الأسماء منهم ابن ترك وسند بن علي والصيدناني وثابت بن قرة وأبو كامل وسنان بن الفتح وأبو الوفاء البوزجاني. وشهدت هذه الفترة توسعا في الموضوعات التي تناولها الخوارزمي مثل نظرية المعادلات التربيعية والحسابات الجبرية والتحليل غير المحدد وتطبيق الجبر على مسائل الإرث وغير ذلك. وتحسنت البراهين الهندسية كما نجده عند ابن ترك وأبي كامل.

المطلب الثالث: أبو كامل وكتابه الجبر والمقابلة

أبو كامل شجاع بن محمد بن شجاع المصري الحاسب. يقدر أنه عاش في النصف الثاني من القرن 13 هـ. وينسب إليه ابن النديم عدة كتب؛ منها:

أشهر كتبه؛ وصل إلينا الكتاب بنسختين وترجمة عبرية ناقصة.

وهو شرح لكتاب الخوارزمي وإضافة قيمة عليه. فهو يورد كلام الخوارزمي بنصه، حتى إذا بلغ حل المعادلة س^{2} = 5 س، قدم تعليلا هندسيا.

فيرسم مربعا ضلعه س ثم يقسمه خمسة أقسام متساوية، بخطوط توازي أضلاعه، فيكون مجموع مساحتها 5 س. وهكذا يكون ضلع المربع 5 وحدات.

المطلب الرابع: طرائف الحساب

هذا كتاب في المعادلات السيالة. مسائله قد تؤدي إلى معادلتين خطيتين في ثلاثة مجاهيل أو أكثر؛ مما يمكن كتابته على النحو

أ س + ب ص + ج ع + . . . = 100 ، س + ص + ع = 100

طرق الحل عنده جبرية. فهو يصنع من المعطيات معادلة تعطي بعض المجاهيل بدلالة مجاهيل أخرى. ويجد بالتجربة الأجوبة الممكنة، ضمن الشروط المفروضة. ويلجأ إلى رمزية لفظية. فالمجهول الأول عنده شيء، والثاني دينار، والثالث فلس، والرابع خاتم دون أن يكون لهذه الألفاظ أي معنى سوى دلالتها على المجهول. نذكر من ذلك مثالين:

1-دفع إليك 100 درهم فقيل لك ابتع بها 100 طير: بطا ودجاجا وعصافير. فإذا كانت البطة بخمسة دراهم، والعصافير كل عشرين بدرهم، والدجاج كل واحدة بدرهم، فكم طيرا تشتري من كل نوع؟ الجواب: 19 بطة، دجاجة واحدة، 20 عصفورا.

2-دفع إليك 100 درهم فقيل لك ابتع بها 100 طير من حمام وبط ودجاج. فإذا كانت البطة بدرهمين، والحمام كل ثلاثة بدرهم، والدجاج كل اثنين بدرهم. فكم تشتري من كل نوع؟ لها 6 أجوبة نكتبها كثلاثيات، (حمام، دجاج، بط): (51، 19، 39)، (42، 20، 38)، (33، 30، 37)، (24، 40، 36)، (15، 50، 35)، (6، 60، 34).

المطلب الخامس: ثابت بن قرة

ثابت بن قرة الحراني (221-288هـ/836-901م) نسبة إلى حران التي ولد فيها ونشأ. كان بارعا في علوم الرياضيات والفلك والطب. من أهم أعماله في الرياضيات:

رسالة في الأعداد المتحابة، كتاب في الشكل الملقب بالقطاع، كتاب في مساحة، الأشكال المسطحة والمجسمة، وغيرها.

وما يهمنا، هنا، برهانه لإحدى صيغ المعادلة التربيعية، مال وجذور تساوي عددا أي

س^2 + ب س = ج. والجذر عنده هو الحد ب س، وعدد الجذور هو المعامل ب. فهو يرسم المربع أ ب د ج. يمثل المال (س^2)، ولذلك ضلعه أ ب يمثل الجذر. ويختار وحدة القياس التي تجعل ب هـ تمثل عدد الجذور. فإن مساحة د هـ و ب تمثل الجذور (ب س)، حيث ح منتصف ب و ومن القضية 6 في كتاب أقليدس الثاني فإن ج هـ و أ مع (ب ح)^2 تساوي (أ ح)^2 . لكن مجموع المال والجذور معلوم لأنه يساوي العدد، وكذلك (ب ح)^2 معلوم لأنه نصف عدد الجذور. لذلك

(أ ح)^2 معلوم وكذلك أ ح. لكن س = أ ب = أ ح – ب ح. وهكذا تحدد س.

المطلب السادس: حسبنة الجبر

وجدنا في قرن الخوارزمي توسعا في البحوث التي بدأها في عدة ميادين منها نظرية المعادلات التربيعية، والحسابات الجبرية، والتحليل غير المحدد، وتطبيقات للجبر. وجرى تحسين على البراهين بالاستفادة من هندسة أقليدس عند ابن ترك وأبي كامل وثابت بن قرة وغيرهم. وبدأ الماهاني (210-275/825-

888) بتحويل بعض المسائل التربيعية من المقالة العاشرة من "الأصول" إلى معادلات جبرية. كما حول مسألة مجسمة من كتاب: الكرة والأسطوانة لأرشميدس إلى معادلة من الدرجة الثالثة (لم يستطع حلها).

وبعد قرن ونصف من الخوارزمي، دخل الجبر في مرحلة مختلفة يسميها الدكتور رشدي راشد حسبنة الجبر؛ أي تطبيق علم الحساب على الجبر. وهو دراسة منهجية تطبق قوانين علم الحساب وبعض خوارزمياته على الحدوديات.

المطلب السابع: كتاب الفخري

لهذا الكتاب 8 مخطوطات حصل المحقق الدكتور سعيدان على ست منها.

ويقدم الكتاب في خمس طبقات 255 مسألة حسب صعوبتها.

وبإسقاط المسائل المكررة يبقى 249 مسألة منها 113 ديوفانطية، ومن هذه 73 (أو63) أخذت من كتاب ديوفانطس.

وعند دراسة جبر الكرجي لا بد من دراسة السموأل الذي حفظ لنا أفكار الكرجي، ومشى في إثره موسعا ومبرهنا.

المبحث الرابع: الجبر في المشرق الإسلامي بعد الكرجي

كان أبو الليث محمد أبو الجود معاصرا للبيروني (ت 440هـ). لا نعلم عن حياته إلا القليل. استعمل قطوع المخروط لحل بعض المسائل التكعيبية مثل $س^3$ + 1/2 13 س +5 = 10 $س^2$. وهي مسألة لم يستطع حلها أبو سهل القوهي.

ومن رياضيي القرن الثالث عشر الميلادي ابن فلوس شمس الدين إسماعيل بن إبراهيم الماريديني وله من الكتب: كتاب أسرار الأعداد، وكتاب إرشاد الحساب في المفتوح من الحساب، ونصر الحبر في حساب الجبر، وغيرها.

وابن منعة (موسى بن يونس)، وقد حل مسائل بعث بها الملك فردريك الثاني (راعي فيبوناكشي).

وأثير الدين المفضل بن عمر الأبهري تلميذ لابن منعة. وسنذكره في بند الهندسة. ووضع ابن اللبودي (أبو زكريا محمد بن عبدان الحلبي) كتابا في الحساب والجبر، وآخر في المربعات السحرية. ونذكر على عجل نصير الدين الطوسي. وله كتاب في الحساب والجبر، وآخر في الجبر والمقابلة.

وظهر في القرن الثامن الهجري (الخامس عشر) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن الهائم المقدسي. له 18 كتابا في الحساب والجبر والمواريث؛ منها مرشد الطالب إلى أسنى المطالب في الحساب، و كتاب اللمع في الحساب في المواريث، والمقنع في الجبر.

المطلب الأول: علم الجبر في المغرب العربي

تأخر ظهور علماء في المغرب الإسلامي بما فيه الأندلس لأسباب مختلفة. وربما كان مسلمة بن أحمد القرطبي المجريطي أول اسم لامع في الرياضيات في الأندلس. اعتمد زيج الخوارزمي وأصلحه، وصرف تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي. ووضع أوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجرة، وزاد فيه جداول حسنة، كما يقول صاعد الأندلسي.

وجاء بعد مسلمة أبو القاسم أصبغ بن السمح (ت426هم1035). وله كتاب في الأسطرلاب في 130 فصلا. وله كتاب في الحساب الهوائي.

وولد الزرقالي وهو إبراهيم بن يحيى النقاش سنة 420هـ/1029 كما كتب عن نفسه.

وأبو محمد جابر بن أفلح، فلكي رياضي. ولد وعاش في إشبيلية، ربما في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، له أعمال في المثلثات الكروية كانت

بديلا عن نظرية منلاوس.

ومحمد بن الحجاج الياسميني، من فاس. نشأ وعاش في إشبيلية. ومات مذبوحا في مراكش سـنة 1204/601. أرجوزة في الجبر، وأخرى في أعمال الجذور، ورسالة عنوانها تنقيح الأفكار في العمل برسوم الغبار.

واشتهر في المغرب كتاب الحصـار في علم الغبار من وضع أبي زكريا (أو أبي بكر) محمد بن عبد الله الحصار. كما ينسب إليه كتاب في الجبر والحساب.

وابن بدر هو أبو عبد الله محمد بن عمر البلنسي، رياضي عمل في إشبيلية. له كتاب في الجبر أسـماه الاختصـار. ومن مشـاهير علماء المغرب ابن البناء، وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشـي (654-1256/721-1321). ولد في مراكش ومات بها. أحصـى رينو له 82 كتابا ورسـالة أغلبها في الرياضيات والفلك.

وبدأ الرمزية في الجبر في العالم الإسـلامي ابن القنفذ، وهو أحمد بن الحسـن بن الخطيب القسـنطيني (ت 810هـ/1409). سـار في إثر ابن البناء وتلاميذه مثل الأبلي المراكشـي (ت 1356/757)، وابن خلدون (ت 1406/807). له مؤلفات في السـير والتاريخ والتنجيم والفلك، إضـافة أربعة عناوين في الرياضيات؛ هي

1-شرح لكتاب التلخيص سماه حط النقاب عن وجه العمل بالحساب.

2-التلخيص في شرح التلخيص، وهو شرح لحط النقاب.

3-بغية الفرض من الحساب والفرائض. (والفرائض هي علم المواريث).

4-مبادئ السالكين في شرح أرجوزة ابن الياسمين.

المطلب الثاني: المعادلات التكعيبية وعمر الخيامي

نعيد القول إن عظمة الجبر الإسلامي من الخوارزمي ومدرسته إلى الكرجي ومدرسته تتضح في الحلول الجبرية (الحسابية) للجذور وتعليل خوارزمياتهم هندسيا أو جبريا. وعندما جاؤوا إلى المعادلة التكعيبية توقفوا ولم يتوفقوا في إيجاد خوارزميات جبرية أو تبريرها. إذ لا يمكن بناء المعادلة التكعيبية بالمسطرة والفرجار.

وقد دفع الرياضيين الإسلاميين إلى اللجوء إلى القطوع المخروطية ترجمتهم مسائل هندسية إلى قضايا جبرية، كما سنورد بعد قليل. ونستعين بنص للخيام في رسائل الخيام الجبرية التي حققها د. رشدي راشد و د. أحمد جبار ونشرها معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب سنة 1981.

أراد الماهاني (أبو عبد الله محمد بن عيسى - ت 261 أو 271هـ/884، رياضي فلكي) أن يحل إحدى مسائل أرشميدس في كتاب الكرة والأسطوانة، وهي تعيين مستوى يقطع مرة معلومة بنسبة مفروضة من الحجم. فأدى ذلك إلى معادلة من النوع $س^3 + ج = أ\ س^2$، ولم يستطع حلها. ونجد هذه المحاولة في مخطوطة في مكتبة لايدن للقوهي تشرح كتابا للماهاني.

ثم جاء الفلكي الرياضي أبو جعفر الخازن محمد بن الحسن (ت 961/350 أو 971/361) وحلها بتقاطع مخروطين. ولم يصل إلينا هذا الحل. ووصلنا من كمؤلفاته محاولة لبرهنة المسلمة (المصادرة) الخامسة لأقليدس، وشرح للمقالة العاشرة وشروح على المجسطي .

وأراد الأمير أبو منصور نصر بن عراق (ت 1036/428) استخراج ضلع المسبع في الدائرة. فأدى هذا به إلى المعادلة $س^3 + أ\ س^2 = ج$. فحلها بتقاطع المخروط. وابن عراق هو تلميذ أبي الوفاء وأستاذ البيروني.

ثم ظهرت المسألة التالية: عشرة قسمتها قسمين، فكان مجموع مربعيهما مع الخارج من قسمة الكثير على القليل اثنين وسبعين عددا، وهي مسألة أعجزت أبا سهل القوهي وأبا الوفاء البوزجاني وأبا حامد الصاغاني وجماعة من أصحابهم الذين كانوا منقطعين إلى جناب عضد الدولة بمدينة السلام. واستخرجها أبو الجود وخزنوها في دار الكتب السامانية. وعرض الخيام حل أبي الجود في رسالة في الجبر والمقابلة متعرض لما فيها من نقص. وأبو الجود هو محمد بن الليث، معاصر للبيروني. وله كتاب في عمل المسبع في الدائرة.

وحصل الحسن بن الهيثم (355-431/965-1039) على مسألة من الدرجة الرابعة. وحلها بالقطوع المخروطية. وهي تقتضي إيجاد مسير للضوء من نقطة مفروضة إلى أخرى مفروضة بعد انعكاسه عن محيط دائرة في مستوى النقطتين.

ثم جاء عمر الخيام أو الخيامي. وهو أبو الفتح غياث الدين عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري (442-526/1048-1131). له رسالتان في الجبر والمقابلة؛ وله رسالة في الهندسة؛ وله رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات أقليدس. كما أن له كتبا أخرى.

كان مشروع الخيام بناء نظرية هندسية للمعادلات التكعيبية وما دون، تتجاوز المحاولات الفردية أو الجزئية التي أشرنا إليها قبل قليل. وهو يسخر الهندسة خادما للجبر، وإن ظل محافظا على فكرة أقليدس في التجانس بين الحدود.

المطلب الثالث: شرف الدين الطوسي

بعد أربعين سنة من وفاة الخيام حصل انعطاف مهم في المعادلات الحدودية حتى الدرجة الثالثة. علي يد شرف الدين الطوسي (ت1213م)،

والذي من أهم أعماله رسـالة حول المعادلات، وخلافا لمن سـبقه بالمعالجة الجبرية العامة للمعادلات، اهتم الطوسي بمعالجة موضعية تحليلية.

يؤكد الطوسـي، في البداية، أن القطعين المكافئ والزائد والدائرة هي كل ما يحتاج إليه من منحنيات. وهو أمر لم يعالجه الخيام. ثم يأتي إلى تصـنيف المعادلات تصـنيفا مختلفا عن الخيام. فهو لم يرتب المعادلات اعتمادا على عدد الحدود (معيار داخلي) كما فعل الخيام وغيره؛ بل بمعيار خارجي حسـب وجود جذور (موجبة) لها. فالمجموعة الأولى هي معادلات تربيعية (سـتة كما هي عند الخوارزمي) وخمس يمكن اختزالها إلى معادلات تربيعية، إضافة إلى س^3 = ج. ويبقى 13 معادلة تكعيبية، تضـم المجموعة الثانية ثمانيا منها لها جذر موجب واحد على الأقل. لهاتين المجموعتين يعمد إلى البناء الهندسـي للجذور. وفي حال المعادلات التربيعية يلجأ إلى تحديد المميز. ثم يعمد إلى الحل العددي بواسطة الطريقة المسـماة طريقة هورنر. والمجموعة الثالثة من خمس معادلات مستحيلة الحل.

في دراسـته لكل معادلة من المجموعة الثانية، كان يختار منحنيين من الدرجة الثانية؛ ويبرهن باعتبارات هندسية محضة أن قوسي هذين المنحنيين تتقاطعان في نقطة واحدة (على الأقل).

المطلب الرابع: التحليل التوافيقي

بداية التحليل التوافيقي مع الخليل بن أحمد الفراهيدي (718-786م) في مشروعه لوضع أول معجم اللغة العربية الذي سماه العين. وكان همه أن يجد الكلمات التي يمكن تشكيلها من حروف الهجاء الثمانية والعشـرين إذا أخذت مثنى وثلاث ورباع وخماسـا. لكن ليس كل ترتيب لهذه الحروف هو كلمة عربية أو مقبولة اللفظ لغويا. وهذا قاده إلى علم آخر هو علم نطق الحروف،

الذي جعله صاحب النظرية التي مفادها "اللغة المتداولة مجموعة جزئية من اللغة الممكنة"، كما نقول في نظرية المجموعات، ثم علم المعاجم وعلم الرموز.

بدأ الخليل بحساب عدد التوافيق (دون تكرار) لحروف الهجاء من ل إلى ل حيث ل $\in\{2، 3، 4، 5\}$. ثم وجد عدد التبديلات في كل مجموعة فيها ل من هذه الحروف، أي أنه حسب $^{ن}ك_{ل} = ل!\binom{ن}{ل}$

حيث ن عدد حروف الأبجدية، $1 < ل \leq 5$

المطلب الخامس: التحليل العددي

اهتم الرياضيون الإسلاميون بالتقنيات العددية وبخاصة لاستخراج الجذور من أسس مختلفة. ومع أن الهنود طوروا بعض الخوارزميات لإيجاد الجذرين التربيعي والتكعيبي، وبعضها ذو أصل يوناني، فقد أسهم الإسلاميون في تطويرها، وأضافوا خوارزميات أخرى لها ولاستخراج الجذر النوني. كذلك طوروا واخترعوا أدوات رياضية ليصلوا إلى مزيد من الدقة مثل ابتكار الكسور العشرية، وحسنوا طرق الاستكمال وزادوا عليها. وليس من العدل اختصار هذا الجهد الرائع في فقرات. لكننا سنقدم ملامح هذا الموضوع.

حسب ما نقل البغدادي في التكملة، فقد اقترح الخوارزمي صيغة لإيجاد الجذر التربيعي. فإذا ن = $م^2$ + ل، فإن:

$$\sqrt{ن} = م + ل / 2م \qquad (1)$$

وهو تقريب زائد غير مرض، كما يبين عند تطبيقه على 2 أو 3. لكن أبناء موسى بن شاكر، وكانوا معاصرين للخوارزمي، في كتابهم مساحة الأشكال المسطحة والكروية قدموا ما سمي "قاعدة الأصفار" لاستخراج الجذر النوني، على النحو

ه√ن = مك / (ه من ك)√ن ، لأي عددين صحيحين م، ك. (2)

واستعملوا م = 60، ن = 3. وفي كتاب الفصول في الحساب الهندي نجد هذه القاعدة لاستخراج الجذور التربيعية والتكعيبية، كما نجدها في التكملة وعند السموأل. على أن الأقليدسي، حسّن على هذه القاعدة بتطويرها إلى ما سمي "التقريب الاصطلاحي":

(3) √ن = م + (2م +1)/ ل

وسمي 2م +1 المخرج الاصطلاحي. كما أن البغدادي قدم قاعدة مقاربة للجذر التكعيبي. فإذا ن = م^3 + ل فإن

(4) ^{3}√ن = ل + (3م^2 +3م +1)/ ل

كما طبق كوشيار بن لبان خوارزمية روفيني – هورنر ذات الأصل الهندي (كما هو مرجح)، التي حاول ابن الهيثم أن يعللها رياضيا. كما نجد هذه الطرق وما جرى عليها من تحسينات في أكثر الرسائل اللاحقة في علم الحساب مثل كتابات النسوي ونصير الدين الطوسي وابن الخوام والفارسي وغيرهم.

وقد يسر المثلث الحسابي تعميم الخوارزميات والطرق السابقة؛ كما يشار إلى ذلك عند البيروني والخيام دون أن تصلنا مؤلفاتهم بهذا الخصوص. ونجد ذلك عند السموأل الذي حدد قصده بالتقريب على أنه "معرفة عدد حقيقي بواسطة متتالية من الأعداد المعروفة، بتقريب بإمكان الرياضي جعله صغيرا بالقدر الذي يريد". وطبق طريقة روفيني – هورنر على المعادلة

ق(س) = س^5 – ك = 0، حيث ك = 30، 52، 16، 8، 48، 36، 43، 33، 2، 0، 0؛0 (ستيني)

أما الكاشي، فقد طبقها على معادلة مماثلة حيث ك = 197 506 899 240 44 (عشري).

المطلب السادس: التحليل السيال

وقد يطلق عليه الديوفنطي أو غير المحدد. نبغ في نصف القرن ما بين الخوارزمي وأبي كامل عدد من علماء الرياضيات مثل سند بن علي وأبي حنيفة الدينوري وأبي العباس السرخسي وغيرهم. ولا شك أن جبر الخوارزمي مثل انعطافا وفتحا في الرياضيات موضوعا ومعالجة. ولم تصلنا المؤلفات الخاصة بهذه المجموعة، لكن وصلتنا نتف من إنجازاتها.

المطلب السابع: التحليل الديوفنطي الصحيح

ساهم كتاب "صناعة الجبر" المترجم، إضافة لما سبق، في تطوير التحليل الديوفنطي الصحيح كجزء من نظرية العدد. واهتم الإسلاميون بالبرهان مستفيدين من "الأصول" لكن دون اعتبار العدد الصحيح قطعة مستقيم. وكان كتاب ديوفانطس غنيا بالمسائل التي تحفز الفكر لوضعها في نسق عام واستخلاص مبادئ نظرية. من هذه المبادئ ما عرف بمسألة فيرما، وحدها الأدنى الثلاثيات الفيثاغورية التي كانت معروفة عند البابليين، التي سماها بعضهم "أصول الأجناس" وكذلك قضية الأعداد المتطابقة.

بالنسبة إلى قضية "أصول الأجناس" يقتبس الدكتور راشد من مؤلف مجهول في القرن العاشر بعد تقديمه مبدأ تولد المثلثات القائمة كأعداد "هذا هو الأصل في معرفة الأقطار للمثلثات التي هي أصول الأجناس. ولم أجد هذا ذكر في شيء من الكتب القديمة، ولا ذكره أحد ممن وضع الكتب في الحساب من المحدثين، ولا علمت أنه انفتح لأحد من قبلي". كما كان الخازن من مؤسسي هذا التقليد. ويتساءل المؤلف المجهول عن الأعداد الصحيحة التي يمكن أن تكون أوتارا لهذه المثلثات، أي الأعداد الصحيحة المربعة التي هي مجموع مربعين. ويكتب إن كل عدا ما هو وتر في هذه المثلثات القائمة إذا

تطابق مع 5 أو 1 قياس 12.

أما الخازن فيبرهن جبريا قضـية في "الأصـول" برهنت تركيبيا. وهي القضية التالية:

افرض ثلاثية من أعداد صـحيحة (س، ص، ع) حيث القاسـم المشـترك الأعظم للعددين س، ص هو 1، {نعبر عن ذلك (س، ص) = 1}، وأن س عدد زوجي، فإن الشرطين التاليين متكافئان:

1- $س^2 + ص^2 = ع^2$

2- توجد ثنائيات (هـ، و) من أعداد صـحيحة (موجبة)، أحدهما فردي والأخر زوجي تحقق

$$س = 2 هـ و، ص^2 = هـ^2 - و^2، ع^2 = هـ^2 + و^2$$

ثم يحل المعادلة $س^2 = (س_1)^2 + (س_2)^2 + (س_3)^2$، على الرغم من أن تفكيره عام.

ويدرس المؤلف المجهول الذي أشـرنا إليه مسـألة الأعداد المتطابقة، أي حلول المنظومة (1)

$$س^2 + أ = ص^2$$

$$س^2 - أ = ص^2$$

ويقدم المتطابقتين

$$(هـ^2 + و^2)^2 \pm 4 هـ و (هـ^2 - و^2) = (هـ^2 - و^2 \pm 2 هـ و)^2 \quad (2)$$

التي تيسر حل (1) إذا $أ = 4 هـ و (هـ^2 - و^2)$

ثم يبرهن الخازن القضية التالية

افرض عددا طبيعيا أ، فإن الشرطين التاليين متكافئان

(1) يوجد حل للمنظومة (1)

(2) توجد ثنائية من عددين صحيحين (م، ن) تحقق:

$م^2 + ن^2 = س^2$، 2 م ن = أ

عندها: أ = 4 هـ و ($هـ^2$ - $و^2$).

المطلب الثامن: نظرية العدد

إضافة إلى المصدر الديوفنطي لبحوث في نظرية العدد، فقد كان كتاب "الأصول" وكتاب نيقوماخوس "الأرثماطيقي" مصدرين آخرين لهذه البحوث. وهذا مكنهم من النظر إلى نظرية العدد بأحد أسلوبين كما أشار ابن الهيثم، بالاستقراء لمعرفة الخواص، أو بالبرهان والقياس. وبدأت البحوث باكرا مع ثابت بن قرة الذي ترجم كتاب نيقوماخوس، وألف رسالته في الأعداد المتحابة. وهو تقليد امتد حتى كمال الدين الفارسي بتطبيق الجبر في دراسة أولى الاقترانات الحسابية الأولية، بإعطاء قاعدة الأعداد المتحابة. ومن أعلام هذا الاتجاه، على سبيل المثل، الكرايسي والأنطاكي والقبيصي وأبو الوفاء البوزجاني والبغدادي وابن الهيثم وابن هود والكرجي. وكان أقليدس في ختام المقالة التاسعة أعطى قاعدة في الأعداد التامة، وهي:

إذا ن = $2^{ك}$ ($2^{ك+1}$ - 1) وإذا $2^{ك+1}$ – 1 عدد أولي أ فإن ن عدد تام. واستطاع ابن الهيثم أن يبرهن عكسها. أما البغدادي فقد أثبت أنه إذا $ع_0(2^{ن})$ = $2^{ن}$ -1 عدد أولي، فإن 1 + 2 + . . . + $2^{ن}$ -1 عدد تام. وقد عرف الرياضيون الإسلاميون الأعداد التامة السبعة الأولى.

افرض $ع_0$(ن) مجموع العوامل (وليست الأولية فقط) التي تقسم عددا

صـحيحا ن (عدا نفسـه). وأن ع(ن) = ع$_0$(ن) + ن مجموع قواسـم ن. وعليه ن عدد تام إذا ن = ع$_0$(ن). وكذلك ك، ل عددان متحابان إذا ل = ع$_0$(م)، م = ع$_0$(ل). وذكرنا أن الفارسـي وجد العددين المتحابين التاليين وهما 17296 و 18416. بينما وجد اليزدي العددين التـاليين 9363584 و 9437056 (اعاد الاكتشـاف ديكارت). وقد ذكرنا في بند سـابق قاعدة ثابت بن قرة. ويظهر أن هذ القاعدة قد انتشـرت في المكان والزمان، إذ ظلت أهم الاقترانات في لم العدد حتى القرن السـابع عشـر. وقد نقلها علماء كثر، كالأنطاكي والبغدادي وابن هود وغيرهم.

وبحث الرياضـيون الإسـلاميون، أيضـا، في تمييز الأعداد الأولية. وبرهن ابن الهيثم في معرض حله التطابقات الخطية (مسألة البواقي الصينية) معيارا لتمييز الأعداد الأولية يعرف اليوم بمبرهنة ولسون:

إذا ن > 1، يكون الشرطان التاليان متكافئين:

(1) ن عدد أولي

(2) (ن – 1) ! ≡ -1 (ق ن).

المطلب التاسع: الاستقراء الرياضي

ادعى الأوربيون أن الاسـتقراء الرياضـي لهم فيه قصـب السـبق، ويؤكد الدكتور راشـد أن قصـب السـبق هو من حق الكرجي. فقد أوضـح مبادئ الاسـتقراء وطبقها، كما طبقها غيره من الإسـلاميين بشكل أو بآخر. فالسموأل ينقل في "الباهر" عن الكرجي في محاولته برهنة ذات الاسـمين مبرهنتين وقضيتين.

مبرهنة (1): لأية أربعة أعداد أ، ب، ج، د فإن (أ ب) (ج د) = (أ ج) (ب د)

مبرهنة (2): لأية ثلاثة أعداد أ، ب، ج، فإن ج (أ ب) = (ج أ) ب

ثم يبرهن ذات الاسمين (الحدين)

$$(أ + ب)^{ن} = \sum_{م=0}^{ن} \binom{n}{k} أ^{ن} ب^{ن-م}$$

انطلاقا من (أ + ب)^2 = أ^2 + 2 أ ب + ب^2. يضــرب الطرفين بالعامل (أ + ب)، ويواصــل حتى ن = 4. وعند ن = 5 يقول جملة عامة توضــح أن هذه العلاقة تبقى صوابا. وينقل السموأل عنه المثلث الحسابي

شيء	م	ك	م م	م ك	ك ك	م م م	م م ك	م ك ك	ك ك ك	م م ك ك	ك ك ك ك ك
1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	1	12
	1	3	6	10	15	21	28	63	45	55	66
		1	4	10	20	35	56	84	120	165	220
			1	5	15	35	70	126	210	330	495
				1	6	21	56	126	252	462	792
					1	7	28	84	210	462	924
						1	8	36	120	330	792
							1	9	45	165	495
								1	10	55	220
									1	11	66
										1	12
											1

وكذلك، يبرهن القضية الثانية: (أ ب)^{ن} = أ^{ن} ب^{ن}

ويبرهن المتسلسلة التي تقول مجموع مكعبات أول ن من الأعداد الطبيعية يساوي مربع مجموعها. وهذه العلاقة كانت معروفة لدى آريابهاتا الهندي، إلا أن الكرجي هو أول من أثبتها حتى ن = 10. وهي

$$1^3 + 2^3 + 3^3 + \dots + 10^3 = (1 + 2 + 3 + \dots + 10)^2$$

فقد رسم مربعا أ ب ج د ضلعه يساوي 1 + 2 + 3 + . . . + 10. ثم حدد النقطتين جَ، دَ حيث ج جَ = د دَ = 10. ثم حسب مساحة الشكل (كاتز255) ب ج د دَ جَ بَ حيث بَ جَ دَ أ مربع. ووجدها

$$2 \times 10\,(1 + 2 + \dots + 9) + 10^2 = 2 \times 10\,(10\times9/2) + 10^2 = 9 \times 10^2 + 10^2 = 10^3$$

لكن مساحة المربع أ ب ج د هي مجموع مساحة المربع أ بَ جَ دَ ومتوازي الأضلاع الناقص gnomon. لذلك

$$(1 + 2 + \dots + 10)^2 = (1 + 2 + \dots + 9)^2 + 10^3$$

وبمثل هذا الأسلوب يمكن إثبات أن:

$$(1 + 2 + \dots + 9)^2 = (1 + 2 + \dots + 8)^2 + 9^3$$

وهكذا، حتى الوصول إلى المربع أ بْ جْ دْ الذي مساحته = 1 = 1^3.

المبحث الخامس: علم الهندسة

تمهيد

لا شك في أن كثيرا من المعارف الهندسية العملية كانت معروفة لدى المجتمعات التي دخلت في دولة الإسلام، فاستفاد منها المسلمون في تعيين مساحات الأراضي وحدودها، وما يتصل بالبناء، بل وبتخطيط المدن وغيرها، وبعد حملة تعريب الدواوين كان لا بد من معارف هندسية نظرية، بشكل أو بآخر، مع مصطلحاتها أن تدخل الاستعمال وتكون نواة لمكونات اللغة العربية العلمية التي توسعت أيام العباسيين.

المطلب الأول: الحسابات الهندسية

أقدم الأعمال في العربية متعلقة بالهندسة هو كتاب الجبر للخوارزمي. فقد عقد فيه جزءا لحسابات هندسية. ففيه مسألة قياس ارتفاع مثلث عرفت أضلاعه، ومساحة المضلع المنتظم، ومساحة بعض الأشكال المسطحة. وأعطى ثلاث قيم تقريبية لنسبة محيط الدائرة إلى قطرها. مع قواعد لحساب حجوم بعض المجسمات. وكلها علاقات صحيحة. ونجد عند أبي الوفاء البوزجاني في كتابه ما يحتاج إليه الكتاب والعمال وغيرهم من علم الحساب معلومات هندسية يتعلق بالمساحات والحجوم.

كما أن الجبريين منذ الخوارزمي استعملوا الهندسة لبرهان نتائجهم الجبرية. مما أوجد جسرا علميا بين الجبر والهندسة. نجد ذلك عند أبي كامل والخيام وشرف الدين الطوسي والكاشي وغيرهم.

وكان الكندي أول من عالج مسألة تساوي المحيطات في كتابه الصناعة العظمى. ورسالته: الكرة هي أعظم الأشكال المجسمة والدائرة هي أعظم الأشكال المسطحة. وتناول أبو جعفر الخازن هذا الموضوع بتقديم تسع تمهيديات تقارن بين المساحات المختلفة لأشكال ذات محيطات متساوية. تبدأ مع المثلثات ثم تنتقل إلى متوازيات الأضلاع والمعينات ثُم المخمسات المنتظمة. ثم يهتم بالمساحات الخارجية للمجسمات. وتابع ابن الهيثم مسألة "تساوي المحيطات" في رسالة بهذا العنوان.

وبلغت الحسابات الهندسية أوجها مع الكاشي، كما نجده في الرسالة المحيطية. ولحساب قيمة π بالكسر العشري، درس مضلعات منتظمة محاطة بدائرة ومحيطة بها لها من الأضلاع 3×2^{28} = 368، 306، 805 بينما استعمل أرشميدس مضلعات لها $96 = 3\times 2^5$ ضلعا. واختار الكاشي هذا العدد من

الأضــلاع لأن الفرق بين محيطي المضــلعين المحاط والمحيط لدائرة قطرها 000، 600 ضـعف من قطر الأرض أقل من عرض شـعرة حصـان. وتوصـل إلى النتيجة التالية:

π = 25، 7، 53، 25، 47، 0، 44، 29، 8؛3 (ستيني)

= 325، 979، 358، 265، 159، 14. 3 (عشري)

وهو عدد صحيح ما عدا المنزلة الأخيرة. والصواب 38 بدل 5.

المطلب الثاني: الإنشاءات الهندسية

برع الرياضيون الإسلاميون في الإنشاءات الهندسية. وقد استفادوا من الرياضـيـات اليونـانيـة والهنـديـة. وكـان التحـدي الأول الرسـم بـالأدوات الأفلاطونية: مسـطرة دون تدريج وفرجار دون مسـمار ثابت. وكانت مسـائل تربيع الدائرة وتثليث الزاوية وتضعيف المكعب من المسـائل التي اسـتعصت على هذا الشـرط. ونجد في المخطوطات العربية أمثلة عن اسـتعمال القطوع المخروطية لإنشاء القطعات والزوايا. ولثابت بن قرة مؤلفان في هذا الميدان. أحدهما رسـالة في الحجة المنسـوبة إلى سـقراط في المربع وقطره. والآخر كتاب في عمل شـكل مجسـم ذي أربع عشـرة قاعدة تحيط به كرة معلومة. ونذكر أيضـا كتاب الحيل الروحية والأسـرار الطبيعية في دقائق الأشـكال الهندسـية لأبي نصـر الفارابي (875-950). وكتاب آخر لأبي الوفاء البوزجاني فيما يحتاج إليه الصانع من الأعمال الهندسية.

ولإبراهيم بن سـنان مقالة في رسـم القطوع الثلاثة. كما توصـل أبو سـهل القوهي إلى تصميم آلة للإنشاء المتواصل للقطوع المخروطية سماها الفرجار التام. وقد يكون من المناسب أن نقدم طريقته في رسم المسبع المنتظم داخل دائرة.

المطلب الثالث: الهندسة الأقليدية

ذكرنا أن كتاب "الأصول" قدم أول محاولة لبنية رياضية افتراضية كما نعرفها، وإن كانت لا تخلو من هنات. وقد ذكرنا بعض مكوناته في البند 3.1. ونعيدها هنا. فقد بدأ بتعريفات عددها 23 منها

النقطة ما ليس له حد.

الخط (المستقيم) هو طول ليس له عرض.

السطح هو ما ليس له إلا الطول والعرض.

وعرف السطح المستوي والزاوية وأنواعها والدائرة والمثلث والمضلع والخطوط المتوازية، وغيرها. وقدم خمس عبارات سماها "مصادرات" (بالترجمة العربية) هي مسلمات بصحتها تتعلق بالإنشاءات الهندسية بالمسطرة والفرجار. فالمصادرتان الأولى والثانية تفرضان إمكانية رسم مستقيم ومده إلى ما لانهاية. والمصادرة الثالثة تنص على إمكانية رسم دائرة مركزها أي نقطة ونصف طرها من أي طول. والمصادرة الرابعة تنص على أن جميع الزوايا المستقيمة متطابقة. أما المصادرة الخامسة فنصها "إذا قطع مستقيم مستقيمين آخرين فعمل مع أحدهما في إحدى جهتيه زاويتين داخليتين مجموعهما أقل من قائمتين، فإن المستقيمين يلتقيان إذا مدا من تلك الجهة". وسميت أيضا "مصادرة التوازي". ولها تاريخ حافل. ثم قدم أقليدس ما سماه "حقائق واضحة" لتسهيل المقارنة بين الكميات.

اهتم الإسلاميون بهذا الكتاب وبالمصادرة الخامسة، كما سنفصل بعد قليل. ونقدم فيما يلي موجزا لعنايتهم بهذا الكتاب.

ذكرنا أن أول ترجمة إلى العربية قام بها الحجاج بن مطر أيام هارون الرشيد، من السريانية على الأرجح وسميت النسخة الهارونية؛ وقد فقدت. ثم

قام المترجم نفسه بإعادة ترجمتها أيام المأمون. وهي النسخة التي حررها نصير الدين الطوسي. ونتكلم عنها فيما بعد.

وترجم إسحاق بن حنين (830/215 – 910/298) "الأصول" من اليونانية؛ وهذب هذه الترجمة ثابت بن قرة (836/221 – 901/288). وهي ترجمة اعتمدت النسخة الثيونية أو نسخة أخرى اعتمدت التحرير الثيوني. ثم تناول هذا الكتاب تحريراً أو شرحاً أو تلخيصاً أو تعليقاً لكتاب أو أجزاء منه عدد كبير من علماء الرياضيات في الحضارة الإسلامية، ذكر منهم فؤاد سيزكين 49 لهم 67 مؤلفاً. كما ذكر 27 مؤلفاً لهم حواش على الكتاب، وذكر كتابين فيهما شرح إضافة إلى أربع كتب أخرى شارحة، فيكون المجموع 100 كتاب. وهي ثروة عظيمة بأي مقياس، تدل على شدة الاهتمام بهذا الكتاب وأهميته.

يتألف كتاب الأصول من 13 مقالة. وأضاف إليه انسقلاوس العسقلاني مقالتين ترجمهما قسطا بن لوقا بالبعلبكي (القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي).

المطلب الرابع: مسألة التوازي

يقال إن أرسطو وضع المصادرات الثلاث الأولى، وأضاف أقليدس المصادرتين الرابعة والخامسة. والأخيرة تنص على ما يلي: "إذا وقع خط على خطين فكان مجموع الزاويتين الداخلتين في أي من جهتيه أقل من قائمتين، فإن الخطين إذا مدا من تلك الجهة يلتقيان". وظن الكثيرون من بعد أقليدس أن هذه العبارة قابلة للبرهان من غيرها. وبخاصة أنه عرض 28 مبرهنة (شكلاً) دون أن يستعملها. ومنها تطابق المثلثات وخصائص المثلث متساوي الساقين، وخصائص أخرى للمثلثات. وبرهن أنه إذا وقع مستقيم على مستقيمين فكانت الزوايا المتبادلة متساوية، فإن المستقيمين متوازيان.

المطلب الخامس: تثليث الزاوية

موضوع قسمة الزاوية ثلاثة أقسام متساوية بالمسطرة (غير المدرجة) والفرجار (غير الثابت مسماره)، وهو تحديد شرطه أفلاطون، مسألة قديمة تتحدى الحل والعبقرية. وظلت كذلك حتى أثبت الألماني بيير وانتزل Pierre Wantzel (1814-1848)، سنة 1837 أنها غير قابلة للحل. ومن دون شرط أفلاطون، فلها حلول كثيرة نظرية وعملية. وقد حلها الأقدمون ابتداء من أرشميدس إلى بابوس إلى الرياضيين الإسلاميين بمنحنيات القطوع المخروطية وغيرها.

المطلب السادس: هندسات أخرى

لم يهتم علماء الحضارة الإسلامية بهندسة أقليدس فقط. فقد ترجموا لمنلاوس وأبولونيوس وغيرهما. فقد حرروا كتاب المخروطات لأبولونيوس خمس مرات، دلالة على عميق الاهتمام. ووضعوا اثني عشر حلا لمسألة تسبيع الدائرة (أي إنشاء مسبع منتظم يحيط بدائرة). منهم: أبو الجود محمد بن الليث، والسجزي، وأبو العلاء بن سهل، والقوهي، وأبو حامد محمد بن أحمد بن الحسين الصاغاني، وابن الهيثم، وكمال الدين موسى بن يونس، ونصر بن عبد الله العزيزي (انظر علي عبد اللطيف ص 34). وانتقلوا إلى حجم الأجسام الدورانية مثل المجسم المكافئ والمخروط الدائري. وقدم بنو موسى برهانا مختلفا لقاعدة هيرون في إيجاد مساحة المثلث المعروف أطوال أضلاعه، وقدم الشني والبوزجاني صيغا أخرى.

واهتموا بما يسمى الهندسة العملية، وتعنى بعمل الأشكال الهندسية، دون برهان، التي يكثر استعمالها في البناء. فلأبي نصر الفارابي الفيلسوف (875-950) "كتاب الحيل الروحانية والأسرار الطبيعية في دقائق الأشكال

الهندسية". واخترع القوهي ما سماه "البركار التام". وهو آلة للبناء المتواصل لقطوع مخروطية. وكرس الحسن المراكشي المغربي (ت 1262) جزءاً من كتابه الموسوعي كتاب جامع المبادئ والغايات لبناء عدد من الآلات الهندسية واستعمالها لبناءات هندسية.

ونجد اهتمامات هندسية أخرى، مثل التحويلات الهندسية. واستعان ثابت بن قرة وحفيده إبراهيم بن سنان بالتحويلات التآلفية والتقايسات isometries. واهتم رياضيون بالإسقاطات projections؛ فقد مثلوا الرسوم المجسمة بالإسقاطات المتوازية.

المبحث السادس: مع أوربة

كان للهندسة الإسلامية تأثير بالغ في أوربة كما كان الحال للحساب والهندسة. فقد وضع أبراهام بن حيا (ح 1070-1136) كتاب القياسات بالعبرية متأثرا بالدراسات الإسلامية. وتابع الأوربيون الإسلاميين في الإسقاطات وعمل الإسطرلابات. ولا تزال أسماء النجوم العربية شاهدا حيا على المتابعة والاقتباس. وكان البولندي وايتلو (القرن الثالث عشر) أول أوربي حاول برهنة مصادرة التوازي بعد مراجعته كتاب "المناظر" لابن الهيثم. واستفاد من بحوث ابن الهيثم في القرن الرابع عشر العالمان اليهوديان لاوي بن جرشون وألفونسو الإسباني. وشروح الطوسي لأقليدس نشطت وأثرت في دراسات واليس وساكري المتعلقة بمصادرة التوازي.

وبعد فتح القسطنطينية من قبل محمد الفاتح سنة 1453 هرب كثير من اليونان حاملين معهم مخطوطات عربية.

المطلب الأول: تطور علم المثلثات الإسلامي

حفز كتاب "المجسطي" والرغبة في تحديد القبلة في مختلف بلاد

الإسـلام علماء الفلك والرياضـيات الإسـلاميين لمزيد من البحث والدراسـة. وربما على مدى أربعة قرون ظلت طبخة علم المثلثات تطبخ نظريا وعمليا، مصطلحات وتعريفات وعبارات وبراهين، حتى استقل هذا العلم عن الفلك مع نصير الدين الطوسي.

نـذكر بإيجـاز العلمـاء الـذين أسـهموا في هـذا التطور. فنـذكر أبـا جعفر الخوارزمي. ومعاصره أحمد بن عبد الله المروزي المعروف بحبش الحاسب (ح 770-870 م). وظهرت في أعماله الاقترانات المثلثية الأخرى: الظل وظل التمام والقاطع وقاطع التمام. وأبو عبد الله محمد بن جابر البتاني (235-317/850-929)، له زيج الصابي وكان زيجا مشهورا. وينسب إليه نسبة الظل، وجداول للجيب والظل وغيرهما. وتوصل إلى بعض العلاقات الجبرية المثلثية.

وللبيروني كتابان مفقودان شـرح فيهما جداول الخوارزمي وحبش. وجاء ابن يونس (ت399هـــ /1009م) في القاهرة وقلد حبش والبتاني. واسـتخدم طرائق "في داخل الكرة" في الزيج الحاكمي؛ الذي ألفه في أربعة أجزاء، جمع فيه أرصاد من قبله وأرصاده، وكان قد رصد كسوف الشمس سنة 367 هـــ / 978. استخدم الاقترانات المثلثية لكنه جعلها للأقواس وليس للزوايا. وحسب جداول الجيوب ابتداء من عشـر القوس لأربع منازل سـتينية. كما حسـب جداول ظل التمام. وتنسب إليه المتطابقة التالية

جا أ جتا ب = 1/2 جتا (أ + ب) + 1/2 جتا (ا – ب)

واكتشـف تزايد حركة القمر، واخترع الرقاص؛ سـابقا بذلك جاليليو بأكثر من خمسة قرون.

ودرس ثابت بن قرة مبرهنة منلاوس في "المجسـطي" بعناية فائقة. وبرهن حالاتها الثماني عشـرة المختلفة. وقدم أبو العباس الفضـل بن حاتم النيريزي (النصـف الثاني من القرن الثالث الهجري)، كما ذكر البيروني، طريقة

لحل مسائل القبلة. وهي "حسابات مبتكرة ومنجزة بوضوح بواسطة رباعي الأضلاع". وشهدت نهاية القرن العاشر الميلادي حركة تجديد قام بها أبو محمد حامد بن الخضر الخوجندي (ح 1000 م) والأمير أبو النصر محمود بن علي بن عراق (ت ما بين 408إلى 427/1018-1037) من حكام خوارزم قبل أخذها من قبل الغزنويين. وكان أستاذ أبي الريحان البيروني. وقد حملهما السلطان محمود الغزنوي معه إلى عاصمته غزنة. وأبو الوفاء البوزجاني وذكرناه في بند الحساب. وكان من العلماء الأفذاذ في بغداد. وكان أبو نصر وأبو الوفاء والبيروني اتفقوا على رصد خسوف للقمر في كاث وبغداد وخوارزم. وارتبط الخوجندي بالسدسية الفخرية التي بنيت في مدينة الري، قريبا من طهران، عاصمة الملك البويهي فخر الدولة. وكانت مدرجة بدقائق الأقواس، وعلوها زاد على عشرين ذراعا. وقد رآها أيضا إليها البيروني وكتب عنها. وأشار أيضا إلى المناقشات التي دارت بين علماء الري. واكتشف الخوجندي مبرهنة سماها "قانون الفلك" مبنية على قاعدة المقادير الأربعة. لكنه تخاصم مع أبي الوفاء على أسبقية الاكتشاف. واستفاد من أعمال الخوجندي عالم آخر من علماء الري هو كوشيار بن لبان، الذي ذكرناه في بند الحساب. وعدل مبرهنة الخوجندي وسماها "الشكل المغني". وكلمة الشكل عندهم هي مبرهنة عندنا. ويشمل الشكل المغني قاعدة المقادير الأربعة والعلاقة بين جيوب المثلث قائم الزاوية. وقدم أبو الوفاء قاعدة الظلال.

جا بَ/جاب = ظا أَ/ظا أ

أنجز أبو نصر الترجمة الأولى التامة لكتاب الأكر لمنلاوس. وكان أسلافه قد تحاشوا ذلك لصعوبات في المقالة الثالثة في هذا الكتاب. والنص اليوناني مفقود اليوم. كما أنه في كتاب السموت برهن من جديد قواعد مختلفة كان السجزي قد جمعها، بتطبيق مبرهنة منلاوس. لكن النص فيه غموض. مما دفع

أبا الوفاء إلى انتقاده لاستخدام رباعي الأضلاع والنسبة المركبة. فكتب أبو نصر رسالة القسي الفلكية وأهداها إلى البيروني عرض فيها الأفكار التي لم يستطع توسيعها في "السموت". وبعد ذلك بسنة استلم البيروني من أبي الوفاء المقالات السبع الأولى من كتاب "المجسطي". وأشار البيروني إلى ذلك في كتابه مقاليد علم الهيئة.

بدأت "الرسالة" بعرض المبرهنة العامة للجيوب: "نسبة جيوب الأضلاع في المثلث الكائن من قسي عظام على سطح الكرة، بعضها إلى بعض، على نسبة جيوب الزوايا التي تقابلها، بعضها إلى بعض والنظير إلى النظير". ثم أثبت أربع صيغ مختلفة وطبقها على مسائل "المجسطي".

(1) المبرهنة العامة للجيوب

جا أ /جا α = جا ب/ جا β = جا ج / جا γ

(2) العلاقة الخاصة بالمثلث قائم الزاوية (في ج)

جا أ /جا α = نق /جا ج

ثم علاقتان خاصتان بمثلث قائم الزاوية (في ج)

(3) جتا أ/جتاα = جا β/ جا ج

(4) 90° – أ = δب (90 – أ)، حيث δب ميل القوس س عندما يكون الميل الزاوي الأعظم للشمس مساويا لِ ب.

وفي المغرب الإسلامي برز عدد من علماء الفلك والرياضيات. لعل أشهرهم جابر بن أفلح الإشبيلي. أهم إنجازاته كتاب "إصلاح المجسطي". وهو لا يستخدم مفهوم الظل. واستعاض عن مبرهنة منلاوس بمبرهنات المثلث الكروي وقاعدة المقادير الأربعة. وتوجز المبرهنات 12 – 15 من الجزء الأول

من كتابه أهم إصــلاحاته. ونوجزها فيما يلي علما بأننا تفرض كل خطوطه أقواس من دوائر عظام.

مبرهنة 12: جا أ ج = جا ج هـ، جا أ د : جا د ز = جا أ ح : جا ح ب.

مبرهنة 13: في أي مثلث كروي أ ب ج،

جا ب ج : جا < أ = جا ج أ : جا < ب = جا أ ب : جا < ج

مبرهنة 14: في أي مثلث كروي قائم الزاوية في ب

جا < ا : جتا ج = جا د ج : جتا أ ب

مبرهنة 15: في أي مثلث قائم الزاوية في ب

جا < ا: جتا < ج = جا < ج . . .

المطلب الثاني: اقتران الظل والاقترانات الأخرى

يعجب الباحث من تأخر إدخال اقتران الظل مع كثرة المناسـبات الموجبة التي كانت تسـهل الحسـابات به. وبخاصـة، لأن حسـاب ارتفاع الشـمس في النصوص العربية الأولى كان يعتمد على وتر المثلث المحدد بشاخص المزولة، وبظل الشـاخص أي "قطر الظل". وهو قطعا الأفضـل لتعيين زاوية عرف ضلعاها. ونجد في زيج الخوارزمي (بداية القرن التاسـع) وزيج البتاني (نهاية القرن التاسـع) جدولا ذا منزلتين بالظلال الخاصـة بشـاخص مزولة طوله 12 إصبعا، أي أنه متعلق بالعلاقة α ←12cotα تبعا لمقادير الارتفاع بالدرجات. ولم يحو زيج حبش (منتصـف القرن التاسـع) جدولا بمقادير ظلال الشـمس. فقد حسـب الارتفاع باسـتعمال "قطر الظل التقليدي" لشـاخص مزولة طوله 12 إصبعا. ولكن هذا الزيج "يحوي المفهوم العام لظل القوس بما فيه تعريف الظل وجدول تطبيقاته المتنوعة". وتدل طريقة حبش في إدخال المفهوم على أنه

لم يأخذه عن غيره. مما يعطيه قصب السبق فيه.

وحبش من الجيل الذي درس "المجسـطي" بعد معرفته بطرق الهند. ومن سـوء الحظ أن أعماله لم تترجم إلى اللاتينية. لكن دراسـات البيروني جذبت الانتباه إليه. وأسوأ من ذلك ضياع كتاباته، ولم يبق منها إلا نسخة سيئة الخط من "زيج الممتحن" كتبها في أواخر حياته بعد سـنة 869 م. وكتابه مؤلف من قواعد وجداول. وتركيباته تختلف عن تركيبات بطلميوس.

المطلب الثالث: مؤلفات علم المثلثات

إن علم المثلثات بقي إلى مدة طويلة في رحم علم الفلك. لكنه من القرن العاشـر الميلادي دخل منعطفا جديدا. فقد ظهرت الاقترانات الأخرى غير الجيب، ووضعت جداول لها، وكتبت متطابقات تفيد في تطبيقها، إضافة إلى بعض التطبيقات غير الفلكية. "فقد أصـبح علم المثلثات يحتل مكانا مهما في المؤلفات الفلكية على شكل فصول للجيوب والأوتار والظلال وصيغ الحساب الكروي. وظهر الاهتمام أيضـا بحل المثلثات. وحلت دراسـة المثلثات نوعا ما محل العروض التقليدية لمبرهنة منلاوس"(ص 648). وقد ذكرنا عددا من هذه المؤلفات لعدد من العلماء، بعضـها لا يزال مفقودا نعرفه من الإشـارة إليه في مؤلفات أخرى أو تناول آخرين له بالشـرح والتعليق او النقد. ومن الطبيعي أن جل الاهتمام كان منصـبا على المثلثات الكروية. ومن هنا نفهم لماذا كانت الجداول المثلثية مكتوبة لأقواس الزوايا.

ذكرنا الخوارزمي، ربما كأول مؤلف اسـتعمل المثلثات أو اقتران الجيب في زيجه بعد أن مازج بين الأسـلوبين الهندي واليوناني. وذكرنا أهمية حبش الحاسب، معاصره إلى حد ما، وضياع أعماله. وأن ما بقي له "الزيج الممتحن" ليس في حالة جيدة. وأن شـروح البيروني لأعماله لا تزال مفقودة. وذكرنا

"زيج الصابي" للبتاني. ومن هؤلاء العلماء النيريزي. وله "طريقة لحل مسألة القبلة مبنية على مبرهنة منلاوس. وفيها حسابات مبتكرة ومنجزة بوضوح بواسطة رباعي الأضلاع". ويكتب عنه البيروني في مسألة الشكل القطّاع "وزاد في شرحه وتتبع العمل في أقسامه أبو العباس الفضل بن حاتم النيريزي وأبو جعفر محمد بن الحسين الخازن في شرح كل منهما لكتاب المجسطي". وأبو جعفر الخازن عالم خراساني عاش أيام ابن العميد (النصف الأول من القرن العاشر). كان فلكيا رياضيا مؤرخا. له شروح على أقليدس وبطلميوس وبقي جزء من شرحه للمقالة العشرة لأقليدس مبعثرة في ليدن وبرلين وفيض الله. ما يهمنا هنا هو عمله المسمى زيج الصفائح. قام فيه بحل المثلثات أيا كانت في أغلب الحالات، بما فيها الحالة التي تعطى فيها الأضلاع الثلاثة. وقد انتقده أبو نصر وتحدث عن أخطاء فيه. كما كتب البيروني عن علماء آخرين "وأفرد أبو الحسن ثابت بن قرة كتابا في النسب المؤلفة وأقسامها واستعمالها، وكتابا آخر في الشكل القطاع وتسهيل العمل عليه. وكثير من المحدثين كابن البغدادي وسليمان بن عصمة وأبي سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزي وغيرهم خاضوا في هذا العالم واعتنوا به. إذ كان العمدة في علم الهيئة حتى لولاه لما توصلوا إلى الوقوف على شيء مما ذكرناه". وربما كان البيروني يشير إلى مقالة في الشكل القطّاع لثابت بن قرة. والسجزي (340-415 هـ) له اهتمامات عديدة. ففي مكتبة في الباكستان وجدت "مجموعة مؤلفات أقليدس" تضم 30 رسالة قصيرة أكثرها للسجزي. منها ما ذكرناه في الهندسة "استخراج الموسطين وقسمة الزاوية المستقيمة بثلاثة أقسام متساوية "؛ وأخرى "كتاب في تسهيل السبل لاستخراج الأشكال الهندسية"، وحقق كليهما الدكتور سعيدان. وفي مخطوطة بانكي بور/ بتنه 2468 نجد رسالة أخرى للسجزي تهمنا هي رسالة الشكل القطاع. وذكرنا الخوجندي والسدسية الفخرية التي بميت في مدينة الري، وفحصها البيروني.

وفي هذه العجالة نعيد ذكر ابن يونس و"الزيج الحاكمي". ونذكر كوشيار بن لبان الجيلي (ح 1000). له "الزيج الجامع". وإسهامه في المثلثات يظهر في كتابه جدول الستين، فيه اكتشاف مبرهنة الجيب للمثلث الكروي، كما نبه على اقتران الظل. وله تجريد أصول تركيب الجيوب درس فيه الاقترانات المثلثية التي قدمها البتاني قبله. وله أزياج فيها الجيب والظل وظل التمام والجيب المنكوس مع جداول الفروق لثلاث منازل عشرية. ومخطوطاته بحاجة إلى دراسة. ونذكر الحسن بن الهيثم (355-431/965-1039). في أحد أعماله اهتم بتحديد القبلة. فإذا زاوية الانحراف λ عن خط الزوال الشرقي، بينما α عرض مكة المكرمة وβ عرض المكان الآخر، والفرق بين الطولين ل، فإن: ظتا λ = جا ل / (جاα جتا ل – جتاα ظاβ)

ونذكر أبا الحسن علي بن أحمد النسوي (النصف الأول من القرن الخامس/القرن العاشر). كان رياضيا فلكيا طبيبا. له الإشباع في شرح الشكل القطاع الذي قدمه بطلميوس في بيان إخراج الأوتار التي تقع على الدائرة.

نأتي إلى أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (362-440/972-1048). ولد في إحدى ضواحي مدينة كاث في دولة خوارزم من عائلة مغمورة. ذكرنا له كتاب مقاليد الهيئة. وكذلك إفراد المقال في أمر الظلال.

وله كتاب استخراج الأوتار في الدائرة.

نأتي الآن إلى نصير الدين الطوسي (1201-1274). أصله من طوس، لكنه درس في نيسابور. له باع طويل في الرياضيات والفلك. من خلال كتابه في الحساب الهندي "جوامع الحساب بالتخت والتراب". ومحاولته برهنة المصادرة الخامسة والشكل الذي استعان به ويسمى رباعي ساكري في "الرسالة الشافية في الشك في الخطوط المتوازية". ومن أهم كتبه وأوسعها انتشارا تحريره لكتاب أقليدس.. وفي الفلك عمل زيج الخاقاني. لكن عمله في

المثلثات يقارب عمل الخوارزمي في الجبر. فرسالته كشف القناع في أسرار القطاع التي كتبها سنة 1260 تعد أول كتاب يعلن فيه استقلال المثلثات عن الفلك.

في الأندلس نجد كتابا مخصصا للمثلثات؛ وهو كتاب مجهولات قسي الكرة" للقاضي أبي عبد الله محمد بن معاذ الجياني (989-بعد 1079).

المطلب الرابع: الجداول المثلثية

كانت الجداول الفلكية دوما مهمة لحل المسائل الفلكية والجغرافية، ولتحديد نسبة محيط الدائرة إلى قطرها. تعتمد دقة الحسابات الفلكية على دقة جدول الجيوب. وفي هذا الميدان برز العلماء الإسلاميون من قبلهم، بل وحتى أوربيين بعدهم بقرون. أولا، ما سبقهم من جداول الهند واليونان كانت لعلاقة الجيب. وجداول المجسطي أدق من جداول السند هند، ولكنها لا تتجاوز ثلاث منازل ستينية مدرجة بأنصاف الدرجات. فامتازت الجداول الإسلامية بإدخالها جداول اقترانات أخرى، وبدقة في اتجاهين: عدد المنازل والتدريج الأدق. وعمل الجداول، غالبا، ما يتطلب حسابات مكررة لمجموعة من الاقترانات المثلثية. ولتقليل الجهد المطلوب في الحسابات، حسب عدد من هؤلاء العلماء جداول لما نسميه اقترانات مساعدة. فمثلا في حساب جداول لحل مسائل في المثلثات الكروية، لجأ بعضهم إلى حساب جداول للعلاقات التي ترد كثيرا:

نق/ ظا α × ظا ε، قوس {نق/ظا ε × جاα}، حيث °22 2/1 = ε. (*)

ونذكر أن دقة أي جدول تعتمد على دقة جيب °1.

وقد استعمل حبش جداول مساعدة للعلاقات (*) مع نق = 60. وحسب أبو الفضل النيريزي هذه الجداول المساعدة حيث نق = 150. وسنرى أن أبا النصر

جعل نق = 1. واســتعمل ابن يونس جداول تعتمد على علاقات من اقترانين. وفي القرن الرابع عشــر، عمم الفلكي الدمشــقي محمد الخليلي طريقة ابن يونس للعلاقات التالية:

(1) ل (α، β) = جتاα/نق جا90 ،. . . ؛ 1 = β ،β ؛° 30 ؛ 55 ،. . . . . ، ؛ 1 = α ´ 21؛

(عرض مكة)، 31˚ ؛ 33˚ عرض دمشق.

(2) م (α، β) = نق/جا β × ظا α . متغيرات (1)

(3) ق (س، ص) = قوس جتا (جتا ص /س نق)، س = 1، . . .، 59˚ ؛ ص = 0˚، 1، . . .، ن(س)، حيث ن(س) أكبر عدد صــحيح يحقق س × نق لا تتجاوز جتا (ن(س)) .

ولعمل الجداول أو تطبيقها لابد من اللجوء إلى طرق الاســتكمال. وقد طبق بطلميوس والهنود الاســتكمـال الخطي. علمـا بـأن الكتـاب الهنـدي "خوندخدياكا" اســتعمل اســتكمالا من الرتبة الثانية. وقد عرف ذلك البيروني. وقد استعمل ابن يونس مثل هذا الاستكمال في "الزيج الحاكمي". وأخطأ في تقدير قيمة جا˚1. وهي عنده = 15، 11، 43، 49، 1؛2 والأدق 12، 43، . . . وهذا الجدول مدرج بأسداس الدرجات وذو أربع منازل ستينية.

نعود إلى حبش الحاســب الذي نقل جداول الأوتار من "المجســطي" دون تغيير. لكنه اســتخرج منها جدولا للجيوب مدرجا بأرباع درجات القوس مع عمود رابع مؤلفـا من 0 و30. وقـدم أبو الوفـاء طريقـة مختلفـة عم طريق "المجسطي". واستطاع حصر جيب 1/2˚ كما يلي

47، 57، 55، 24، 0؛31 > جا(1/2)˚ > 2، 52، 55، 24، 0؛31

وأخذ معدل العددين

جا(1/2)˚ = 55، 54، 55، 0؛31/24

وهي دقة أفضل بست مرات من دقة "المجسطي". وطبقها آخرون بعده، وهي موجودة عند محي الدين المغربي (القرن الثالث عشر) من علماء مراغة. أما البيروني في "القانون" فأراد أن يتجاوز الاستكمال الخطي إلى استكمال من الرتبة الثانية لكنه أخطأ في عدم الضرب بعامل (1/2) أمام الحد الثاني في معادلة الاستكمال.

نأتي إلى حساب الكاشي لجيب°1. أثبت، أولا، هندسيا أن جا 1° هو حل للمعادلة

س = 45×60/ (س^3 + 15×60 جا°3) (1)

والمجهول س يحقق 1؛2 < س < 1؛3. ويحسبه بالنظر إليه كما يلي

س = ل$_0$ + ل$_1$(1/60) +ل$_2$ (1/ 60^2) + . . . + ل$_{ن}$ (1/ $60^{ن}$)

واستعمل الكاشي العلاقة التالية

جا (3 α) = 3 جا α – 0،4؛0 (جا α)^3

وعندما α =1° تصير (2) جا (3°) = 3 جا (1°) – 4، 0؛0 (جا°1)^3، لكن

جا (3°) = 15، 28، 34، 59، 33، 24، 3؛8 (3)

وهي دقة سهل الوصول إليها من جيوب الفروق والأنصاف. وهكذا توصل إلى (1). ونعيدها

س = 0، 45/ (س^3 + 45، 3، 37، 53، 29، 6؛8، 47) (4)

معادلة تكعيبية من صيغة س^3 + ج = ب س

لحلها عدديا استخدم خوارزمية تتابعية. إذا اعتبرنا التقريب الأول س$_0$ = 0، يكون التالي س$_1$ = ب/ج. بشكل عام

$\text{س}_{\text{ن}} = \text{ب} / (\text{س}_{\text{ن}-1} + \text{ج})$

وهكذا يواصل الكاشي حساباته حتى المنزلة الستينية التاسعة، ويصل إلى:

جا 1° = 17، 26، 16، 44، 14، 11، 43، 49، 1؛2

وبالنظام العشري:

جا1° = 0.017402406437283571 0؛ (كل المنازل صحيحة. كم عددها؟)

وفي "الرسالة المحيطية" يجد الكاشي بدقة بالغة

2π = 6.283153071795865.

المطلب الخامس: المدارس

لم تكن المدارس اختراعا إســلاميا، فلا بد أنها وجدت مع ظهور الإدارات المدنية للممالك المختلفة، فصــارت المدارس المتخصــصــة جزءا من الحياة العامة. ولا ريب في أن المتعلمين حظوا بامتيازات مادية ومعنوية جعلت من كثير من الشباب يقبلون على التعليم.

ويمكن أن نخمن شيئا من نظام المدارس، وإدارتها ومناهجها من مقطوعة ترجمها ونشرها عالم المسماريات نوح كريمر سنة 1949، خمن تاريخها حوالي 2000 ق.م.

وفي العصــر الإســلامي، وجدت المدارس بمســتويات مختلفة، مثل الكتاتيب، ومدارس ملحقة بالمساجد. ثم أنشأ الوزير السلجوقي نظام الملك (القرن الحادي عشــر) "المدارس النظامية"، أولا في بغداد. وقد تم بناء أول مدرسة في بغداد سنة 459هـ/1066م، ثم انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي. وظهرت مدارس متخصــصــة بعلوم الفقه، وبالعلوم الصــحية، والعلوم النظرية والتطبيقية. وظهرت العلوم الأســاســية بشــقيها النظري والتطبيقي، كما نجد

ذلك في مدرسة مرصد مراغة التي أنشأها هولاكو للخواجا نصير الدين الطوسي في أذربيجان حاليا. فكان أساتذتها وطلابها مهتمين بالرياضيات والفلك والميكانيك، مع وجود مرصد مجهز بأفضل آلات الرصد المعروفة آنئذ. بل إن عددا من العلماء عدلوا آلات معروفة أو اخترعوا آلات رصد أخرى جهزت بها المراصد العامة والخاصة. وأنشأ تيمورلنك عددا من المدارس في سمرقند وهرات وبخارى على نمط "الكلية"؛ أي كمجمع من المباني للتدريس والإقامة والمكتبة والمسجد. بل إنه أنشأ 50 مدرسة في بلاد ما وراء النهر، و10 في خراسان، و9 في بلدات أخرى. وبنى ابنه رخ شاه مدرسة عظمى في هرات، تمت سنة 1420. وعلى نمط مدرسة مرصد مراغة، التي ضعفت مع نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، أنشأ أولغ بيه، حفيد تيمورلنك، حاكم سمرقند، مدرسة سمرقند وجهزها بمرصد كان الأعظم في مراصد العالم حتى زمنه. اختلف المؤرخون في سنة إتمامه (1421 أو 1422 أو 1424). واستقدم لهذه المدرسة شيخ علماء عصره جمشيد غياث الدين الكاشي. وكان أولغ بيه قد زار مرصد مراغة وهو يافع، فتأثر به معجبا. وكان يختبر المعلمين بنفسه قبل تعيينهم. وأول من نجح عنده كان محمد الخوفي. وبعد موت الكاشي سنة 1429 نبغ قاضي زادة، الذي صار المشرف على المدرسة. ومن أساتذتها أيضا، علي القوشجي وسيد المنجم ومعين الدين الكاشاني وعلي شير النوائي وغيرهم. ثم قتل أولغ بيه على يد أحد أبنائه سنة 1448. وتفرق عدد من أساتذة المدرسة، وذهب عدد منهم إلى الدولة الإسلامية الجديدة، دولة آل عثمان. لكن المدرسة بقيت مفتوحة.

وتعتبر جامعة القرويين، وكانت جزءا من جامع القرويين، في مدينة فاس، أقدم الجامعات في العالم الإسلامي، إذ أسست سنة 859 م. وقد أسستها فاطمة الفهرية، ابنة تاجر ثري هو محمد الفهري. أما (جامعة) الأزهر فقد

أسست سنة 975 م في القاهرة على يد الفاطميين. واشتهرت في بغداد (الجامعة) المستنصرية التي أنشأها الخليفة المستنصر بالله سنة 1233 م. وكانت تدرس الموضوعات اللغوية والدينية والدنيوية مثل الطب والرياضيات وغيرها.

المطلب السادس: الرياضيات الإسلامية وأوربة: أخذا وتأثيرا

من المسلمات لدى مؤرخي العلوم بشكل عام، ومؤرخي الرياضيات بشكل خاص أن الأوربيين أخذوا من النتاج العامي الإسلامي وتأثروا به. ولا ينكر أحد أن الأندلسيين كان لهم القدح المعلى في هذا الميدان. أما عن التفاصيل الدقيقة، فالأمور مختلفة يشوبها اضطراب وتخلخل وتداخل.

يوجد إجماع من نوع ما على أن الأوربيين ترجموا كتب محمد بن موسى الخوارزمي في الحساب أولا ثم في الجبر.

أما في الهندسة فالتأثير العربي واضح لأن المؤلفين الأوربيين الذين نظروا في كتب الحساب الإسلامية قد وجدوا أمامهم الترجمات العربية لكتاب لأقليدس "الأصول". وربما كان أدلارد من باث أول من ترجم النسخة العربية. كما ترجمها آخرون منهم هيرمان الكورنثي (1140-1150) وجيرارد الكريموني (ح 1114-1187). كما ترجم أدلارد شرح النيريزي. ولفيبوناكشي كتاب في الهندسة العملية. وفيه ما لا يقل عن 22 قضية عولجت بطريقة مشابهة لما في نصوص عربية كما بين ذلك وبكه. كما تجاوز تأثير أرشميدس المترجم من العربية القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وأسهم كتاب أرشميدس "قياس الدائرة" وكتاب بني موسى Verba Filiorum Moysi في تعريف الغرب بقضايا المقالة الأولى من كتاب "الكرة والأسطوانة" لأرشميدس. وتوجد نصوص في مخطوطات "الكلية الملكية للفيزيائيين" في لندن تأثيرا قويا لكتاب "المنظر"

لابن الهيثم. واستفاد مؤلف De Triangulis من تثليث الزاوية، كما استفاد من كتاب بني موسى آنف الذكر واستفاد منه فيبوناكشي في كتابه "الهندسة العملية". وحفزت الترجمات اللاتينية عددا كبيرا من طلاب العلم في أوربة للاطلاع على مزيد من المؤلفات العربية باللغة الأصلية. فقد عدت معرفة اللغة العربية شرطا من شروط التقدم العلمي في أوربة حتى القرن السادس عشر.

أما في الجبر فيكتب الأستاذ آلارد " هناك أمور جعلت اهتمام المؤرخين بمصادر وشهود انطلاقة الجبر في القرون الوسطى يتراجع إلى المرتبة الثانية أو يقتصر على دراسات جزئية". كان روبير دو شستر ترجم كتاب الجبر للخوارزمي سنة 1145. والنص المنشور من قبل الألماني يوهان شوبل في القرن السادس عشر فيه إضافات وتعديلات غير موجودة في النسخة العربية. واتفق على الاعتراف بجيرار الكريموني كمؤلف للنسخة الثالثة التي نشرت سنة 1838. وتوجد ترجمات جزئية أخرى واستفادات من الجبر أضيفت إلى كتب الحساب عند آخرين. وكتاب Liber Abaci لفيبوناكشي فيه نقل قوي عن الخوارزمي وأبي كامل والكرجي. وقد ساح فيبوناكشي في عدة بلاد إسلامية وكان يعرف العربية ولم يكن أمينا يذكر مصادره. ومن كتب في الجبر كان متأثرا بوضوح بالجبر العربي، وبخاصة فيما يتعلق بالمعادلات من الدرجة الثانية وتصنيفاتها حتى وصلت عند بييرو دلاّ فرنشيسكا إلى 61 صنفا. ولم يترجم الجزء الخاص بالمساحات أو المواريث في كتاب الخوارزمي. والمؤلفات الرياضية الأوربية ذات التأثير في القرن الثالث عشر أخذت من الخوارزمي وأبي كامل ومؤلف عربي غامض (أبي بكر)، إضافة لكتاب عبري ترجم إلى اللاتينية لأبراهام برحيا المعروف بلقب سافاسدورا. وهذا الكتاب العبري له مصادر عربية. لكن الأوربيين لم يستوعبوا التطويرات في الجبر التي جاءت بعد أبي كامل. ولم يعتبروا الجبر علما مستقلا، بل بقي ملحقا

بالحساب. ويعتبر فرانسوا فيتا (1540-1603) من أرسى أسسا جديدة للجبر في أوربة. وسنرى ذلك في المقالة التالية.

المطلب السابع: عصر الانحطاط العلمي

مع منتصف القرن السادس عشر الميلادي، بدأت أوربة نهضتها العلمية (وغيرها)، وبدأ العالم الإسلامي في الجمود، وما تبع ذلك من هزائم عسكرية، ونقصان الأرض لقوة الإسلام، والاحتلال الأجنبي، ومن ثم الذل والتبعية، والتجزئة والتنافر والتعادي. ودخل العالم الإسلامي عصر الانحطاط (العلمي وغيره).

ومع أن نفرا من الباحثين يرفضون مقولة الانحطاط؛ كما يدافع الباحث لطف الله قاري في كتابه الإنجازات العلمية للعرب والمسلمين في القرون المتأخرة. إلا أن في دفاعه كثيرا من نقاط الضعف. فهو يتناول حقبة طويلة ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي؛ كما أن استشهاداته قليلة مقارنة بالحقبة الطويلة التي تناولها؛ كما أنه يعترف أنه بعد القرن السادس عشر الميلادي لا نجد مبدعين على المستوى العالي مقارنة مع المبدعين في قرون سابقة، أو مع المبدعين في أوربة المعاصرة آنئذ. ولكاتب هذه السطور بحث في الانحطاط العلمي في الحضارة الإسلامية على مدى القرون الثلاثة (1500-1800)؛ نوجزه فيما يلي.

نلاحظ أولا الانهيار السياسي في رقعة العالم الإسلامي منذ القرن الثاني عشر الميلادي. تمثل ذلك في كثرة الدويلات التي مزقت الأمة الإسلامية ورقعتها الجغرافية. وعدا عن الأعداء الخارجيين من صليبيين وتتار وإسبان وبرتغال، فقد زاد التنافس والتشاحن بين الحكام، وزاد التقاتل، وسفك الدماء وضياع الثروات. كما تبع ذلك انهيار اقتصادي بسبب كثرة الحروب، وانهيار

التجارة الخارجية مع أوربة بسبب اكتشاف رأس الرجاء الصالح، وجرأة المغامرين الأوربيين، وكذلك اكتشاف الأمريكتين. ولم يساهم صعود العثمانيين، وتوسيع رقعة حكمهم لمصر وسورية والجزيرة في تقدم هذه البلاد لأسباب عديدة. إذ لم يهتم العثمانيون بالعلم والتقدم التكنولوجي اهتمامهم بالقوة العسكرية المحضة.

وعلى خلاف أسباب النهضة الأوربية العلمية، تحجر العالم الإسلامي في قوالب جعلته يتأخر في ميدان السبق والتنافس. فمنذ عصر الازدهار العلمي الإسلامي قبل قرون، بقي النشاط العلمي فرديا شبه منعزل، دون أن يؤدي إلى تراكم علمي يبني الآخر على ما بنى سابقوه. ولم تدخل المطبعة استانبول إلا بعد أكثر من قرنين على اختراعها. ولم يحاول علماء العلم الإسلامي الاتصال مع علماء أوربة وعلمهم، وما ترجم من كتبهم كان قليلا جدا. ولم تنشأ في هذا العالم مؤسسات علم وتعليم متقدمين، ولم توجد مراكز بحث علمي. ومن ثم لم توجد بيئة علمية مناسبة ترعى العلم والعلماء وتعمل على تقدم البحث والعلم.

تاريخ الطب في المغرب والأندلس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطب في بلاد المغرب والأندلس والطب الإسلامي أو ما يقال الطب العربي الإسلامي أعم منه لأنه أكثره، والغالبية العظمى منه باللغة العربية، فموضوعه كبير جدا، وقد أُلفت الكتب الكثيرة -ولله الحمد- في هذا المجال، لذلك فإني سأحاول أن أذكر بعض الأمور التي تهم أكثر ما تهم الباحثين في هذا المجال، والتزاما بمقولة صاحب الجوهرة: "من التطويل كلت الهمم فصار فيه الاختصار ملتزم"، لذلك فقط قسمت حديثي هذا إلى أربعة محاور أساسية:

المحور الأول: أتحدث به عن أطباء المغرب، أي بلاد شمال إفريقيا باستثناء مصر؛ تونس والجزائر وليبيا والمغرب وموريتانيا. ما يسمى ببلاد المغرب العربي.

المحور الثاني: سأتحدث فيه عن أشهر الأطباء وإنجازاتهم، الذين عاشوا في الأندلس، ومنهم من ترك الأندلس وذهب إلى دول أخرى، وحتى لا يكون بحثي فقط مقتصرا على موضوع تراجم الأطباء فقد خصصت محورين للحديث عن كتابين هامين أعتقد أنه من الأجدر الإشارة إليهما، أولهما كتاب "عمل من طب لمن حب" لابن الخطيب الأندلسي، وأيضا كتاب " الاستقصاء والإبرام في علاجات الجراحات والأورام " للقربلياني الأندلسي أيضا.

---

(1) أ.د/ اعبد الناصر كعدان. أمريكا

المحور الأول: أطباء المغرب:

إن أهم المصادر التي استخدمتها في هذا المحور هي مصادر كثيرة، منها على سبيل المثال ابن جلجل، فسأتحدث عنه وعن كتابه الهام "طبقات الأطباء"، وأيضا القفطي، وابن أبي أصيبعة الطبيب الدمشقي وكتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، وكتاب أحمد عيسى بك المصري، والذي يعتبر ذيل "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"؛ إذ أن ابن أبي أصيبعة ترجم حتى سنة 625 هـ، ومن بعد ذلك قام أحمد عيسى بك بترجمة أشهر الأطباء حتى بداية القرن الماضي، القرن الذي عاش فيه. وأتناول أيضاً بعض المراجع للمعاصرين، وعلى رأسهم المؤلف المغربي العربي الخطابي في كتابه "أطباء الأندلس"، وكمال السامرائي العراقي في كتابه "مختصر تاريخ الطب العربي"، إضافة إلى الأردني زهير حميدان في كتاب "أعلام الحضارة الاسلامية".

فهذه أهم المراجع التي اعتمد عليها هذا البحث، إضافة الى بعض أبحاثي التي كنت قد أجريتها خلال مسيرتي الأكاديمية، والتي تمتد أكثر من ثلاثين عاما في مجال تاريخ الطب العربي الاسلامي.

في هذا المحور الخاص بأطباء المغرب يجب أن أشير إلى أن حركة الطب في المغرب تأخرت قليلاً عما كانت عليه في المشرق، والسبب في ذلك أن الخليفة المأمون أسس بيت الحكمة في بغداد، وبتأسيس بيت الحكمة ابتدأت الحركة الفكرية في هذا المكان، وابتدأت تراجم أمهات المراجع الطبية وخاصة الإغريقية منها، والمكتوبة باللغة السريانية أو الإغريقية وترجمت إلى اللغة العربية. ومن بعد ذلك شاهدنا حركة تأليف واسعة في المشرق العربي.

بعد ذلك هذه الحركة انتقلت إلى المغرب العربي ثم إلى إسبانيا. فعندما نذكر تاريخ الطب العربي أو الإسلامي في المغرب نذكر أشهر الأطباء، وأولهم

إسحاق بن عمران توفي سنة 294 هـ، وهو طبيب بغدادي ترك بغداد وأتى إلى القيروان بناء على دعوة تلقاها من الأمير الأغلبي الثالث؛ إلا أنه بعد فترة من مكوثه هناك غضب عليه وأمر بحبسه ثم قتل وذلك سنة 294 هـ.

ولا شك أن هذا الطبيب كان مسلما وكان يعاين مرضاه فيما ذكره ابن جلجل في مكان عام، وأشهر مؤلفاته هي "نزهة النفس"، و "الماليخوليا" " وغيرها، إضافة إلى بضع مقالات في مجال الطب. والطبيب الآخر في المغرب هو إسحاق بن سليمان الإسرائيلي المتوفى سنة 321 هـ.

ويجب أن نفرق بين ما كتب بشرق العالم الإسلامي وغربه، ونحن نعلم أن أول كتاب طبي موسوعي شمل كل المعلومات الطبية المعروفة وقتئذ هو الذي ألفه علي بن سهل ربّان الطبري والمتوفى سنة 255 هـ، الذي ألف كتاب "فردوس الحكمة"، والذي يعتبر أول موسوعة طبية كتبت باللغة العربية، فقد كتب في المشرق العربي، أما إسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي توفي في سنة 321 هـ، فلم يأت إلا بعد حوالي 100 عام من وفاة علي بن ربّان الطبري، كما نشير إلى أن كتاب "فردوس الحكمة" دخل بلاد المغرب بعد هذه المائة سنة، إضافة إلى ما كتبه الرازي أيضاً المتوفى 313 هـ. فمقارنة تاريخ وفاته مع تاريخ وفاة إسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي توفي بعد الرازي نعلم أن من المحتمل أن إسحاق بن سليمان قد استفاد مما ألفه الرازي؛ إلا أنه بالتأكيد قد استفاد من كتاب علي بن ربّان الطبري في كتابه "فردوس الحكمة"، والرازي كما هو معلوم كتب كتبا كثيرة جداً، أشهرها كتاب "الحاوي".

ثم يأتي كتاب المنصوري، وهو موسوعة كاملة في الطب، إضافة إلى بعض الكتب الأخرى لا يسع المجال لذكرها.

وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي السابق هو أحد الأطباء والفلاسفة اليهود الذين عاشوا في العالم العربي وقتئذ، وكان عمل كحالاً بالبداية، ثم طبيباً

للإمام عبد الله المهدي الفاطمي، وقد ترك لنا عدة كتب، أشهرها كتاب "الحميات" الذي يتألف من خمس مقالات، والكتاب لم يصل إلينا إلا أنه أشار إليه الزهراوي في المقالة الثانية من كتابه "التصريف" الذي سنأتي على ذكره، كما قد ذكره علي بن رضوان الطبيب المصري، فاقتبس بعض المواد من كتابه هذا، وله كتب أخرى منها "الأدوية المفردة والأغذية"، وله كتاب في البول، وكتاب "مرشد الأطباء.

ولعل الطبيب ابن الجزار القيرواني هو أشهر أطباء المغرب العربي، أو من أشهرهم، فهذا قد عرف بسبب الكتب التي كتبها فقد زاول مهنة الطب، وألف العديد من الكتب، وعلى رأسها كتاب "زاد المسافر وقوت الحاضر"، وهذا الكتاب يقع في مجلدين اثنين، ورُتبت مواضيعه في سبع مقالات تبحث في مختلف أمراض أعضاء الجسم، كالكبد والكلية وأعضاء التناسل وأمراض الجلد إلى آخره، وهذا الكتاب يشتمل على وصفات طبية كثيرة، وهذا الكتاب ترجم إلى اللغة اللاتينية من قبل القسطنطين الإفريقي، واستفاد منه الغرب في نهضتهم الأوروبية، ولحسن الحظ أن هذا الكتاب موجود لدينا، وتم تحقيقه من قبل عدد من المحققين كأمثال جمعة الشيخة وزملائه، فقد قاموا بتحقيق هذا الكتاب. وعنوان الكتاب "زاد المسافر" لابن الجزار قد سبقه إليه الطبيب البغدادي أحمد السرخسي المتوفى سنة 280 هـ، أي قبل مائة سنة من حياة ابن الجزار.

ولابن الجزار أيضا كتاب هام تحت عنوان "طب الفقراء والمساكين"، وهذا الكتاب ألفه كما يقول لمن يتعذر عليه استدعاء الطبيب، أو لمن يحتاج لاستشارة طبية سريعة، وقد جعله مختصرا، فبسط فيه المعلومات ليكون في متناول الأشخاص العاديين، وهذه الفكرة قد سبقه إليها أبو بكر الرازي الذي ألف كتابا مشابها له، وعرف أيضا باسم "طب الفقراء"، ولحسن الحظ فكتاب

"طب الفقراء والمساكين" لابن الجزار القيرواني قد تم تحقيقه في إيران من قبل محققين كآل طعمة، وقد قدم له صديقنا رحمه الله المحقق الإيراني الدكتور مهدي.

فهذان الكتابان يعتبران من أهم كتب ابن الجزار، إضافة إلى كتاب في مجال علم الأدوية وهو كتاب "الاعتماد في الأدوية المفردة"، وقد صنف ابن الجزار في هذا الكتاب الأدوية بحسب طبائعها، فهذا الكتاب أيضا قد تم تحقيقه من قبل أخينا إبراهيم بن مراد من تونس، وهو تحقيق جيد ممتاز ومتوفر الآن بين أيدينا، وأيضا له كتاب "البغية في الأدوية المركبة"، وكما سبق أن كل أو أكثر كتب ابن الجزار القيرواني قد ترجمت إلى اللغة اللاتينية.

المحور الثاني: أطباء الأندلس

الطب في الأندلس بدأ متأخراً بالمقارنة كما ذكرنا مع أطباء المشرق، وهذا ما بيّنه القاضي سعد الأندلسي الطليطلي الذي توفّي في سنة 463 هـ قائلا: "أما صناعة الطب فلم يكن بالأندلس من استوعبها ولا لحق بأحد المتقدّمين فيها وإنما كان غرض أكثرهم من علم الطب قراءة الكنانيش المؤلفة في فروعه فقط ودون الكتب المصنفة في أصوله، مثل كتب أبقراط وغيرها".

إلا أنه يمكن أن نقول أن الطب الأندلسي في العصر الذهبي ابتدأ مع الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي شجع على استجلاب المؤلفات الموجودة في المشرق العربي، ويمكن القول إن أكثر المؤلفات الطبية سواء الإغريقية أو المشرقية منها التي كتبها الأطباء المسلمون كعلي بن ربّان الطبري أو علي بن عباس الأهوازي أو الرازي قد أتوا عليها أو أدخلت إلى الأندلس زمن عبد الرحمن الناصر، وكثير من يذهب إلى أن عهد هذا الخليفة عبد الرحمن الناصر

هو شبيه بعهد الخليفة هارون الرشيد في بغداد، وابنه الحكم المستنصر أيضا يشبه بالخليفة المأمون الذي أسس بيت الحكمة في بغداد.

خلال هذه الفترة شـهدت الأندلس عصـراً ذهبياً في مجال الطب، وأول الأطباء الذين يمكن الإشـادة بهم هو سـعيد بن عبد ربه الأندلسـي الذي توفي سـنة 329 هـــ، وذلك بعد الطبري بمائة سـنة، فلا شـك أنه اطلع على ما كتبه الطبري في كتابه "كامل الصـناعة الطبية". وسـعيد بن عبد ربه له العديد من المؤلفات، فقد كان طبيباً وشـاعراً، ومن أشـهر مؤلفاته "كتاب الدكان". وهو مأخوذ من اللغة الفارسـية أو الهندية، وتعني الصـيدلية، فهو كتاب في مجال الصـيدلة. وهو أول كناش أقربادي. وكلمة الأقربادي تعني مجال الأدوية المفردة.

وهذا الكتاب يتألف من 17 باباً. وقد سعى مؤلفه إلى أن يذكر فيه جميع ما ينفع تحضيره من أشربة ومربيات ومعاجين وأشياف وأفحال إلى غيرها من الأدوية، فلهذا المؤلف أهمية تاريخية، لأنه يذكر بعض الأشـكال الصـيدلانية بصورة دقيقة، وقد نقل عنه الكثيرون واستفادوا منه، وعلى رأسهم الزهراوي كما ذكر في كتابه "التصريف".

الطبيب الثاني الأندلسـي هو يحيى بن إسـحاق، وكان أحد وزراء الخليفة عبد الرحمن الناصر، وهو المتوفى في سنة 350 هـ، وقد وضع كناشا في الطب يشـمل على خمسـة أجزاء كتبت على طريقة علماء مدرسـة الإسـكندرية، أي السـؤال والجواب، ويعتقد أنه أول مؤلف طبي أُلف باللغة العربية على طريقة السؤال والجواب.

وكما ذكرنا أن من الأطباء المشـهورين أيضـا عريب بن سـعيد القرطبي، وكان كاتبا للخليفة الناصر وابنه المستنصر، وله كتاب مشهور جدا وهو "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" وضعه حوالي سنة 345 هـ، ويمكن اعتبار

هذا الكتاب أول كتاب طبي أندلسـي يبحث بطريقة علمية في تطوير الجنين وأحوال الولادة وتدبير الأمهات والأطفال، أي أنه كتاب متخصص في علم التوليد وأمراض النسـاء من كل جوانبه بما فيه الأغذية التي يجب أن تقدم للأم والأطفال في مراحل النمو الأولى.

ومن الأطباء ابن جلجل المتوفى حوالي سنة 400 هـ، معروف بابن جلجل، وهو سليمان بن حسان الأندلسي، ولد في قرطبة، وكان طبيباً. وأكثر ما يعرف ابن جلجل بكتابه "طبقات الأطباء والحكماء"، والذي تكلم فيه عن نشأة الطب عند اليونان، ثم انتقال هذا العلم إلى البلاد الإسـلامية، وظهور الأطباء المشهورين في العراق، ومصر، والمغرب.

وقد نقل عن هذا كتاب ابن جلجل كل من القفطي المتوفى سنة 646 هـ، في كتابه "إخبار العلماء بأخبار الحكماء"، و أيضا ابن أبي أصيبعة الدمشقي المتوفى سـنة 669 هـ في كتابه الشهير والذائع الصيت "عيون الأنباء في طبقات الأطباء".

ولحسـن الحظ فإن كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل قام بتحقيقه من مصر فؤاد سيد ونشر في مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقي بالقاهرة في عام 1955م، ونشير إلى أن ابن جلجل ليس مترجما فقط للأطباء بكتابه هذا "طبقات الأطباء والحكماء" فقد كتب أيضاً كتاباً في تفسير أسماء الأدوية المفردة التي ورد ذكرها في "كتاب الأعشـاب" لودسـكوريدوس، وهو الكتاب الأول الذي تعرف إليه الأطباء والعلماء العرب وترجم إلى اللغة العربية، كما لابن جلجل أيضـا كتاب "مقالة في الأدوية المفردة" التي لم يذكرها ودسكوريدوس.

ثم هناك الطبيب الشهير أبو القاسم الزهراوي المتوفى سنة 404 هـ، وأبو القاسم الزهراوي وكانت رسالة الدكتوراه التي قدمتها في مدينة حلب 1992م

منذ حوالي أكثر من 30 سـنة كانت تحت عنوان "الجراحة عند الزهراوي"، وفصلت وأسقطت الإسقاطات الحديثة على ما ذكره الزهراوي، وقد ركزت على مدى استفادة الغرب خصوصا في بداية النهضة الأوروبية من هذا الكتاب الذي ترجم إلى لغات عديدة بما فيها اللغة اللاتينية التي ترجم إليها باكرا، إضافة إلى لغات عديدة وأخرها كان اللغة الروسية، واللغة الإنجليزية التي قام بترجمتها في معهد "ويلكم" لتاريخ الطب في بريطانيا في لندن كل من سبينك و لويس بترجمة هذه المقالة الثلاثون لكتاب التصريف إلى اللغة الإنجليزية.

وأبو القاسم الزهراوي في الحقيقة أول من كتب عنه هو الطبيب الفرنسي المستشرق لوسيان لوكلير، وهو الذي عرفنا على أهمية الزهراوي كجراح فقط، والزهراوي له كتاب وحيد وهو كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف"، وهو كتاب طبي موسوعي شمل الكثير من المواضيع الطبية، وشهرة الزهراوي أتت من المقالة الثلاثين من هذا الكتاب التي خصصها لمجال الجراحة، وعندما تذكر الجراحة في القرون الوسطى فالزهراوي يعتبر أمير الجراحين، أو هو رائد علم الجراحة في القرون الوسطى، فالكثير من الجراحين الأوروبيين استفادوا من كتابه وألفوا في علم الجراحة، والبعض منهم أشار إلى اسم الزهراوي في كتاباته بأنه اقتبس الكثير من المعلومات عنه، ولا يسع المجال للحديث عن إنجازات الزهراوي وخاصة في مجال الجراحة، ونشير إلى أن الزهراوي لم يقتصر فقط على مجال علم الصيدلة، والسبب في ذلك أنه قد خصص المقالة الثالثة حتى الثامنة والعشرين تحدث فيها عن مختلف الأشكال الصيدلية التي كانت معروفة في زمانه وعن طريقة تحضير الأدوية والعقاقير التي تدخل في تركيبها ومجال استعمالاتها وحفظها، وذلك لا يقل عما ذكره في مجال الجراحة؛ إلا أنه اشتهر أكثر في مجال الجراحة، وفي

معهد التراث العلمي العربي نجد أن بعض الطلاب نالوا درجات الماجستير والدكتوراه من خلال تحقيق بعض مقالات الزهراوي في مجال علم الصيدلة، وقد قام بهذا التحقيق خصوصا الصيادلة خريجو كلية الصيدلة، لنكتشف من خلال ذلك أن الزهراوي أنجز الكثير في هذا المجال.

والمقالة الثامنة والثالثة والعشرون هي في مجال الصيدلة، وترجمت إلى اللغة اللاتينية وطبعت في مدينة البندقية في سنة 876 هـ، وانتشرت بعد ذلك في أوروبا، وكانت تدرس في بعض الجامعات الأوروبية.

والمقالة الثلاثون من كتاب التصريف كما ذكرنا كانت سبب اشتهار الزهراوي، ليس فقط لأنه تحدث فيها عن الجراحة، بل بسبب الأدوات الجراحية التي ذكرها في هذا الكتاب، فهو عندما يذكر عملاً جراحياً على سبيل المثال استئصال التآليل من الأجفان في العين أو ما يسمى بالبردة فهو يقوم برسم الأداة أو المشرط التي تستخدم لهذه العملية، ليس فقط المشرط، فهو يشير برسم الى المعدات التي تستخدم في العين لتسهيل إجراء العمل الجراحي، فكل عمل جراحي يقوم فيه برسم هذه الأدوات الجراحية التي كان يستخدمها، وهذا من أهم ما اشتهر به كتاب "التصريف".

وللأسف أعمال أخرى للزهراوي تعزى إلى أطباء غربيين، فعلى سبيل ما يسمى بالجراحة تسمى وضعية ترنديلومبورغ، والتي وصفها عالم ألماني من حوالي أكثر من مئة عام، وتسمى باسمه الآن ترنديلومبورغ position of the patient، وهي أن الجراح يقوم بوضع المريض بوضعية ترنديلومبورغ، وهي التي يكون فيها الرأس إلى أسفل والساق إلى أعلى، وبهذه الوضعية في العمليات الجراحية للبطن يسهل على الجراح إعادة الأمعاء إلى جوف البطن، ويقوم بتعديل طاولة العمليات، بجعلها مائلة، فيطلب من الممرضة أن تجعل المريض بوضعية ترندي لومبورك. والزهراوي تحدث عن هذه الوضعية تماماً

عندما تحدث في فصل عن الجروح التي تعتري البطن خاصة بسبب السهام أثناء المعارك، فيقول أن هذه الجروح وعندما تنتبج الأمعاء كيف يسهل إرجاع هذه الأمعاء إلى داخل البطن بوضعية المريض هذه.

وهناك كثير من المسائل كان للزهراوي السبق فيها لا يتسع المجال للحديث عنها. ونشير إلى إنجازاته في علم التجميل، ولحسن الحظ فمنذ حوالي سنتين في الولايات المتحدة قد نشرت مع بعض الأطباء المختصين في علم التجميل Cosmetic Surgery وفي احدى المجلات الأمريكية المتخصصة في مجال علم التجميل نشرنا بحثاً عن دور الزهراوي في مجال علم التجميل.

وبعد الزهراوي هناك ابن وافد الأندلسي الذي ألف كتاباً في علم الأدوية المفردة، وترجم إلى اللغة اللاتينية، وألف أيضاً كتاباً في طب العيون، قام بتحقيقه المرحومان الدكتور ظافر الوفائي والدكتور رواس قرعجي، فالدكتور ظافر الوفائي أخصائي العيون، والدكتور رواس قرعجي عالم في الشريعة ودكتور في علم الفقه وله باع طويل في مجال التحقيق، ومما حقق هذا الكتاب "كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر".

ومن الأطباء المشهورين عائلة بني زهر، فأحد الطلبة في حلب أنجز رسالة ماجستير كاملة تحت عنوان "عائلة بني زهر في الطب"، وقد درسنا أن عدة عائلات كان لها دور في مجال علم الطب، ابتدأنا بعائلة آل باختيشوع ودورها في تطور الطب في العراق، وقد عملوا في بيت الحكمة، وكانوا أطباء لعدد من خلفاء بني العباس، إضافة إلى عائلة بني زهر التي عاشت في الأندلس، وقد تم حصر ستة أطباء من بني زهر، وعلى رأسهم أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء ابن زهر الأندلسي، أو ما يُعرف عند الغرب أفنزور، وهو من أشهر عائلة بني زهر في مجال الطب بسبب مؤلفه الشهير كتاب "التيسير

في المداواة والتدبير"، والذي قام بتحقيقه المرحوم الدكتور ميشيل الخوري، وقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الألسكو بنشره عام 1404 هـ، وهذا الكتاب من الأهمية بمكان، فيتألف من جزأين وملحق به، ولا يسع المجال لذكر تفاصيل أكثر عن هذا الكتاب.

ومعروف لدى الباحثين من الأطباء اللامعين أيضاً ابن رشد، بالرغم أنه من أشهر الفلاسفة في الإسلام، ومعروف عنه فلسوف أكثر منه طبيب، له كتاب "الكليات في الطب"، قام بتحقيقه أحمد فريد المزيدي.

ومن الأطباء المشهورين أيضا الغافقي الذي توفي سنة 561 هـ، والغافقي هو أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي، والمنسوب إلى مدينة غافق الواقع بالقرب من قرطبة، وهو أحد أطباء الأندلس المشهورين. فله كتاب "الجامع في الطب في الأدوية المفردة"، وقد تكلم عنه ابن أبي أصيبعة في كتاب "عيون الأنباء"، امتدح هذا الكتاب قائلاً: "إن كتابه في الأدوية المفردة لا نظير له في الجودة، وقد استقصى فيه ما ذكره ديسكوريدوس وجلينوس بأوجز لفظ وأتم معنى".

وبعد هذه المرحلة شهدنا تراجعا وضعفا في الخلافة الأموية في الأندلس دفعت الكثير من الأطباء والعلماء الذين نشأوا أولا في الأندلس إلى الهجرة خارج الأندلس فقاموا بالهجرة إلى بلاد المشرق العربي.

ولعلنا نذكر في هذا المجال أو أهم ما يذكر في هذا المجال هو ابن ميمون الأندلسي المتوفى حوالي 601 هـ، وابن ميمون لا شك أنه رجل دين، فكان حخاما يهودياً، ألف كتاباً في مجال الديانة اليهودية وسماه "دلالة الحائرين"، وللأسف حتى بعض المتزمتين من اليهود أنكروا عليه هذا الكتاب وسمّوه بدل دلالة الحائرين ضلالة الحائرين. وله عدة كتب في مجال الطّب، وقد قدمت في مؤتمر بجامعة كامبردج، دراسة عن مخطوط له، وهو تحت اسم "شرح

أسماء العقار".

وطبيب آخر هو حقيقة في غنى عن التعريف ابن البيطار، فابن البيطار يعتبر أول أو من أشهر وأبرز العلماء والصيادلة العرب المسلمين في مجال علم الصيدلة، وذلك من خلال كتابه المعروف "الكتاب الجامع في الأدوية المفردة"، والذي يعتبر أهم مؤلف في علم العقاقير، ظهر باللغة العربية حتى زمن ابن البيطار الذي توفي عام 646 هـ، وصف فيه ما يزيد عن 1400 عقار، منها 300 عقار لم تذكر في مؤلفات أخرى، وقد ذكرها نتيجة لزياراته وتنقله بين العديد من بلدان المغرب ثم ذهابه إلى الشرق الإسلامي وقيامه بالبحث عن الكثير من الأدوية حتى تمكن إدراجها، ولحسن الحظ أنه منذ حوالي 15 سنة أقيم مؤتمران عن ابن البيطار بالتعاون مع المدينة التي ولد بها ابن البيطار في الأندلس، فأتى الباحثون من الأندلس إلى جامعة حلب في معهد التراث العلمي العربي، وتم الاحتفال بابن البيطار، وفي السنة التي بعدها هم أقيم المؤتمر بالأندلس احتفاءً بابن البيطار في مدينته. وهناك حديقة باسم ابن البيطار وتمثال له في هذه الحديقة، فالإسبان اليوم يبحثون كثيرا في ابن البيطار، وكما ذكرنا فهو رائد من رواد علم الصيدلة في القرون الوسطى. وله كتاب آخر وهو كتاب "المغني في الأدوية".

المحور الثالث: النظرية السببية للأورام عند القرابلياني من منظور علم الأورام الحديث.

هذا الكتاب الهام جداً للقربلياني، هذا الطبيب هو أندلسي؛ إلا أنه ذهب إلى مراكش، وأقام هناك، ثم ذهب إلى سبتة وفاس أيضا، وقام بعلاج الكثير من المرضى وخاصة المصابون بالسهام أو الكسور في العظام، وفي سنة 1935م كتب المستعرب الفرنسي رونو بحثاً بعنوان "جراح مسلم من مملكة

غرناطة"، فتكلم عن هذا الطبيب وكتابه الذي تحت عنوان "كتاب الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام"، هذا الكتاب يتحدث فيه من خلال عدة مقالات عن الآف الأمور الجراحية، وخصص المقالة الأولى للحديث عن أسباب هذه الأورام، فيبحث النظرية السببية للأورام، وتحدث أولا عن تفرغ الاتصال كسبب لحدوث تفرغ اتصال الأعضاء لسبب حدوث الأورام، حيث يحدث انفتاق في العروق فينصب الدم إلى المواضع الفارغة، ويملؤها دما فيتولد الورم، وهذا ما يعرف اليوم بالورم الدموي أو الهيماتوما، ويحدث نتيجة للردود، وهو كما وصفه القربلياني في ذلك الوقت في كتابه هذا, وذكر سببا آخر في كتابه هذا، وهو سوء المزاج، وهو ما يعرف حاليا بالحالة المزاجية للإنسان، ولقد ثبت علميا أن الحالة المزاجية للإنسان لها اتصال وثيق بالجهاز المناعي، والمعروف حاليا مدى دور الجهاز المناعي في حدوث الكثير من الأورام حالياً.

وبعد ذلك يشير إلى 36 نوعاً مختلفاً من الأورام، ولذلك يعتبر القرابلياني هو أكبر من فصل في علم الأورام في كتابه هذا "الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام"، فقد تحدث عن العديد من الأورام في كتابه هذا، وأذكر على سبيل المثال الورم الفلغموني وذكر أنه نتيجة الالتهاب، وحاليا هذا الورم هو ما نسميه بالتهاب العقد اللمفاوية، وهو ينطبق تقريباً مع ما ذكره القربلياني في هذا المجال.

ثم تحدث عن الدمامل، فقد اعتبرها نوع من أنواع الأورام؛ لأن الدمل قد يكبر حجمه، ونسميه حالياً بداء الدمامل Boys أو Francils، وهو معروف مرض إنتاني.

ويجب أن نذكر هنا أن نظرية الأمراض اختلفت حالياً تماماً، ففي ذلك الوقت لا تعرف الجراثيم أنها مسببة للأمراض، عبارة عن نظرية الأخلاط

المعروفة لدى الإغريق وقد اقتبسها العرب من الإغريق وطوروا بعضها والتي كانت تعتبر السبب الرئيسي لحدوث الأمراض وحدوث خلل في توازن هذه الأخلاط الأربعة في جسم الإنسان.

وتحدث بعد ذلك عن ورم السقوط، وهو ما يعرف اليوم بالورم الدموي، أو الإماتوما، وتحدث عن قضية هامة جداً وهو الورم الناشئ عن ضغط العضو المصاب بالكسر، والآن بعض ما يسمى بالمجبرين العرب الجهال عندما يعالجون بعض أنواع من الكسور يقومون بشد العُضو المكسور بشدّة بحيث يقطع الدوران الدموي عن الجهات البعيدة للطرف، فيسبب تورماً، هذا التورم قد يؤدي إلى خسارة العُضو كاملاً، وهذه الحالة تحدّث عنها القربلياني بالتفصيل.

ومن الأورام أيضاً ما سماه بالإمبيما ما يعرف اليوم بالدَّبيلة، وتعرف بكتب الطب الحديثة باللغة العربية أو الدُّبيلة، وهي عبارة عن تجمع قيحي، أي بعد أن يتشكل الورم الدموي نتيجة الرد قد يتسلل إليه الخمج أو الالتهاب، فيؤدي بدل تجمع دموي يصبح قيحي، وهو ما عبر عنه القربلياني بداء الدبيلات، والآن تعرف بالدبيلة أيضاً.

وتحدث عن داء الخنازير، وهو ما يُعرف بداء الخنزرة حالياً أو Scrofulas Disease مرض داء الخنزرة، وهو عبارة عن التهاب الغدد اللمفوية السلي.

وبعد ذلك تحدث عن الأورام السرطانية، فقال إنها سميت بالكانسر أو السرطان نسبة إلى الحيوان البحري المعروف بالسرطان، لأنها تتشكل بشكلها، فعندما نترك السرطان إلى مراحل متقدمة عندما يصيب أحد الأطراف يحدث توسع شديد في الأوردة، وتتلوّن باللون الأزرق، ويكون المركز يشبه هذا الحيوان تماما في المراحل النهائية للسرطان التي نادرا جدا ما نشاهدها الآن بسبب العلاج الباكر للسرطان. وقد قسم السرطان إلى نوعين: السرطان غير

المتقرح، وهو غير المنفتح إلى الخارج إذا أهمل ولم يُعالَج سببَ قرحات وينفتح إلى الخارج، وهذا يصعب كثيراً علاجه.

والطبيب الآخر هو لسان الدين ابن الخطيب، فهو غنيّ عن التعريف، توفي سنة 776 هـ، فهو من المتأخرين، ومن المعروف أنه مؤرخ وشاعر، وإضافة إلى ذلك فهو أديب لكن أكثر ما يعرف عنه أنه مؤرخ لكتابته أشهر كتب التاريخ التي أرخت للأندلس، وأشهرها كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة"، وألف أيضاً كتاب "الإعلام لمن بويع قبل الاحتلام"، وكتاب "اللمحة البذرية في الدولة النصرية"، و"تاريخ بلوغ غرناطة"، إلى آخره. وقد ذكره المقري المتوفى سنة 1041هـ في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، ويعتقد أن ابن الخطيب لم يمارس الطب كثيراً أو أنه مارسها خلال فترة وجيزة من حياته، إلا أنه ألف كتباً هامة في مجال علم الطب، ولعل من أشهرها رسالة في الطب سماها: "مقنعة السائل عن المرض الهائل"، وقد برزت أهمية هذا الكتاب في سنوات جائحة كوفيد، فعاد بعض المؤرخين أو بعض المهتمين بتاريخ الطب الإسلامي إلى مؤلفات الطب عن الأوبئة، فذكروا هذا الكتاب، والذي حققته ونشرته حياة قارة ونشر سنة 2015م.

وله أيضا "أرجوزة في الطب"، و"أرجوزة في الأغذية"، و"الوصول لحفظ الصحة في الفصول"، و"كتاب في علاج السموم والمسائل الطبية"، و"رسالة في تكوين الجنين"، وأعمال أخرى، إلا أن أشهر كتبه التي كتبها في المجال الطبي كتاب "عمل من طب لمن حب"، وهذا الكتاب توجد عدة نسخ منه الآن، وقد حقق في جامعة سلمانكا في إسبانيا، إلا أن هذا التحقيق لم يكن بمعنى التحقيق المعترف به حالياً، وتم نشره بالرغم من الكثير من الأخطاء. وأعتقد على الباحثين أن يهتموا به، وأن ينبري لتحقيقه من هو معروف بالتحقيق أو عالم بمجال تحقيق المخطوطات إضافة إلى أحد الأطباء، لأن الكثير من

الأمور الطبية في هذا المخطوط تحتاج إلى إسقاطات طبية حديثة.

وهذا الكتاب يتألف من جزئين، والجزء الأول يتألف من عشـرين بابا، تحدث فيها عن الأمراض من الرأس إلى القدم ما عدا ما يتعلق بموضـوع الزينة، أما الجزء الثاني من الكتاب فيتألف من أربعة عشـر بابا، تحدث فيها عن الأمراض التي تعمّ البدن كلّه ولا تخصّ عضـوا معيّنا، مثل الحميات، كما تحدّث فيه عن الزينة والسموم،

ففي الجزء الأول تحدث في الباب الأول عن أمراض الرأس، الباب الثاني: عن أمراض العين وهكذا عن مختلف أجهزة الجسم، إلى أن تحدّث على سبيل المثال في الباب الثاني عشـر عن أمراض الطحال وما يصـيبه من أمراض وأورام، وفي الباب الثاني عشر عن أمراض البطن والأمعاء، وفي الباب الثامن عشـر عن الأمراض المعروفة في ذلك الوقت، ثم في الباب التاسـع عشـر عن أوجاع المفاصـل ومرض النقرس الذي كان في ذلك الوقت من الأمراض الشـهيرة والتي كانت تصيب كثيرا من السـلاطين والملوك، بسـبب كثرة أكل اللحم، وكان يسمى سابقا داء الملوك، ولحسن الحظ الآن قد وضع علاج فوري من حوالي 40 سنة بعد أن اكتشف الدواء الحاسم لهذا العلاج .

وكما ذكرت أنه في الباب الثاني تحدث عن الأمراض التي لا تخص منطقة معينة من الجسم فتحدث عن مرض الصرع على سبيل المثال وكيف هو.

وما نراه في كتابه هذا لا نراه يتبع حاليا في وقتنا المعاصـر في معالجة الصرع، فللأسف يلتجأ إلى الشعوذة وغيرها.

ولم تذكر تلك الشـعوذات في كتب الطب؛ لا في كتاب "عمل من طب لمن حب" ولا في كتاب "القانون في الطب" لابن سـينا، الذي يعتبر أهم كاتب في علم الطب في الحضـارة العربية الإسـلامية، فلم تذكر تلك الشـعوذات التي

تستخدم حالياً لعلاج مرض الصرع.

وباختصــار شــديد فكتاب "عمل من طب لمن حب" بالرغم من أنه لم يأت بالكثير من الجديد؛ إلا أنه جديد في أســلوبه وفي المنهج العلمي الذي اتبعه مؤلفه ابن الخطيب، فيمكن أن نقول إنه كتاب أقرب ما يكون إلى الكتب الموجزة الآن، أو كتاب الهاندبوك، فنحن الآن في عصــر كتب الهاندبوك، هاندبوك في الطب الباطني، وهاندبوك في طب الأطفال، فيمكن اعتبار هذا الكتاب هاندبوك في الطب بشــكل عام، وهو من أشــهر ما كتبه كملخص كامل لعلم الطب.

دور علماء القرويين في النهضة العلمية والدينية في المغرب[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم، على ملاذ الورى في الموقف العظيم؛ سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر المحجلين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، رب اشـرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي.

بادئ ذي بدء؛ سـيكون حديثي حول دور علماء القرويين في النهضـة العلمية في المغرب الأقصى، ثم بعد ذلك في الدفاع عن المغرب الأقصى؛ لأنه لا دولة بغير قلم وسيف، ولا نهضة بغير علم وجهاد.

تأسيس الدولة المغربية:

انفصـل المغرب عن الخلافة في المشـرق منذ نهاية القرن الثاني الهجري، خاصـة منذ خلافة الإمام مولانا إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسـن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، عندما أسس الدولة المغربية سـنه 172 هـــ. حين كان المغرب إمبراطورية كبيرة عاصـمتُها كانت غالبا فاس، وقد تنتقل أحيانا إلى مكناس أو إلى مراكش، وانتشرت في وسط إفريقيـا إلى حـدود مصـر، وجنوب الجزائر، وجنوب تونس، وجنوب ليبيـا، ووصلت إلى حدود غانا جنوبا، وشمالا في أوج اتساعها وصلت إلى طليطلة؛ إذ الحموديون الأدارسـة كانوا يحكمون قرطبة وإشـبيلية وبلنسـية وغيرها من البلاد. ثم إن الأبحاث الجديدة تذكر أن المرابطين كانوا وصـلوا إلى أمريكا الجنوبية، وكان لهم أمراء ونواب في البرازيل، وفي أمريكا الشـمالية كذلك،

---

(1) أ.د/ حمزة بن علي الكتاني. المغرب

وغير ذلك مما أبرزت الوثائق الحديثة.

إذًا؛ فالمغرب اســتقل بقضــاياه، وبتاريخه منذ ذلك التاريخ إلى الآن، فالمغاربة يعتبرون أن الدولة الإدريسية نقلت الخلافة من المشرق إلى المغرب؛ لأن بيعة العباسيين إنما كانت رضًى من آل محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وكانت بيعة لمحمد الملقَّب بالنفس الزكية، وبالمهدي بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط؛ والذي قتل في معركة شهيرة في المدينة المنورة، وكان من مناصـريه أئمة من أئمة الإســلام؛ كالإمام مالك، والإمام أبي حنيفة وغيرهما من الأعلام الكبار الذين أوذوا في ســبيل هذه الوقفة، وكانت لهم كلمة الحق والصدق في نصرة آل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم.

وفي معركة فخ، في العقد الســابع من القرن الثاني عام 169هـــ؛ اضـطر الإمام إدريس ومن كان معه من آل البيت وأنصــارهم، كمحمد بن ســليمان بن عبد الله الكامل، وداود الجعفري، وحواريهم: راشـد ابن أبي راشـد الأوربي، أن يفروا من مكة يوم حاربهم أميرها وقام بمقتلة كبيرة في آل البيت، اســتشــهد فيها الإمام الحســين بن علي بن الحســن المثلث المعروف بالفخي، والإمام سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى، في معركة شهيرة كانت تسمى: بكربلاء الصغرى.

فانتقل الإمام إدريس إلى اليمن، ثم منها إلى مصر، ثم استدعاه ملك قبيلة أورَبة إسحاق الأَوْرَبي، فجاء إلى المغرب، فزوّجه بنته، وبايعه بعد أن امتحنه ستة أشهر، ليتأكد من أصله، ومن حقيقته، ومن صدقه. فزوجه بنته، وتنازل له عن ملك أوربة. ومن هناك بدأ في فتح المغرب، وتأسيس الدولة الإسلامية.

عندما نتحدث عن تأســيس الدولة المغربية؛ فنحن نتحدث عن المعايير أولا وعن الدولة الجامعة للمغرب ثانيا، وعن مفاهيم الإســلام كدين الدولة وكشريعة تحكم بها الدولة ويتحاكم إليها الناس، والوحدة الترابية، والشورى،

وعقيدة أهل السنة والجماعة، ومذهب أهل المدينة الذي هو مذهب الإمام مالك فيما بعد. لأن الإمام مولانا إدريس بن عبد الله الكامل ت177هـ، لما جاء إلى المغرب؛ كان من أعيان أهل المدينة، ويقال بأنه روى "الموطأ" عن الإمام مالك، لكنه لم يشتهر.

ولما جاء إلى المغرب وانشغل نحو أربع سنوات بالجهاد؛ كان على مذهب أهل المدينة؛ مذهب محمد بن شهاب الزهري، ومذهب سعيد بن المسيب، ومذهب عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن، ومذهب الأعيان الكبار الذي جمعه الإمام مالك بن أنس، وبلوره، وقعَّد له قواعده؛ فأصبح يشتهر - فيما بعد - بمذهب الإمام مالك، رحمه الله تعالى، خاصه بعد تأليف الإمام سحنون للمدونة.

وعندما يُقال بأن الإمام درَّاس بن إسماعيل أدخل المذهب المالكي للمغرب، فإنما يُقصد: أدخل "المدونة"؛ لأنه أخذ عن الإمام سحنون وأدخل مدونته التي كانت باكُورة المذهب المالكي.

أما بمفهوم عمل أهل المدينة؛ فإن يحيى بن يحيى الليثي دخل المغرب، وكذلك بكر بن حماد التاهرتي، وعمير بن مصعب الأزدي الذي كان وزير الإمامين إدريس الأكبر والأزهر، وعامر بن محمد القيسي...وغيرهم من الأئمة الكبار الذين هم تلامذة الإمام مالك، أو تلامذة تلامذته، وكانوا قد جاؤوا إلى مدينة فاس، واستقضاهم واستوزرهم الإمام إدريس الأكبر ثم بعده الإمام إدريس الأزهر.

والحاصل؛ أن هذا المشروع بُني أولا على الشورى، فأول ما قام به الإمام مولاي إدريس الأزهر بعد بنائه مدينة فاس عام 193هـ بناء جامع الشرفاء في فاس القرويين، وبناء جامع الأشياخ في فاس الأندلس؛ لأن فاس عُدوتان؛ العدوة العليا عُدوة القرويين، والسفلى عدوة الأندلس، لأنها سكنها قوم جاؤوا

من الأندلس، خاصه ممن ثاروا على الأمويين في ثورة الربض الشهيرة. وكان من ضمنِهم أئمة كبار، بعضهم عاد إلى الأندلس، وبعضهم بقي في فاس، وكلا العدوتين تسميان بفاس الإدريسية.

وعدوة القرويين؛ جاءت إليها قبائل وعلماء وتجار وأعيان من القيروان من بلاد تونس، بلاد عقبة بن نافع، واستوطنوا مدينة فاس، فسميت عدوة القرويين. وبين العدوتين وادي الجواهر، أو ما يُعرف بوادي فاس، أو نهر فاس.

وفي عدوة الأندلس كان هناك جامع الأشياخ، وهو موجود إلى الآن، ولكن للأسف مغلق ومهمَل، وهو جامع كبير، فكان أول برلمان في العالم، أو العالم الإسلامي، وقد بناه الإمام إدريس الأزهر سنة 193هـ، وسمي: "الأشياخ"؛ لأنه كان يجمع فيه زعماء ورؤوس القبائل في المغرب، وكبار العلماء ويستشيرهم في الأمور العظيمة.

تأسيس جامع القرويين:

بعد أن توسعت البلاد وكبرت؛ كان المشروع العلمي الكبير الذي أسسه الإمام يحيى الأول بن محمد بن إدريس؛ هو جامعه القرويين؛ فقد أسس هذه الجامعة ابتداء من سنة 245 هـ، بتمويل من السيدة: فاطمة الفهرية بنت محمد بن عبد الله الفهري القيرواني، فأصلها من القيروان، وهم من الفهريين الذين كان منهم عقبه بن نافع، وغيره، بل قريش كلها فهرية.

وفاطمة وأختها مريم الفهرية ورثتا مالا كثيرا من والدهما، فساهمتا في بناء جامع القرويين في عدوة القرويين، وجامع الأندلس في عدوة الأندلس، وبذلك تم المشروع النهضوي الذي كان في المغرب، الذي هو: تثبيت وترسيخ دعائم الإسلام في هذه البلاد، وتم افتتاح جامع القرويّين عام 163هـ في عهد

الإمام يحيى الثاني ابن يحيى الأول ابن محمد بن إدريس.

وكان من أوائل من استدعي إليه أئمة من الأندلس ومن شمال إفريقيا؛ وعلى رأسهم: الإمام الحافظ بكر بن حماد التاهرتي (ت296هـ)، الذي جاء إلى فاس ودرَّس دروسا كثيرة فيها، وكان من رجال الجرح والتعديل، من طبقة الإمام البخاري؛ أخذ عن مسدّد بن مسرهد، وأدخل مسنده إلى شمال إفريقيا، وله أقوال منثورة في كتب الجرح والتعديل.

وكذلك حل بمدينة فاس أعلام كثر؛ ذكروا عند ابن أبي زرع في "روض القرطاس"، وابن خلدون، والإمام القاضي عياض في "ترتيب المدارك"... وغيرهم.

فأما المدينة الاقتصادية الأولى التي كانت؛ فهي: مدينة البصرة؛ التي كانت قُرب مدينة وازان الآن، وكانت هي العاصمة الثانية، وكانت تطبع فيها العملات الوطنية، ولكنها خربت بعد انتهاء ملك الأدارسة.

وأسس الأدارسة ميناء كبيرا؛ هو: ميناء أصيلة؛ لأن أصيلة كانت مرفأ قديما، كان يسمى: أزيلاش، أو أزيلا؛ فلما عمّرها الأدارسة جعلوها مدينة حافلة؛ كانت تأتي إليها التجارات من أوروبا ومن المشرق، ومن إفريقيا، فسميت أصيلة؛ عُرِّب الاسم وأصبح أصيلة من الأصالة، ولكن إلى الآن ينسب إليها فيقال: فلان زيلاشي، ولا يقال أصيلي إلا تعريبا. ومنها: الإمام أبو محمد الأصيلي الشهير، الذي أخذ عن الإمام دراس بن إسماعيل وغيره.

وهكذا اكتملت صورة الدولة المغربية، وهي دولة مسلمة، مبنية على العلم؛ فتعتبر جامعة القرويين أقدم جامعة في العالم؛ إذ كان تأسيسها سنة 245هـ، ثم جاءت بعدها جامعة الأزهر؛ التي أخذت صفتها الجامعية سنة 545هـ تقريبا، وأسست نحو سنة 360 هـ، فكانت بعد القرويين.

والقرويين سـميت جامعة؛ لأنها كانت تدرَس فيها علوم كثيره، ليسـت العلوم الشـرعية فحسـب، بل كانت تدرس فيها علوم الهندسـة، وعلوم الطب، وعلوم الفلك، وعلوم النجوم، وعلم التوقيت...وغير ذلك من العلوم التي كانت منتشـرة في ذلك الوقت. فأخذت الصـفة الجامعية، وكانت لها روافد، حتى يذكَر بأن في زمن المرينيين كان في فاس أكثر من مائة مدرسـة كلها تابعة للقرويين، وكذلك أسـس المرينيون نحو ثمانين مدرسـة في منطقة دكالة وحدها، وفي مدينة فاس لوحدها كانت نحو مائة مدرسة.

وأسس ملك المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين نحو عام 541هـ جامعة كبيرة في مدينة مراكش، اسمها: جامعة ابن يوسف، والتي أصبحت فيما بعد كذلك رافدا من روافد جامع القرويين.

وجامعة القرويين كانت هي رُوح المغرب ولبه؛ فقضـاة المغرب وعلماؤه في شـتى أطراف البلاد كان لا يعتد بعلمهم ولا يُعتبر إلا إذا كانوا درسـوا في هذه الجامعة، أو درسـوا على من درس فيها، بل الكثير من ملوك المغرب كانوا من خريجي جامعة القرويين.

ولذلك فإن الإمام العلامة عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسـي رحمه الله، المتوفى نحو سنة 1096 هـ، ألف منظومة سماها: "العمل الفاسي"، ذكر فيها ما اتفق عليه علماء فاس، وجرى عليه عملهم في الفتيا، فكأنه جعله كعمل أهل المدينة، يُحتَج به، والعمل الفاسـي ليس هو عمل العوام أو أهل الأسـواق؛ إنما هو عمل ما اتفَق عليه الفقهاء، وتضـافرت عليه فتواهم، وهذه المنظومة هي من ضـمن مجموعة المتون التي كان يحفظها طلبة العلم، وقد شـرحها علماء كبار؛ منهم العلامة محمد بن أبي القاسم السجلماسي الرباطي. وكذلك شرحها العلامة المهدي الوزاني وغيرهما من العلماء.

وللعلامة سيدي المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي (ت1109هـ)،

رحمه الله تعالى، كتاب: "العَرف الآسـي في العُرف الفاسـي"؛ أعاد فيه حتى العادات الاجتماعية والتقاليد وغير ذلك إلى أصول شرعية، وهذا يدل على أن المغرب كان يعيش في بيئة دينية متأصّلة، ونهضة علمية كبيرة.

نبوغ القرويين في علوم الحديث:

إذا نظرنا في علم الحديث؛ نجد أن كبار علماء الحديث في المغرب كانوا درَسوا أو درَّسوا في فاس، ومنهم من مرّ بها، ومنهم من استقَر فيها، ومنهم من دَرَس فيها وانتقل إلى غيرها.

فالإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ)، صاحب كتاب "الرسالة" في الفقه المالكي، أخذ عن الإمام دراس بن إسماعيل (ت357هـ)، ثم رحل إليه من القيروان إلى فاس، فوجده قد مات، فمكث عند قبره ثلاثة أيام، فأخذها أهل المغرب عادة، إن مات العامي يمكثون عند قبره ثلاثة أيام، وإن توفي العالم؛ يزيدونها لسبعة، ويسمونها: صباح القبر. وابن أبي زيد القيرواني كان يسمى بمالك الصغير، ورسالته معتمد التدريس في المذهب منذ حياته رحمه الله. وقد شرحها في حياته القاضي عبد الوهاب البغدادي، إمام المذهب في العراق.

ومن المحدثين الكبار: أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت392هـ)، الذي هو مِن طبقة شيوخ الإمامين ابن عبد البر وابن حزم، أو شيوخ شيوخهما، وقد أخذ عن الإمام درّاس بن إسماعيل؛ فهو من الأئمة المبكرين الذين تخرجوا من جامعة القرويين.

كما نجد القاضي أبا بكر بن العربي المعافري (ت 543هـ)، من كبار علماء فاس، وأخذ عنه الكبار؛ كالإمام علي بن حرزهم (ت559هـ)، رحمه الله تعالى، وكذلك الإمام أبو مدين التلمساني الإشبيلي (ت594هـ)، وهو في الحقيقة لم

يكن تلمسانيا، إنما أصله من إشبيلية واستوطن بجاية، ولكنه توفي في طريقه قرب تلمسان، فدفن في منطقه العبّاد بها.

وغيرهما من علماء فاس الذين أخذوا عن القاضي أبي بكر بن العربي؛ ذكر جمهرة كبيرة منهم العلامة ابن جزي الكلبي في كتابه "مختصر البيان".

ومن هؤلاء العلماء الكبار الإمام أبو الحسن علي بن القطان الفاسي (ت628هـ)؛ الذي ألف كتاب: "بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام"، رد فيه على الحافظ عبد الحق الإشبيلي صاحب كتاب: "الأحكام" "الكبرى" و"الوسطى" و"الصغرى" في أحاديث الأحكام، وتتبعه في الأحاديث التي ذكرها في "الأحكام الوسطى" بالخصوص، فتتبعها بالنقد، والتعليل، وذكر الطرق، وتصحيح المتون، والبحث عن شواهدها، وضبط الرواة، وغير ذلك، واشتغل عليه تلامذته وتلامذة تلامذته؛ كالإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن المواق المراكشي (ت642هـ)، وكذلك محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي (ت703هـ)، وأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ثم الفاسي (ت721هـ)، وغيرهم، اختصروه وزادوا عليه وانتقدوه.

وقد فصل في ترجمته العلامة الشيخ محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني رحمه الله تعالى في كتاب خاص، حول الإمام ابن القطان؛ أضفته إلى كتابه "الاجتهاد والمجتهدون في الأندلس والمغرب".

وكتابه "بيان الوهم والإيهام" اشتغل عليه - كذلك - علماء من المشرق ما بين موافق ومخالف؛ ومنهم: الإمام الذهبي رحمه الله تعالى، فيعتبر ركيزة مهمة في علوم الحديث.

ومن محدثي القرويين ورواته أبو بكر ابن خير الإشبيلي، وابن الزبير الغرناطي، وأبو البركات البلّفيقي، وابن رشيد الفهري، وهؤلاء من أئمة الرواية

الكبار الذين تركوا أثرا كبيرا في علوم الرواية، والأسانيد والإجازات، وما يرتبط بها.

ومنهم: الإمام أبو زكريا يحيى السرّاج (ت 803هـ)، ؛ صاحب الفهرسة الكبيرة العظيمة، التي ترجم فيها لشيوخه، وقد طبعت فهرسته حديثا بتحقيق الدكتورة نعيمة بَنِّيس، حفظها الله تعالى. فهذا فيما يتعلق بعلم الحديث.

نبوغ القرويين في علوم الفقه:

أما فيما يتعلق بعلم الفقه؛ فلقد كان لفقهاء المغرب وعلمائه دورا عظيما جدا في الفقه، فكان مثلا العلامة عبد المؤمن الجناتي (ت746هـ) رحمه الله يحضر مجلسه أكثر من 400 طالب، مائة منهم يحفظون مختصر المدوّنة للبراذعي.

وكذلك الإمام العلامة عبد الرحمن الجَزُولِي (ت741هـ)؛ صاحب الشروح الثلاثة على "الرسالة": الكبير، والأوسط، والصغير. كان يحضره ألف طالب، كلهم فقهاء، وجلهم يحفظون "المدونة".

هذا مثال من الأمثلة عن فقهاء المغرب، خاصة في العهد المريني.

أ- فقه الأثر:

ونذكر هنا شرح أبي علي عمر ابن الزهراء الورياغلي (توفي بعد 710هـ) رحمه الله تعالى، المسمى: ب: "الممهّد الكبير، على موطأ الإمام مالك"، في نحو واحد وخمسين مجلدا، وقد عُثر على الكثير من أجزائِه، ويشتغل على جمعها وتنسيق إخراجها: الدكتور يونس بَقّيان، و قد أصدر دراسة حول الإمام عمر ابن الزهراء الورياغْلي.

وهذا العالم – على جلالة قدره - لا تُعرف له ترجمة، وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته لما تعرَّض لذكر نزول الحافظ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت728هـ) عن المنبر، وكان يخطب، وقال لهم: "إن الله ينزل في الثلث الأخير من الليل، نزولا كنزولي هذا"، ونزل عن المنبر، قال: "فقام إليه الفقيه عمر بن الزهراء الورياغلي، وشنّع عليه مقولته هذه، فاجتمعوا على ابن الزهراء وضربوه". ولا ندري عمر الورياغلي هذا؛ هل هو نفسه صاحب "الممهّد الكبير"، أم هو غيره؟.

وكذلك الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي ثم الفاسي (ت710هـ)؛ أحد مجتهدي المذهب المالكي الكبار، والأئمة العظام الذين اشتغلوا على "المدونة" بمؤلّفات عدة، واشتغلوا - كذلك - على صحيح البخاري، وغير ذلك.

وللمغاربة شروح على "الموطأ"، وكذا على البخاري؛ حتى إنه يكاد يكون العمل على البخاري معتمِدا على أعمال علماء المغرب والأندلس. فمن أول من شرح البخاري: الإمام أحمد بن نصر الداودي التلمساني (ت402هـ)، واختلفوا هل هو أول من شرحه أم الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي الكابلي (ت388هـ).

ومن أعظم الشروح على صحيح مسلم: شرح الإمام المازري التونسي؛ محمد بن علي التميمي المالكي (ت536هـ)، المسمى: "المعلم، بفوائد صحيح مسلم"، الذي حاول إكماله الإمام القاضي عياض بن موسى السبتي ثم المراكشي (ت544هـ)، رحمه الله تعالى، في كتاب سماه: "إكمال المعلم" ولم يكمله، وأتمه الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت676هـ). وقد أخذ جميع كلام المازري والقاضي عياض، وزاد عليه حواشي وزيادات وإضافات.

وأكمل كتاب "إكمال المعلم" لعياض الإمام محمد بن خليفة الأبي المالكي التونسي (ت827هـ)، وكمله وأتمه، مع إضافة كلام الإمام النووي، وشيخه الإمام ابن عرفة الورغمي، وسماه: "إكمال الإكمال".

واختصر عمل الأبي، وشرح مقدمته، وذيل عليه وأضاف؛ الإمام محمد بن محمد بن يوسف السنوسي التلمساني العقدي (ت895هـ)، وسماه: "مكمل إكمال الإكمال".

ثم جاء خاتمة الحفاظ؛ أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، وأخذ ما في الشروح أعلاه على ما اشترك فيه البخاري ومسلم، المازري، وعياض، والنووي، وزاد من شرح ابن بطّال علي بن خلف القرطبي (ت449هـ)، وضم كل ذلك إلى كتابه "فتح الباري"، مع زيادات من غيرهم، وإضافات هي من زبدة بحر علمه، حتى كان يقال: "لا هجرة بعد الفتح".

وهنا تظهر عناية علماء القرويين بفقه الحديث، وكيف بلوره علماء المغرب، وعلماء القرويين بالأحرى، وكيف أنه أثروا بذلك في الأعمال العلمية، سواء في المشرق أو في الأندلس، أو في شمال إفريقيا، وكيف أصبحت أعمالهم عمدة بنى عليها العلماء كثيرا.

ب- قواعد المذهب:

وفي المغرب تبلوَرت مدرسة قواعد المذهب؛ مذهب الإمام مالك: فألف في ذلك الإمام علي بن قاسم الزقّاق الفاسي (ت912هـ)، والإمام أحمد بن يحيى الونْشَرِيسي (ت914هـ)، ونظمها ابنه عبد الواحد (ت955هـ)، وشرح النظم، وكذا منظومة الزقاق في القواعد؛ الإمام أبو العباس أحمد بن علي المنجور (ت926هـ)...وغيرهم.

ويعتبر المغرب في هذا الأمر متكاملا مع غرناطة؛ لأن من أوائل من اعتنى

بهذا الأمر في الأندلس الإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت 790هـ)؛ صاحب "الموافقات" في مقاصد الشريعة، وتلميذه الإمام أبو بكر محمد بن محمد بن أبي عاصم الغرناطي (ت829هـ)؛ في منظومته في القضاء، ثم بعد ذلك توالى العلماء على الكتابة في هذا الموضوع، حتى ألف الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن المواق الغرناطي (ت 897هـ) كتابه "سنن المهتدين، في مقامات الدين"، الذي رد فيه على الإمام الشاطبي في كتابه "الاعتصام"، وهذا الكتاب ضمنه قواعد عظيمة جدا.

وتبلور هذا العلم على يدي الإمامين الونشريسي والزقاق، ثم قام العلماء بشروح الزقاقية – في الفقه كما في علم التوثيق - ونشروا هذه القواعد، وإن كان الإمام أحمد بن إدريس القرافي المصري (ت626هـ) سبقهم في قواعده في المذهب، الشهيرة ب: "الفروق"، ولأن مسألة قواعد المذهب هي مسألة فقهية، ابتدأت منذ "المدونة"، ولكن قد يكون أول من كتب فيها هو: الإمام أحمد بن إدريس القرافي المصري، وتبلورت وتقعَّدت في المغرب.

ج- فقه المعاملات:

أعظم كتاب في فقه المعاملات ألفه العلامة علي بن رحال المَعْداني (ت 1140هـ)؛ قاضي السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف العلوي، وقد ألف كتابه هذا لشرح معاملات مختصر الشيخ خليل، وسماه: "فتح الفتاح على مختصر الشيخ خليل"، وهو في نحو 72 مجلدا، وكان من الكتب التي يسمَع بها ولا تُرى، حتى يسر الله أن طبع بإشراف الدكتور العلامة الشريف محمد العلمي، وبعنايه وتبني الرابطة المحمدية العلماء.

وهذا الكتاب من مفاخر المغرب؛ لأن الإمام الحطاب رحمه الله تعالى لما شرح مختصر الشيخ خليل ويعتبر من أوائل الشراح له توسّع في العبادات،

ولكنه لما وصل إلى المعاملات؛ اختصر. وقيد سبب ذلك بتعبه.

والحقيقة أن سـبب ذلك أن الإمام أبا عبد الله محمد بن محمد الحطاب (ت954هـ) – وهو من أصل أندلسي، من بيت السرّاج الرعيني – ولكن استوطن الحجاز، والحجاز لم يكن يعمل فيها بالفقه المالكي حينه، إنما كان الغالب عليها في ذلك الوقت أي: القرن العاشر الهجري المذهب الشافعي والمذهب الزيدي، فالإمام الحطاب اشتغل بالعبادات مما يحتاج إليه الناس، ولم يتوسع في المعاملات التي لا يعمل بها في القضاء، ولا يحتاج للتفصيل فيها عموم الناس.

فلما جاء الإمام ابن رحال، وجد أن الإمام الحطاب استوفى عمله في العبادات، فتوسع كثيرا في المعاملات، فجاء كتابه تحفة عظيمة جدا، نحتاجها في فقه المعاملات المعاصر، لأنها مهدت وقربت الطريق لفهم فقه المعاملات المعاصر، خاصة فيما يتعلق بمذهب الإمام مالك. وقيل عن هذا الكتاب أنه "كاد أن يحوي نصوص المذهب"؛ يعني: كاد أن يجمع نصوص المذهب كلها، وفي كل القضايا التي تطرق لها في باب المعاملات.

وعلي بن رحال كان قاضي القضاة، وكان قاضي السلطان مولاي إسماعيل عندما كان حاكما لشمال إفريقيا؛ لأن جدي العاشر؛ الشريف سيدي عبد الواحد بن عمر الكتاني (ت1203هـ) رحمه الله، كان قد استقضي من طرف السلطان مولاي إسماعيل على قبائل الصعيد في مصر، وهذا يدل على أن العثمانيين إنما كانوا يحكمون إلى جنوب القاهرة، أو إلى أسيوط، أما جنوب ذلك، من منطقة الصعيد والصحراء؛ فكانت تابعة للإيالة المغربية.

وهذه الوثيقة التي كنت وقفت عليها تدل على ذلك؛ لأنه كتب على ختم السلطان مولانا إسماعيل على "المشجرة البكرية"؛ نسبة إلى بكرة في منطقة الصعيد: "شهده القاضي عبد الواحد عمر إدريس أحمد الكتاني الشريف

الحسني الفاسي. ثم ختم".

فهذه البلاد الضـخمة العظيمة كانت تأتيها القضـايا من مختلف أطرافها، من المشرق ومن الجنوب، ومن بلاد السودان، وغير ذلك، أضف إلى ذلك كون تلك الفترة تعتبر بداية الثورة الصناعية في أوروبا، التي – ما من شـك – كان لها تأثير على العالم الإسلامي حينه.

فكل هذه الأمور كانت تصـل إلى السـلطان، ويعرضـها على القضـاة، وكان قاضـي هؤلاء القضـاة وكبيرهم؛ هو: علي بن رحال المعداني الذي جاءنا بهذه التحفة الكبيرة "فتح الفتاح".

د- زبدة المذهب المالكي وخلاصته:

هناك عمل عظيم جدا للإمام أبي عبد الله مَحمد بن أحمد الرهوني الوزاني (ت1230هـــ)، من كبار علماء وزان وجبالة، وهو من علماء القرويين؛ لأنه أخذ عن طبقة الشيخ التاودي ابن سـودة المري، وسـيدي محمد بن الحسـن بناني، وأبي حفص الفاسي، وتلك الطبقة من كبار العلماء، فألف كتابه: "شرح مختصر خليل"، ويعتبر ما فيه هو ما استقر عليه مذهب الإمام مالك.

لأن أهم مختصرات المذهب؛ هو مختصر الشيخ خليل، وأهم شروحه هي شـروح الأجاهرة، شـرح الإمام عبد الباقي الزرقاني، وشـرح الإمام أبي عبد الله الخرشي، ولكن انتقدت عليهما أمورًا كثيرة، فحشّـى سـيدي محمد بن الحسـن بناني (ت1194هــ) على شرح الزرقاني، وحشى الشّيخ التاودي بن الطالب ابن سودة (ت1209هـــ)، على شرح الخرشي، ولا يقبل في المذهب إلا ما سلماه أو صححاه.

ثم جمع ذلـك العلامـة الرهوني وحرره ونقحـه، وجـاء بـالنصـوص على مسائله، وسماه: "أوضح المسالك وأسهل المراقي إلى سبك إبريز الشيخ عبد

الباقي"، وهذا الشرح يستحق أن يطبع طبعة محققة، فيكون في ما لا يقل عن 30 مجلدا، وهو كتاب عظيم جدا، وقد اختصـره العلامة سـيدي محمد بن المدني كَنون (ت1302هـ) رحمه الله تعالى، وكان معتمدا في التدريس في جامعة القرويين وروافدها.

هـ- فقه النوازل عند علماء القرويين:

ابتدأ المغاربة في التأليف في فقه النوازل منذ القرن الخامس الهجري، أي: نوازل أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن دَبّوس الفاسي (ت511 هـ) في أربعة مجلدات، ونوازل أبي علي الحسن بن زكون الفاسي (ت553هـ)، في نحو عشرة مجلدات.

وكذلك نوازل الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي؛ الشهيرة ب: "المعيار المعرب عن فتاوى أهل الأندلس والمغرب"؛ وهي من النوازل الكبرى العظيمة التي تعتبر مرجعًا في فتاواها. ونوازل الشريف سيدي علي بن عيسى الحسني العلمي (ق 12 هـ)، ونوازل الزياتي عبد العزيز بن حسن بن يوسف (ت 1055هـ)، و"النوازل الستينية"؛ للشيخ عبد القادر بن علي الفاسي الفهري (ت1091هـ)، وكل عالم له نوازل.

ولكن من أعظم وأشهر النوازل المتأخرة نوازل العلامة الشريف المهدي بن محمد بن الخضر العمراني الوزاني الفاسي (ت 1342هـ)، رحمه الله تعالى، المسماة ب: "المعيار الجديد المعرب، عن فتاوى شمال إفريقيا والمغرب"، وجعله على نفس فكرة معيار الإمام الونشريسي، غير أنه رتّبه على ترتيب مختصر الشيخ خليل، ليجعله كأنه ورش عمل. فلما كانوا يدرسون الفقه بالمتون، ولكن هذا ورش لتطبيق النوازل على قضايا الفقه؛ فلذلك رتّبه على أبواب المختصر. فمن أراد أن يدرس المختصر؛ يذهب للشروح، ثم يدخل في الورش الذي هو هذه النوازل.

ويذكر المؤرخ عبد السلام بن سودة - رحمه الله تعالى – أن علماء المغرب كانوا لا يخرجون عن فتاواه. وله "النوازل الكبرى"، وطبعتها وزارة الأوقاف المغربية في 14 مجلدا، وكان لي يد بحمد الله تعالى في إعادة طبعها، وقدمتُها بدراسة طويلة حول المؤلف في نحو 60 صفحة. وكذلك له "النوازل الصغرى"؛ المســماة ب: "المنح الســامِية من النوازل الفقهية"، طبعَت في أربعة مجلدات ضــخام، وكان لي يد بحمده تعالى في طبعها، وكلاهما أعيد طبعهما في دار الكتب العلمية ببيروت.

وهذه النوازِل المتأخرة لعلماء المغرب مهمة جدا؛ لأنها تحدثت عن قضـايا جديدة؛ تحدثت عن قضـايا العطور الكحولية، قضـايا المالية، قضـايا الأوراق المالية، قضايا المعاملات الحديثة، قضايا مرتبطة بالأطعمة، ومرتبطة بالبنوك، ومرتبطة بالألبسـة، وبسياسـة الدولة، والعلاقات الخارجية، وبغير ذلك؛ فهي تعتبر موادّ مهمة جدا في الفقه الإسـلامي، فقه المعاملات أو القانون الشـرعي الإسلامي.

وقد كنت وقفتُ على نوازل عم جدتي العلامة محمد البشـير بن عبد الله الفاسي الفهري (ت1383هـ)؛ المعروفة ب: "النوازل البشيرية"، وهي نوازل مهمة جدا، ترجم بعضــها إلى اللغة الفرنســية، وكان يحتاجُها حتى المقننون الفرنسيون في البحث عن الفتاوى والاجتهادات القانونية.

من جهود علماء القرويين في السيرة النبوية:

كـان للمغاربـة دور مهم في الســيرة النبويـة؛ ومن ذلـك: كتـاب "الروض الأُنُف"، للإمام أبي قاسـم عبد الرحمن بن عبد الله السُّـهَيْلي المراكشــي (ت581هــ)، رحمه الله تعالى، وهو كتاب تعرّض له العلماء بالشرح والتفصيل، ويعتبَر من أهم الكتب في السيرة النبوية.

وكتاب الإمام محمد بن عبد السّلام بناني رحمه الله تعالى، الذي شرح فيه كتاب "الاكتفاء، في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء"؛ للإمام أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت 634هـ)، رحمه الله تعالى. فالإمام محمد بن عبد السلام بناني هو عم الإمام محمد بن الحسن بناني، وهو من طبقة الآخذين عن الإمام محمد المسناوي بن أحمد الدلائي، وعن شيخ الجماعة مَحمد بن عبد القادر الفاسي، والمحدث علي الحريشي، وتلك الطبقة، وربما أدرك الإمام أبا علي اليوسي أيضا.

والعلامة البناني لما أراد أن يشرح كتاب "الاكتفا"، فاشتغل عليه سنوات، فلما وجد أن الخزائن المغربية مفتقرة لكثير من الأصول؛ هاجر إلى المشرق، ومكث في المدينة المنورة نحو عشر سنوات؛ رحل فيها إلى مختلف مكاتب المشرق، وجمع هذا الشرح الكبير، وسماه: "مغاني الوفا، في معاني الاكتفا". وقد حُقق في دراسات جامعية، ولو طُبع؛ سيخرج في نحو 30 مجلدا، ملأه تحريرا وبحثا وتنقيبا. والبناني هذا عالم فقيه، ومحدث موسوعي، من طبقة الإمام أحمد بن مبارك اللمطي، ومن تلامذته الحافظ الشريف أبو العلاء إدريس بن محمد العراقي الحسيني، وقد توفي العلامة البناني سنة 1164 هـ رحمه الله تعالى. وهو من علماء القرويين الكبار.

ومؤلفات المغاربة في السيرة والشمائل النبوية لا عد لها ولا حد؛ يكفي أن نذكر منها كتاب: "دلائل الخيرات"؛ للإمام محمد بن سليمان الجزولي (ت 870هـ)، رضي الله عنه، وشروحه، مما طار خبره شرقا وغربا، و"ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج"؛ للإمام سيدي المعطى الشرقي (ت 1180هـ) رضي الله عنه، في نحو تسعين مجلدا، و"مفتاح الشفا" للحافظ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري في مجلدين، و"شرح عقود الفاتحة" للإمام حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي المرداسي (ت

1232هـ)، رحمه الله تعالى، في خمسة مجلدات، بتتمة ابنه المحدث محمد، وغير ذلك. عدا ما كتبه المغاربة في الحقائق المحمدية والأحمدية، مما لم يسبقوا إليه.

التجديد في العرفان الصوفي:

جاء المغاربة بتجديد كبير في مجال التصوف والعرفان، ويكفي أن نذكر رسائل ابن عبّاد محمد بن إبراهيم بن عبد الله الرندي النفزي الفاسي (ت 792هـ)، وهي رسائل معتمدة، ومؤلفات الإمام سيدي أحمد بن أحمد زَرّوق البرنُسي(ت 899هـ) رحمه الله تعالى، وهو صاحب مدرسة في التربية والسلوك، ويسمى: محتسب الأولياء والصوفية.

ويكفي القرويين أنه دَرَس بها وتخرّج منها الإمام أبو مدين التلمساني، وهو من رجال السلسلة الشاذلية، والسلسلة القادرية، والسلسلة الباعلوية.

ولا يمكن أن نغفل هنا الإمام أبا الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد (ت 1327هـ) رضي الله عنه وأرضاه، الذي جدّد في علم الباطن، وألف المؤلفات الغزيرة في هذا الباب، التي ناقش فيها فحول الأئمة؛ كالإمام محيي الدين ابن عربي الحاتمي، والإمام عبد الكريم الجيلي...وغيرهما من الأكابر، رضي الله عنهم.

والإمام محيي الدين محمد بن علي بن عربي الطائي المرسي ثم الدمشقي؛ المشهور بابن عربي الحاتمي، وبالشيخ الأكبر (ت 638هـ) رضي الله عنه؛ هو ممن درَس في القرويين في فاس؛ أخذ عن محمد بن قاسم التّميمي، ومحمد بن عبد الكريم الكتاني الفَنْدَلاوي، وعن طبقتهما، ومكث في فاس عشر سنين، وكان إماما في مسجد عين الخيل، الموجود قريبًا من حومة النجارين، قرب الضريح الإدريسي. فيعتبر كذلك من خريجي جامعة القرويين.

وابن عربي يعتبر معلمة كبيرة في التراث الإنساني، وكان يقال عنه: "كان أعلم من كل ذي علم في علمه"، وكتاباه: "الفتوحات المكية"، و"فصوص الحكم" وغيرهما، من أشهر وأعوص الكتب في الإسلام، وقالوا: ترك نحو ألف مؤلَّف، كلها كتب حافلة، فيها من الغرائب والفهوم والمدارك ما لا يدرك. وترك كذلك من الشعر العجيب.

وقد استدرَك الشيخ أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني على ابن عربي الحاتمي في كثير من الأمور، وبالرغم من أنه عاش سبعة وثلاثين عاما فقط؛ فإنه ترك نحو 340 مؤلفًا؛ وكان شرع في التفسير، وشرع في شرح صحيح البخاري. وألف في غرائب ودقائق العلوم والفهوم؛ فتحدث عن العلوم الإلهية، والولاية الذاتية، والحقيقتين الأحمدية والمحمدية؛ بل يعتبر أول من فتق رتق معرفة الحقيقة الأحمدية، وتحدث عن مقام الختمية، وعلومها، وابتناء الدوائر الوجودية على الحقيقة الأحمدية، إلى غير ذلك من العلوم والمعارف العالية.

دور علماء القرويين في الثورة والإصلاح:

نحن نسمع عن العز ابن عبد السلام أنه سلطان العلماء، ولكن عندنا في المغرب من قاموا بأدوار أكثر من العز ابن عبد السلام، ومع ملوك أعظم من الملوك الذين كان معهم العز ابن عبد السلام، كان مع المماليك في مصر، ولكن نحن عندما نتحدث عن ملوك الدولة المرابطية، والدولة الموحِّدية، والدولة المرينية، والدولة السعدية، والدولة العلوية، نحن نتحدث عن دول عظيمة، دول كبيرة جدا؛ فوقفة العلماء الإصلاحية في وجه الملوك، أو في الجهر بالحق، أو دعوتهم للجهاد، أو دعوتهم الناس للثورة؛ هو أمر مضاعَف، لا يقارَن إلا بعمل الإمام أحمد بن حنبل مع العباسيين، وأضراب الإمام أحمد بن حنبل؛ كسعيد بن جبير مع الأمويين...وغير ذلك.

ومن هؤلاء - مثلا – نجد الإمام عبد العزيز بن موسى الورياغلي (ت 880هـ) – رحمه الله تعالى - كان خطيب جامع القرويين، وهذا الإمام كان في زمنه آخر ملوك المرينيين، وهو عبد الحق المريني، وكان قد نصب وزيرين يهوديين على المسلمين من أجل أن يهين الناس ويمعن في التنكيل بهم. فقام هذان الوزيران أحدهما اسمه: هارون، والآخر: شاويل بإهانة الناس والاعتداء عليهم، وانتشر الظلم في عهدهما.

ومن القضايا العظيمة التي حدثت بسبب تعظيم المغاربة لآل البيت؛ فحدث أن جاء أحد هذين الوزيرين، ووجد امرأة من شريفات فاس من آل البيت في الشارع، فأراد أن ينكل بها، فبقي يضربها إلى أن سقطت، ومكث يشتمها ويسبها، فخلعت حجابها، وبدأت تصرخ وتقول: "ألا يوجد مسلمون في هذه البلاد؟، بنت نبيكم يُفعل بها كذا، وبنت نبيكم يُفعل بها كذا؟!". فاجتمع الناس وذهبوا يهرعون إلى جامع القرويين، فدخلوا على الإمام عبد العزيز الورياغلي وهو في درسه، فقالوا له: "يا مولانا؛ حدث كذا وكذا".

فقام الفقيه عبد العزيز الورياغلي، ودعا الناس أن يتبعوه، وخرج، فخرجت مظاهرة كبيرة معه، وذهبوا إلى قصر السلطان، وأمسكوا بهذا الوزير وقتلوه صبرا، وبعد ذلك أخذوا السلطان عبد الحق إلى نقيب الأشراف سيدي محمد بن علي العمراني الجوطي الإدريسي، وأمره بأن يتنازل له عن الملك، فتنازل له عن الملك وأعطاه خاتمه، وأقاموا عليه الحد صبرًا بمحضر من الناس، وأعلنوا أن سلطان المغرب هو الشريف العمراني الذي استمَر في حكم المغرب نحو عشر سنوات، إلى أن جاء الوطاسيون، فنفوه إلى تونس، وبقوا نحو ثلاثة قرون في تونس، إلى أن رجعوا لفاس أيام السلطان محمد بن عبد الله العلوي (ت1204هـ)، والذي أعطاهم ولاية الضريح الإدريسي بفاس.

فهذه الثورة كانت من الثورات العظيمة التي ذكرها المؤرخون، والتي كان

لها أثر كبير جدا في تاريخ المغرب، وكان إمام القرويين عبد العزيز الورياغلي، ~ وكان الشيخ زَرّوق لا يُحب الصلاة خلفه، قالوا: "لماذا لا تصلي خلفه؟". قال: "إنه رجل غندور". والغُنْدُر؛ هو: الرجل الشجاع.

فالشيخ زروق كان ينتقد الشيخ الورياغلي؛ لأنه كان متشددا في أمر الخروج على الولاة والحكام، واعتبر أن هذه الثورة كانت خطأ من الورياغلي، ولكن هذا إنما كان لشدة الورياغلي في الحق.

ونذكر كذلك فتنة العرائش التي كانت في زمن السلطان المأمون بن أحمد المنصور السعدي (ت 1020هـ)، وذلك أن المأمون كان في صراع مع أخيه مولاي زيدان، وذهب إلى مِلِك الإسبان، وطلب منه أن ينصره، وترك عنده أحد أبنائه رهينة، فبعد ذلك قال له السلطان: "أنا لا أطلق ابنك ولا أفك سراحه إلا إذا أعطيتني ميناء العرائش"؛ يعني: مدينة العرائش. فجمع مولاي المأمون العلماء والأعيان، وقال لهم: "ابني شريف، ومن آل النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا وكذا، ويجب أن نتنازل للنصارى؛ نعطيهم العرائش حتى لا يبقى عندهم".

فانقسم العلماء إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: جهروا بالحق، ورفضوا تماما هذا الأمر، وكان منهم: الإمام الشريف محمد بن أبي الحسن الحاج البقّالي الأغصاوي، وقام في وجه السلطان، واستنكر استنكارا كبيرا حتى تربّص به السلطان وقتله.

كما ثار الإمام أبو العباس أحمد العمراني الجوطي، وجمع الناس للجهاد والثورة لاسترداد مدينة العرائش.

القسم الثاني: وكان منهم من فر وترك مدينة فاس، وسكن في البوادي والأرياف؛ كان منهم: الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي الفهري (ت 1021هـ)، وأخوه شيخ الإسلام محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت

1052هـ)؛ صاحب كتاب "مرآة المحاسن"، الذي استوطن مدينة تطوان، إلى أن توفي فيها. وسيدي أحمد الفاسي استوطن البادية إلى أن توفي فيها.

القسم الثالث: سكتوا، واختلوا في بيوتهم وزواياهم إلى أن مرت الفتنة.

القســم الرابع: زينوا للســلطان فعله، وأفتوا له، وكان منهم محمد بن أبي القاسم ابن القاضي المكناسي الفاسي، وتربص به العامة سنوات طويلة، إلى أن قتلوه في جامع القرويين عام 1040هـ.

وهكذا مرت هذه الفتنة وذهبت العرائش إلى أن استردها السلطان مولاي إسماعيل رحمه الله تعالى، عام 1101هــ، وكان فتحا عظيما، وحدثا اهتزت له الدنيا بعد حصار كبير طويل.

وفي عهد الســلطان مولاي إســماعيل؛ كانت هناك محنة كبيرة؛ هي: محنة الحرطانين، أو محنة العبيد الذين ســموا فيما بعد: عبيد البخاري، وذلك أن مولاي إسماعيل كان هو السلطان الذي وحّد المغرب بعد أن تشتت، وقام بعمل جهادي عظيم جدا، فهو الذي حرر طنجة، والعرائش، وآســفي، والجديدة، وجمع المغرب في دولة واحدة، ولكن كان شــديدا، وحكم نحو ســتين عاما، فكان يحتاج إلى الجيش.

ففكر مولاي إســماعيل مرة، وقال بأن الســلطان أحمد المنصــور الذهبي عندما ذهب إلى تمبكتو واحتلها؛ جاء بالعبيد من هناك، وهؤلاء العبيد أصبحوا محررين، وتحريرهم لم يكن شــرعيًّا، فأنا أســتعبدهم. وأراد من العلماء أن يصدروا له فتوى بذلك.

فقالوا له: "أولا: الذين ذهب وســباهم أحمد المنصــور كانوا مســلمين؛ فلا يجوز اســترقاقهم. ثانيا: العبد إذا لم تكن بينة تفيد اســترقاقه؛ فلا يجوز أن تأخذه وهو مسلم من أهل القبلة". فقامت مشاحنة بين مولاي إسماعيل وبين

العلماء، وهذه المشاحنة رفض أن يفتي له فيها شيخ الجماعة سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي (ت 1116هـ)، ولازم بيته دهرا لا يخرج منه.

كما رفض الفتوى وأصدر فتوى معارضة جملة من كبار علماء فاس، وعلى رأسهم سيدي العربي بُرْدُلَّة الفاسي الأندلسي (ت 1133هـ)، وسيدي عبد السلام بن أحمد جسُّوس الأندلسي (ت 1121هـ). وكان هذان من كبار علماء المغرب، وكتب النوازل مليئة بفتاواهم.

وعندما رفض العلماء؛ أصبح أخذ وعطاء بين السلطان والعلماء الذين كانوا معه، وبين العلماء الذين رفضوا؛ وهم: علية عُلماء المغرب، فطلب قاضي فاس سيدي العربي بردلة وسيدي عبد السلام جسوس مع وفد من العلماء، أن يلتقوا بالملك، وأن يتحاجّوا معه. وكتب سيدي عبد السلام جسوس فتوى طويلة، وبدأ يقرأها على السلطان مولاي إسماعيل، وكان السلطان من أقوى سلاطين المغرب، بل يكاد يكون أقواهم، وفيه هاشمية وقوة وعصبية، وكان يتساهل في القتل، وقصصه في ذلك أقرب إلى الأساطير.

فكان جالسًا والعُلماء يتفاوضون معه، فقام الفقيه جسّوس، وبدأ يقرأ له فتوى حرّرها العلماء في الموضوع، فتركه السلطان ووقف بمعنى أنه: انتهت الجلسة فغضب سيدي عبد السلام جسّوس، وجره من قميصه، حتى أثر القميص في رقبة السلطان، وأجلسه، وقال له: "استمع إلى كلام جدِّك رسول الله ماذا يقول".

قالوا: فما كان من السلطان إلا أن جلس وبدأ يقرأ الفتوى، بعد ذلك تربّص به السلطان، حيث اعتُقل، ثم قُتل في السجن. وقامت ضجة كبيرة في المغرب، واضطر السلطان إلى أن يصدر مراسِيم بأنه لم يقتل هذا العالم، وأنه لم يكن سببا في ذلك، وأنه لم يكن في علمِه، وأنه سيعاقِب من كانوا سببًا في قتله.

وكذلك من مواقف العلماء: نتحدَّث عن بيعة السلطان عبد الحفيظ حين بدأت دول العالم تتربص بالمغرب، لاحتلاله. وفي ذلك الوقت بدأت فرنسا تدخُل إلى أطراف المغرب عبر الجزائر التي احتلتها من جهة، وعبر ميناء الدار البيضاء من جهة أخرى.

ولما احتلوا مدينة الدار البيضاء، فقامت ضجة كبيرة في المغرب، وأراد أهلُ الحل والعقد، من التجار والأعيان، ومن رؤساء القبائل، عَزْلَ السلطان مولاي عبد العزيز. فذهبوا إلى كبير العلماء وزعيم المغرب في ذلك الوقت: الإمام أبي الفيض سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، وقالوا له: "لا يمكن أن يبقى السلطان هكذا وهو لم يستطِع القيام بشرط الجهاد، وأدخل البَنْك إلى المغرب، والبنك فيه الربا، فسيفرض على الناس التعامل بالربا، وقام بحرب المجاهدين الذين ذهبوا للجهاد في الدار البيضاء". فذكروا عدة أسباب.

وفي ذلك الوقت ثار على السلطان أخوه مولاي عبد الحفيظ في مدينة مراكش، فأرسل للشيخ أبي الفيض سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني من أجل أن يبايعه، فتوجس سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني من ذلك خشية أن تصبح فتنة في البلاد. وبعد أخذ ورد؛ آثر أن يشترط شروطًا كالبيعة المشروطة التي تكون للسلطان الجديد، حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه مع السلطان الذي قبله.

وتمت البيعة للسلطان مولاي عبد الحفيظ طبق شروط ضمنوها في وثيقة البيعة، مبنية على الشورى والجهاد، والإصلاح السياسي والإداري والاجتماعي، وقاموا بعزل السلطان مولاي عبد العزيز، وكانت ثورة بيضاء كما لم تُسفك فيها الدماء، إذ قاموا بعزل السلطان وإعطائه الأمان، فانتقل إلى مدينة طنجة واستقر بها، واستوطن السلطان الجديد مدينه فاس، وبعد ذلك كثرت الفتن، وكانت للسلطان يد مع فرنسا قبل بيعته، فقامت قلاقل كبيرة

على السلطان، انتهت باستشهاد الشيخ أبي الفيض سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، وذلك باتهامه بالتمهيد لثورة ضـد المولى عبد الحفيظ، وكان ذلك بوشاية من الفرنسيين، فأدى ذلك إلى سجنه واستشهاده عام 1327هـ، وأخفي جثمانه إلى الآن.

وما مضت ثلاث سنوات حتى أدخل المولى عبد الحفيظ فرنسا للمغرب، في اتفاق سري بينه وبينها، خشية ثورة الناس عليه، وطلب حمايتها، فما أن استقرت بأشهر حتى عزلته عن الملك، ونفته لطنجة، ثم إسبانيا ثم فرنسا، حيث مات فيها بعد سنوات طويلة.

إن الحديث عن جهاد علماء القرويين، سواء في فترة الاستعمار أو غيره، حديث يستحق دراسات مستفيضة، فقد كانت لهم مواقف رائدة في فترة جهاد ومحاصرة مدينة سبتة، وفتح طنجة، وجهاد الأندلس...وغير ذلك من القضايا المهمة التي تضمنها كتاب "فاس عاصِمة الأدارسة، ورسائل أُخرى"؛ لجدي العلامة الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني رحمه الله، وهو من ضمن "الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس"، وهذا الكتاب جمع أخبارًا مهمة جدا، متعلقة بالمغرب خاصة، وبالجزائر وموريتانيا، وفيه فوائد كثيرة لا توجد مجموعة في كتاب.

وللعلامة سيدي إبراهيم الكتاني دراسة مهمة جدا حول جهاد علماء القرويين من أجل استقلال المغرب والحفاظ عليه، وكذلك له بحث مفصّل جيد حول رسائل علماء القرويين إلى المجاهدين المحاصِرين لمدينة سبتة. بل له موسوعة جمعتُها في نحو ستة مجلدات حول جهاد علماء المغرب ضد الاستعمار الأجنبي في مختلف مراحل التاريخ المغربي، من الأدارسة إلى الاستقلال.

وأنبه إلى أن هناك الكثير من المخطوطات والوثائق والمعلومات تضمنت

أخبارا كثيرة، وشخصيات مهمة الكثير أصبح يجهلها اليوم؛ كالعربي اللجائي؛ كان من كبار المصلحين قبيل الاستعمار الفرنسي، ولكن لم يكتب عنه شيء، ووجدت أنا كتابات عنه في بعض الوثائق الخاصـــة، ولكن لا يكاد يعرفه أحد، وكانت له قبيل فترة الحماية مواقف كبيرة.

وابن عبـد الكريم الخطـابي؛ هو عـالم من علمـاء القرويين، وكـذا علال الفاسي، والإمام أحمد بن إدريس الميسوري الإدريسي، جاهد وأصلح في بلاد المشرق، وخاصة السودان، وأنشأ أبناؤه دولة الأدارسة في منطقة عسير في جزيرة العرب. وتلميذه الإمام محمد بن علي السـنوسـي الإدريسـي الحسـني، الذي استقر في الحجاز، ثم في ليبيا، وأسس الدولة السنوسية في ليبيا، وكان لذريته وتلامذته جهود عظيمة في نشـــر العلم والدين، وجهاد الاســتعمار... وغيرهم كثير.

ومن الأسر الشريفة بالمغرب، والتي درَس ودرَّس العشرات من علمائها في جامع القرويين، الأسرة الكتانية، كان لأعلامها جهود عظيمة في بلاد المشرق، بل في الدنيا، نشرا للعلم، ودعوة إلى الله، وجهادا في سبيل الله، وبذلا للجهد في الإصلاح الاجتماعي والديني. ومنهم الإمام محمد بن عبد الواحد الكتاني، وابنه جبل الســـنة والدين عبد الكبير بن محمد الكتاني، وابنيـه الإمـام أبي الفيض محمد والحافظ أبي الإسعاد عبد الحي، وذرية الجميع؛ خاصة العلامة المصلح أبو الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، وابنه العلامة عبد الرحمن الكتاني.

وكذلك جهود شيخ الإسلام أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني، ووالده الفقيـه المجاهد؛ أبي العلاء إدريس بن الطائع الكتاني، وأبنائهم وأحفادهم؛ خاصـــة الإمام أبا عبد الله محمد بن جعفر الكتاني؛ إمام العصـــر في وقته، وأبناءه العلامة محمد الزمزمي، والمصـلح محمد المكي – رئيس رابطة علماء

الشـام – ومحدث الحرمين الشـريفين محمد المنتصـر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني، وغيرهم الكثير من أعلام هذه الأسرة الشريفة، منذ زمن الأدارسة إلى الآن، فقد تركت أيادي بيضاء ليس في المغرب فحسب، ولكن في كافة العالم، وهم ينحدرون من أمير المؤمنين يحيى الثاني بن يحيى الأول، الذي افتتح جامع القرويين، ودشـنه والده الإمام يحيى الأول، كما نوهت سـابقا، رحم الله الجميع ورضي عنهم.

وهنا أدعو إلى الزيادة في البحث والكتابة والتصـنيف حول تاريخ علماء المغرب، والقرويين بالخصـوص، وأنوه إلى كتاب الدكتور زين العابدين رسـتم حول "النبوغ المغربي في الحديث الشـريف"، وهو كتاب عظيم جدا، أتى فيه بفوائد وتراجم ومعلومات، حقيقة لا تكاد توجد مجموعة في مصدر، ليست لا تكاد؛ بل هي لا توجد مجموعة في مصـدر بالقطع، ويصـعب العثور عليها. فجزاه الله خيرا. وأدعو إلى قراءة هذا الكتاب، والاسـتفادة منه، وتدريسـه كذلك.

فهرس الكتاب







ركاز للنشر والتوزيع
Rikaz For Publishing & Distributing
rikazpublisher@gmail.com
@rikazpublisher
00962797984602
Jordan - Irbid الأردن - إربد

